

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر-2- أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الإنسانية
قسم التاريخ

العلاقات العثمانية الأوروبية في البحر المتوسط وانعكاساتها على الجزائر
نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر
(بريطانيا وفرنسا أنموذجا)

Ottoman-European relations in the Mediterranean and their repercussions
on Algeria the end of the eighteenth century and the beginning of the
nineteenth century (Britain and France as examples)

أطروحة مقدمة ضمن متطلبات الحصول على شهادة دكتوراه العلوم
في تخصص: التاريخ الحديث

إشراف الأستاذ الدكتور:

أرزقي شويتام

إعداد الطالب:

عبد الرحمان قفاف

السادة أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الجامعة الأصلية	الوظيفة
أ. د/ حساني مختار	جامعة الجزائر-2-	رئيسا
أ. د/ أرزقي شويتام	جامعة الجزائر-2-	مشرفا ومقررا
أ. د/ حكيم الشيخ	جامعة المدية	مناقشا
أ. د/ محمد دراج	جامعة الجزائر-2-	مناقشا
أ. د/ نجوى طوبال	جامعة الجزائر-2-	مناقشا
أ. د عبد القادر فكاير	جامعة خميس مليانة	مناقشا

السنة الجامعية: 1443-1444هـ / 2023-2024م

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Algiers -2- Abu al-Qasim Saad Allah

Faculty of Humanities

Department of History

**Ottoman-European relations in the Mediterranean and their
repercussions on Algeria the end of the eighteenth century and the
beginning of the nineteenth century
(Britain and France as examples)**

A dissertation submitted within the requirements
for obtaining a Doctor of Science degree

Major: Modern History

Preparing the Student:

Abderrahman Gueffaf

Supervised by Prof. Dr. :

Arezki Chouitem

Gentlemen, members of the discussion committee.

Name and surname	University of origin	Position
Prof. Dr. Hassani Moukhtar	University of Algiers -2-	as president
Prof. Dr. Arezki chouitem	University of Algiers -2-	Supervisor and rapporteur
Prof. Dr. Hakim Al-cheikh	Medea University	arguing
Prof. Dr. Mohamed Derradj	University of Algiers -2-	arguing
Prof. Dr. Najwa Toubal	University of Algiers -2-	arguing
Prof. Dr. Abdel kader Fekayer	Khemis Miliana University	arguing

Academic year: 1443-1444 AH / 2022-2023 AD



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى عائلتي..

إلى أساتذتي..

إلى أصدقائي..

شكر

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه

أتقدم بشكري الجزيل وامتناني العميق وثنائي العطر إلى
كل من ساعدني في مسيرتي العلمية في كل مراحل دراستي
وبحثي، ومهما كتبت من كلمات فلن أحصي ذكركم ولن
أوفيكم حقكم ولن أبلغ شكر فضلكم..

شكر الله سعيكم وبلغنا القدرة على رد بعض جميلكم

شكرا.

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات:

اختصارها	الكلمة
ع	العدد
س	السنة
هـ	التاريخ الهجري
م	التاريخ الميلادي
ر	الرقم
و	الورقة
(د.ت)	دون تاريخ نشر
(د.د)	دون دار نشر
سل	السلسلة
(د.م)	دون مكان النشر
(د.ط)	دون طبعة
OP. CIT	Opus. citatum
Ibid.	ibidem (au même endroit).

اختصارها	الكلمة
ص	الصفحة
ط	الطبعة
تح	التحقيق
تع	التعليق
تعرب	التعريب
تر	الترجمة
تق	تقديم
مر	مراجعة
جم	الجمع
ج	الجزء
مج	المجلد
P	Page

مقدمة

مقدمة

تقديم الموضوع وأهميته:

حظي البحر الأبيض المتوسط بأهمية تاريخية واستراتيجية منذ القدم، فهو يعتبر مهدا للحضارات القديمة فعلى جنباته نهضت حضارات عملاقة مثل اليونانية، الرومانية، الفينيقية، والحضارة الفرعونية. كما كان وما زال قبلة لأنظار المتفرجين من السياح والعلماء الذين يفتدون إليه من مختلف بقاع العالم يجوبون أنحاءه وينعمون بمباهجه ودراساته.

ونظرا لموقعه الجغرافي الاستراتيجي الذي تطوقه اليابسة من جميع الجهات، والذي يتوسط ثلاثة قارات: آسيا، أوروبا، وإفريقيا، مما جعل منه نقطة صراع بين الشعوب المتوسطية التي ظلت متناحرة في سبيل السيطرة وبسط النفوذ على حوض البحر الأبيض المتوسط، ولذلك تنافست الدول الأوروبية للسيطرة على المنافذ والمضايق.

ويعد النصف الثاني من القرن الثامن عشر (18) والنصف الأول من القرن التاسع عشر (19) ميلادي مرحلة تاريخية هامة وخطيرة، وتحولا في الصراع بين العالم الإسلامي والمسيحي، حيث كان العالم الأوروبي يعيش صراعات سياسية وعسكرية من أجل بسط النفوذ والتنافس للوصول للمياه الدافئة، والدولة العثمانية كانت تسيطر على أغلب مضايق البحر الأبيض المتوسط لمدة طويلة من الزمن، وبسبب الضعف والفتور الذي آلت إليه مع نهاية القرن الثامن عشر (18)، أضحت رقعة تتنافس عليها الدول الأوروبية، وهذا مما أدى إلى ظهور ما يسمى بالمسألة الشرقية، والتي تعني صراع الدول الأوروبية من أجل تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية، وهي بدورها قد مرت بأزمات حادة في المرحلة سابقة الذكر، وتعد حملة نابليون على مصر في 1792م-1801م من بين أهم الأزمات، إذ أنها وجهت أنظار الدول الأوروبية لأهمية البحر الأبيض المتوسط.

ولعل هذا ما أدى إلى تحول في سياسة بريطانيا الخارجية، إذ زادت من نشاطها السياسي على حساب نشاطها التجاري، على إثر الحملة الفرنسية التي تولدت عنها ردود فعل بريطانية

عنيفة، أصبحت معها طرق التجارة البريطانية إلى الهند، قاب قوسين أو أدنى من غزو فرنسي محتمل.

إضافة إلى التقارب البريطاني العثماني الذي جسده معاهدة السلام والتجارة البريطانية-العثمانية المسماة "معاهدة الدردنيل"، التي أنهت مرحلة من التوتر بين بريطانيا والدولة العثمانية غطى سنوات 1807-1809.

وأمام هذا التغيير الذي طرأ على طبيعة السياسة التقليدية بين فرنسا والدولة العثمانية والتي بموجبها تحصلت فرنسا على إمتيازات واسعة على خارطة الدولة العثمانية، الأمر الذي خلق نوعاً من التنافس والصراع الذي تحكمت فيه المصالح الذاتية في أغلب مفاصله بين الدول الأوروبية والدولة العثمانية تارة، وبين الدول الأوروبية فيما بينها تارة أخرى، وقد إنجر عن هذا التنافس إنعكاسات على الدولة العثمانية، وعلى علاقتها بالإيالات التابعة لها، ومن بينها إيالة الجزائر التي تنافست عليها بعض الدول الأوروبية، وتجسد ذلك في حملات عسكرية مثل الحملة الأمريكية سنة 1815م، وحملتان الإنجليزيتان في سنتي 1816 و1824م، إلا أن هذه الحملات لم تنجح، ومع الأسف أن حملة فرنسا حققت الغرض الذي لم تصل إليه إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية، حيث سقطت الجزائر في قبضة فرنسا في 1830م.

ولكون التنافس الأوروبي هو مسألة محورية في العلاقات الدولية، ونظراً لمكانة البحر الأبيض المتوسط الاستراتيجية، فقد أصبحت هذه المسألة نقطة محورية لها إنعكاساتها على الدول المتوسطية التابعة للدولة العثمانية، ومن بينها الجزائر باعتبارها إيالة عثمانية، ومما دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع والبحث فيه هو رأينا في ضرورة إلقاء الضوء على العلاقات العثمانية الأوروبية مركزين على كل من بريطانيا وفرنسا كنموذجين أساسيين في معادلة العلاقات مع الدولة العثمانية، وما مدى إنعكاسات هذه العلاقة على الجزائر في هذه الفترة، وإلقاء الضوء على العلاقات الأوروبية وصلتها فيما بينها، وإسقاط الضوء على الصراعات التي جرت من أجل السيطرة وبسط النفوذ على ممتلكات الدولة العثمانية.

فكان موضوع بحثنا: "العلاقات الأوروبية العثمانية في المتوسط وإنعكاساتها على الجزائر نهاية القرن الثامن عشر بداية القرن التاسع عشر بريطانيا وفرنسا أمودجا".

الإشكالية والخطة المتبعة:

وللإمام بهذا الموضوع انطلقنا من إشكالية بحث جاءت على الشكل التالي:

ما هي طبيعة العلاقات البريطانية والفرنسية مع الدولة العثمانية؟ وإلى أي مدى انعكست هذه العلاقات على الجزائر باعتبارها إيالة عثمانية؟

وللتغلغل في حيثيات الموضوع فرعنا إشكالتنا إلى جملة من التساؤلات جاءت كما يلي:

- ما هي أهمية البحر الأبيض المتوسط وكيف كان نشاط القوى الأوروبية في هذا البحر؟.
- كيف كانت العلاقات الأوروبية-الأوروبية وكيف كانت علاقاتها بالدولة العثمانية؟.
- ما هي أبرز إنعكاسات التنافس على الدولة العثمانية في نهاية ق18 وبداية ق19؟ وما هي أبرز الأزمات التي مرت بها الدولة العثمانية في هذه الفترة؟.
- وكيف كان إنعكاس تذبذب العلاقات الأوروبية العثمانية على الجزائر؟ وما موقف الدولة الأوروبية منه؟.

وللإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدنا على خطة بحث حاولنا من خلالها الإحاطة بالموضوع من مختلف جوانبه، وتمت معالجته وفق خطة تتألف من: مقدمة، وفصل تمهيدي، وبابين تضمن الباب الأول ثلاث فصول، والباب الثاني أربعة فصول، وخاتمة، وذيلناه بملاحق وفهارس وبليوغرافيا.

حيث تطرقنا في الفصل التمهيدي المعنون بـ: البحر المتوسط كمؤثر حضاري وجغرافي في العلاقات الدولية، إلى طبيعة الحوض الأبيض المتوسط، لأنه قبل الغوص في التنافس الأوروبي في هذا المجال، لابد من التعرف على موقع وطبيعة هذا الحوض من الناحية الجغرافية والتاريخية، ثم انتقلنا إلى العنصر الثاني وهو الأهمية التاريخية والاستراتيجية وتحدثنا عن أهمية هذا البحر من

العصور القديم إلى العصر الحديث، وبعد ذلك ذكرنا الأهمية الاستراتيجية، أما العنصر الثالث فتكلمنا فيه على نشاط القوى الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط، وعلاقات كل من بريطانيا، فرنسا، روسيا، والدولة العثمانية بالبحر الأبيض المتوسط.

أما الباب الأول فخصصناه لدراسة العلاقات الأوروبية العثمانية وإنعكاساتها على الجزائر خلال القرن الثامن عشر فجاء في ثلاث فصول ركزنا في الفصل الأول على العلاقات العثمانية الفرنسية في القرن الثامن عشر وموقف القوى الأوروبية منها، افتتحناه بمبحث يتناول جذور العلاقات العثمانية الفرنسية، والذي حاولنا أن نبرز فيه مدى التقارب الذي ميّز العلاقات العثمانية الفرنسية بدايات القرن الثامن عشر وقبله، وتطرقنا في المبحث الثاني لعلاقات تبادل الدولة العثمانية والفرنسية في الجانب السياسي خاصة فيما تعلق بالدبلوماسية، أما المبحث الثالث فكان يتضمن المواقف الدولية من العلاقات العثمانية الفرنسية، وخصصنا المبحث الرابع لدراسة تلك التذبذبات التي ميزت العلاقات العثمانية الفرنسية، والتي تراوحت بين التقارب والصراع خاصة في فترة نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر.

أما الفصل الثاني فكان لدراسة "العلاقات العثمانية البريطانية وموقف القوى الأوروبية منها"، وقسمناه إلى أربعة مباحث، تناولنا في المبحث الأول خلفيات وجذور العلاقات العثمانية البريطانية ما قبل فترة القرن الثامن عشر، وركزنا في المبحث الثاني على شركة الهند الشرقية والدور الذي لعبته في العلاقات العثمانية البريطانية وتأثيرها على طبيعة هذه العلاقات، فيما توقفنا عند المبحث الثالث لدراسة الموقف البريطاني من الصراع العثماني الأوروبي، ونقصد هنا الصراع العثماني الفرنسي والروسي، فيما خصصنا المبحث الرابع للموقف البريطاني من الحملة الفرنسية على مصر مراعين في ذلك خلفية الصراع الفرنسي البريطاني والتنافس الاستراتيجي بينهما في الحوض المتوسط.

وسعيًا منا إلى إبراز وتوضيح مدى تأثير الجزائر بعلاقة الدولة العثمانية بالدول الأوروبية، وإلى أي مدى كان لهذه العلاقات إنعكاسات على الجزائر باعتبارها إيالة عثمانية، لذلك خصصنا فصلًا

ثالثًا لدراسة "أثر العلاقات العثمانية الأوروبية على الجزائر في القرن الثامن عشر"، والذي بدأناه بمبحث درسنا فيه تأثير تحديد الاتفاقية المنوية بين الجزائر وفرنسا، والتي أحدثت نوعًا من القطيعة بين البلدين جراء الاختلاف في بنود المعاهدة، مما أدى إلى نوع من التباعد والصراع، إلا أنّ هذا لم يصل إلى قطع العلاقات، بالرغم من تأزمها خاصة وأن فرنسا تأثرت بالثورة الفرنسية، الأمر الذي جعلنا نتناول في المبحث الثاني الثورة الفرنسية وإنعكاساتها عن الجزائر، ومحاولات إنجلترا لقطع العلاقات بين الجزائر وفرنسا، وقطع التمويل والتقارب بين البلدين، بالرغم من أنّ العلاقات بين البلدين تسير نحو الأسوأ، والتي ستشهد صراع سياسي بين الجزائر وحكومة الثورة الفرنسية، وفي ظل ضغط عثماني على الجزائر نشبت الحرب بين الجزائر وفرنسا، وقامت الجزائر بإعلان هذه الحرب سنة 1799، والذي ترتب عليه طرد الرعايا الفرنسيين من الجزائر ومصادرة أملاكهم، فيما قامت السفن الجزائرية باعتراض السفن الفرنسية، إلا أن الحرب بين البلدين لم تستمر طويلاً، ولعل من بين الأحداث التي تعتبر فاصلة في سير العلاقات العثمانية الجزائرية الفرنسية هي الحملة الفرنسية على مصر، والتي خصصنا لها مبحثًا ثالثًا تناولنا فيه الموقف الجزائري من الغزو الفرنسي لمصر، والذي تميز بمساندة الجزائر للأسطول العثماني في حربه على فرنسا، وقد بحثنا في تطورات العلاقة بين الدولة العثمانية والجزائر وفرنسا، في الوقت الذي لعبت فيه بريطانيا في تأليب الدولة العثمانية على الجزائر خاصة فيما تعلق بعلاقاتها مع فرنسا، وبتوقف الحرب بين الدولة العثمانية وفرنسا عادت العلاقات الجزائرية الفرنسية إلى الهدوء، ومن ثمّ عقد اتفاقية سلام في 17 ديسمبر 1801.

أمّا الباب الثاني فحاولنا فيه البحث عن "العلاقات العثمانية الأوروبية وإنعكاساتها على الجزائر بدايات القرن التاسع عشر"، وقد جاء في أربعة فصول، تطرقنا في الفصل الأوّل إلى العلاقات العثمانية الفرنسية خلال النصف الأوّل من القرن 19، حيث بدأنا المبحث بدراسة التأثير الفرنسي على الإصلاحات العثمانية ومدى تدخل فرنسا في طبيعة السياسة العثمانية من خلال الضغط تارة، والدبلوماسية تارة أخرى، خاصة في ظل تأثر السلطان محمود الثاني بالأفكار الفرنسية، وفي ظل تراجع قوة الدولة العثمانية في هذه الفترة، والضغط الأوروبي، إضافة إلى

المحاولات الدبلوماسية في التدخل في الحكم، وركزنا في المبحث الثاني على التطورات التي مرت بها العلاقات الفرنسية العثمانية خلال فترة حكم نابليون بونابرت، والتي عرفت بالتقارب في بادئ الأمر سعيًا لضرب التحالف العثماني الروسي الإنجليزي، إلا أنّ سعي نابليون لمصالح فرنسا جعله يفكر في التقرب إلى روسيا وإغرائها بتقسيم الدولة العثمانية، وهذا ما جاء في اتفاقية تيليس، التي تنص على التقارب الفرنسي الروسي ضد الدولة العثمانية، وكانت لهذا التقارب انعكاسات على الجانب السياسي والاقتصادي للدولة العثمانية، وأكدت أنه لا يوجد صديق وعدو في السياسة، ولكن العلاقات الفرنسية الروسية عادت إلى التوتر وهذا ما ركزت عليه في المبحث الثالث ومدى انعكاسات هذا التوتر على الدولة العثمانية الذي أنتج صراعا عسكريا روسيا فرنسا أدى إلى إنحزام نابليون وتراجعته.

أمّا الفصل الثاني والذي تناولنا فيه العلاقات العثمانية البريطانية في النصف الأوّل من القرن

19، فقد تتبعنا فيه التحالفات العثمانية البريطانية ضد فرنسا، وهذا ما تطرقنا إليه في المبحث الأوّل بداية من الحملة الفرنسية على مصر، وسعي بريطانيا للضغط على الدولة العثمانية لمواجهة فرنسا، وكان نتيجة موقف بريطانيا توقيع معاهدة الصلح بين بريطانيا وفرنسا على أساس إرجاع مصر إلى الباب العالي وضمّان أملاك الدولة العثمانية 1801، وهذا ما مهّد لصلح إيمان 1801-1803، والذي جاء بعد مرحلة من التنافس البريطاني الفرنسي، خصصنا له مبحث ثان درسنا فيه مبررات التنافس البريطاني الفرنسي، حيث سعت بريطانيا للتواجد بمصر سعيًا منها لإيقاف كل توسعات فرنسا تحت قيادة نابليون، وعدم السماح لفرنسا بالانفراد بالدولة العثمانية، كما سعت بريطانيا لإبقاء قوة الدولة العثمانية ولو شكليًا، لقطع الطريق أمام فرنسا إلا أنّ التقارب العثماني لم يدم طويلًا، وعادت الدولة العثمانية لربط علاقاتها مع فرنسا من خلال نشاط دبلوماسيتها، مما يؤكّد أنّ الدولة العثمانية في هذه المرحلة لم تكن إلا أداة لتوازن القوى بين فرنسا وبريطانيا، في الوقت الذي لعبت فيه روسيا دورًا في هذا التنافس ممّا دفعنا في مبحث ثالث لدراسة التقارب البريطاني الروسي في ظل التوتر الفرنسي الروسي 1803-1807، وإنعكاساته على طبيعة العلاقة مع الدولة العثمانية، حيث بعد إنهاء صلح إيمان وعودة التوتر بين فرنسا وبريطانيا، نجد أن روسيا في هذا الوقت قد سعت لزيادة الهوة

بين الطرفين لقطع الطريق أمام فرنسا، مما فرض عليها التحالف مع بريطانيا التي سعت إلى إغراء الدولة العثمانية بدخولها في الاتحاد الأوروبي المناهض لنابليون، وهذا ما تمّ بالفعل في 1805، إلى أنّ نشاط السفير سيبستياني الذي حقق نوعاً من التقارب الفرنسي العثماني، انعكس على طبيعة العلاقات العثمانية البريطانية، ونتج عنه صراعا عثمانيا بريطانيا، سعينا لتوضيحه في المبحث الرابع (الصراع العثماني البريطاني)، تناولنا فيه الحملة البريطانية على الدردنيل والآثار المترتبة عنها بالإضافة إلى الحملة البريطانية على الإسكندرية، ولعلّ هذا ما دفع بنابليون للسعي إلى عقد معاهدة الدردنيل بين الطرفين بغرض إبقاء الحصار القاري على بريطانيا من جهة، ومحاولة تحسين علاقاته مع العثمانيين من جهة أخرى، وبعد مد وجزر تقرر عقد معاهدة الدردنيل 1809، والتي كان من بنودها وقوف بريطانيا إلى جانب الدولة العثمانية في حالة الحرب مع فرنسا، وهنا يتضح صراع المصالح والاستراتيجيات بين كل من فرنسا وبريطانيا والدولة العثمانية.

أمّا عن الفصل الثالث فقد تطرقنا فيه إلى العلاقات البريطانية والفرنسية مع الدولة العثمانية في ظل الأزمات الدولية التي شهدتها القرن التاسع عشر ركزنا فيه على النصف الأوّل من القرن التاسع عشر لكي نبقي في حدود الدراسة، واستهلينا الفصل بمبحث يوضح أبعاد وماهية المسألة الشرقية، ووقفنا في المبحث الثاني لإبراز أهمّ أزمات المسألة الشرقية في بداية القرن التاسع عشر والمواقف الدولية منها، فتناولنا بداية الثورة اليونانية وظروفها وسيرها ومواقف الدول الأوروبية منها، وأبرزنا موقف بريطانيا وفرنسا، وأهمّ النتائج المترتبة عن هذه الثورة، كما تناولنا حملة إبراهيم باشا على سوريا، والأسباب الحقيقية وراء هذا الحملة، وتبعنا سير هذه الحملة التي كان لها أثر بالغ في تباين ردود أفعال كل من الدولة العثمانية والدول الأوروبية التي إنبتت على أساس المصالح، وكان من نتائج أطماع مُحمّد علي في الدولة العثمانية وحمالاته المتكررة للأقطار التابعة لها، حدوث تقارب بين روسيا والدولة العثمانية، مما أفرز قلقاً لكل من فرنسا وبريطانيا جراء هذا التقارب الذي لا يخدم مصالحهما، وهذا ما جعلنا نخصّص مبحثاً نتناول فيه الموقف الفرنسي والبريطاني من التقارب العثماني الروسي، حيث وضحنا خلفيات التقارب العثماني الروسي إلى غاية هجمات مُحمّد علي، وإنقاذ روسيا لدولة

العثمانية من سيطرة مُحمَّد علي خاصة بعد معاهدة كنهاية 1833، كما توقفنا عند موقف فرنسا وبريطانيا من هذا التقارب الذي كان يصبُّ في إبعاد روسيا عن المضائق، وكبح جماح مُحمَّد علي للإبقاء على وحدة الدولة العثمانية ولو شكلياً، حيث تمَّ عقد معاهدة بلطة ليمان 1838، بالإضافة إلى دعم بريطانيا وتحريضها للسلطان علي إعلان الحرب على إبراهيم باشا في معركة نزيب 1839، والتي انهزم فيها الجيش العثماني ممَّا فتح الباب للتدخل البريطاني في حكم الدولة العثمانية. أمَّا المبحث الرابع فقد خصصناه لحرب القرم 1853-1856 والتي كانت تعتبر منعرجاً حاسماً في تاريخ الدولة العثمانية، فأبرزنا أهم أسبابها المباشرة وغير المباشرة مركزين على الأسباب الدينية والاقتصادية والاستراتيجية، وظروف إندلاع الحرب التي نعتبرها بمثابة شهادة وفاة للدولة العثمانية، خاصة بعد انفراد الدول الأوروبية بمصر وخروجها من أملاك الدولة العثمانية، كما حاولنا أن نستعرض مواقف كل من فرنسا وبريطانيا والنمسا من هذه الحرب مبررين أهم نتائجها.

وختاماً للباب الثاني وبعد استعراضنا للتقارب والصراع القائم بين الدول الأوروبية وروسيا والدولة العثمانية ارتأينا أن نتوقف في الفصل الرابع عند **انعكاسات العلاقات العثمانية-الأوروبية (البريطانية والفرنسية) على الجزائر في بداية القرن التاسع عشر**، هذه العلاقات التي تميزت بالتقارب تارة والصراع تارة أخرى، حيث افتتحنا الفصل باستعراض للأوضاع الداخلية في الجزائر بداية القرن 19م، والتي ميزتها تمردات داخلية وصراع على منصب الداوي في ظل ظروف اقتصادية صعبة، ثمَّ حاولنا أن نبرز إنعكاس التنافس الأوروبي العثماني على الجزائر، سواء من طرف فرنسا أو بريطانيا، بالترغيب تارة والتهديد تارة أخرى لأجل كسب قربها في ظل صراع الدولتين وتنافسهما على النفوذ في المنطقة، خاصة وأنَّ السيطرة على المتوسط كانت متساوية بين فرنسا وإنجلترا، ولأنَّ الجزائر أصبحت تشكل عائقاً لكل من الدولتين في فرض سيطرتهم على المتوسط تمَّ عقد مؤتمر فيينا سنة 1815، والذي هدف إلى فصل الجزائر عن الدولة العثمانية، وقطع الإمدادات عنها، ولعلَّ من أهم نتائجه الأولية الحملة الأمريكية على الجزائر 1815، والتي حاولت أميركا من خلالها أن تبرز أطماعها بالجزائر، وتبعتها الحملات الإنجليزية على مدينة الجزائر سنتي 1816-

1824، وبطبيعة الحال فإن فرنسا لن تبقى مكتوفة الأيدي أمام سعي كل من أمريكا وإنجلترا للسيطرة على الجزائر، مما دفعها إلى القيام بحملتها سنة 1830 في الوقت الذي أتهكت فيه القوة البحرية للجزائر، وقامت بالحصار البحري على الجزائر، وإعلانها الحرب، واحتلالها للعاصمة بعد ذلك، وحاولنا أن نستعرض المواقف الدولية من احتلال الجزائر.

وختمنا بحثنا **بخاتمة** تضمنت جملة من الاستنتاجات التي توصلنا إليها.

المنهج المتبع:

نظرًا لسعة الموضوع كنتيجة حتمية لسعة مساحة الدولة العثمانية من جهة، وتنوع مصالح الدول الأوروبية وأساليبها السياسية من جهة أخرى، والتعقد الذي يشوب دراسة العلاقات وتتبعها إلى درجة جعلت من الصعب علينا الإلمام الكلي بأطراف الموضوع، مما جعلنا نبحت الموضوع وفق منهج علمي، يجمع قدر الإمكان بين اعتماد التسلسل الزمني للأحداث، وبين الالتزام بوحدة الموضوع، فكان اعتمادنا على المنهج التاريخي السردى لسرد الأحداث، وفق تسلسل زمني يراعي الأمكنة والشخصيات كما كانت في الماضي.

كما استعملنا المنهج الوصفي الذي يعتبر ضروريا في كل دراسة تاريخي لأنه يسمح لنا بوصف الوقائع والأحداث التاريخية، ويسهل عملية البحث والتقصي.

كما استخدمنا المنهج التحليلي في تحليل مضامين النصوص التي تمّ التطرق إليها، محاولين الوقوف على الآراء المختلفة للمؤلفين ذوي التوجهات المتناقضة، ونوفق فيما بينها فيما يفيد البحث.

نقد وتقييم البيبليوغرافيا:

كان اعتمادنا على مجموعة من الوثائق المتعلقة بالعلاقات الفرنسية والإنجليزية الموجودة بأرشيف الخارجية الفرنسية بباريس.

كما اعتمادنا على الوثائق البريطانية المنشورة والواردة في السجل الوثائقي الضخم المعنون:

The Consolidated Treaty Serie (مجموعة المعاهدات الدولية)

كما اعتمدنا على ما كتبه المؤرخ البريطاني ماثيو أندرسون M. S. Anderson في كتابه الوثائقي: **القوى العظمى والشرق الأدنى 1774-1923**

The Great power and the Near East 1774 -1923

بالإضافة على جملة من المصادر الأجنبية والعربية والمعرّبة منها، وتأتي في الطليعة الكتب الإنكليزية، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر كتاب المؤرخ الأمريكي ستانفورد شو S. Shaw المعنون بـ: **تاريخ الإمبراطورية العثمانية وتركيا الحديثة**

History of the Ottoman Empire and Modern Turkey

وهذا الكتاب يغطي الجزء الأول منه الفترة الزمنية الممتدة من 1280-1808 أي من تأسيس الدولة إلى بداية حكم السلطان محمود الثاني. أما الجزء الثاني فيغطي ما بين 1808 و1975، وبصورة عامة فإن الكتاب بجزئيه الأول والثاني لا يمكن أن يستغني عنه أي باحث في تاريخ الدولة العثمانية، فقيمة هذا الكتاب تأتي من الجهود العلمية التي بذلها مؤلفه طيلة عشرين عامًا، مستندًا على ما تضمنته الأرشيف العثماني والأوروبي.

وتحت عنوان المسألة الشرقية استفدنا كثيرًا من كتاب المؤرخ البريطاني ماثيو أندرسون المعنون بـ: **المسألة الشرقية 1774 -1923 دراسة في العلاقات الدولية**

The Eastern Question 1774-1923. A study in International Relations.

كما أفادنا كتاب: (نابليون والدردييل) **Napoleon and the Dardanelles** لمؤلفه: فيرنون جي بورير V. J. Puryear الذي يعتبر بحثًا شاملًا لردود الأفعال البريطانية والروسية والنمساوية والعثمانية لتوجه أطماع فرنسا نحو الدولة العثمانية ويغطي مرحلة 1798-1815، وما يميز الكتاب فضلًا عن ذلك أن مؤلفه وقف فيه على كم هائل من الوثائق العثمانية والأوروبية، إلى درجة صار معها الكتاب أشبه بالوثائقي.

أما الكتب الحديثة فيأتي في مقدمتها كتاب المؤرخ التركي خليل إينالجيك، الموسوم بـ: (تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار)، وكتاب المؤرخ التركي يلماز أوزتونا الذي أسماه: (تاريخ الدولة العثمانية)، حيث اعتمدنا عليهما في عرض العلاقات الأوروبية وسياسة التقسيم التي تبنتها روسيا وأهم التحالفات الأوروبية.

كما اعتمدنا على مؤلفات كل من: باسم حطاب الطعمة في كتابه: (الموقف الرسمي العثماني من الاحتلال الفرنسي لمصر). وبحث كراولي C. W. Crawley. (الشرق الأدنى والدولة العثمانية 1798-1830). **The Near East and the Ottoman Empire 1798 -1830.**

وكذلك بحث براون المعنون بـ: توازن القوى خلال السنوات 1793 و 1814

The Balance of Power during the Years 1793- 1814

المنشوران في موسوعة كامبردج، والذين أفادا البحث كثيراً.

أما عن المصادر الفرنسية فنلخص أهمها:

Fernand Braudel: La méditerranée et Lemond méditerranéen à L'époque de Philippe 2.

وقد أفادنا لاهتمامه بمنطقة الحوض المتوسط ومجرياته السياسية والجغرافية والاقتصادية، بالإضافة إلى تناوله لأغلب العلاقات والتحويلات التي حدثت بين ضفتيه، وإن كان يتناول فترة قبل فترة موضوع بحثنا، إلا أنه يعتبر مرجعاً في العلاقات المتوسطية، خاصة وأنه اعتمد على وثائق أرشيفية أوروبية.

أما كتاب:

De Testa: Recueil des traites de la porte ottomane avec les puissances étrangères.

والذي يحمل في طياته أبرز المعاهدات الموقعة بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية، مبرزاً أهم بنودها وظروف انعقادها. كما اعتمدنا على كتاب مارس بيير: (السفارات الشرقية للثورة

الفرنسية) والذي يتناول فيه السفارات الفرنسية إلى إسطنبول في الفترة الممتدة ما بين 1792-1798. إضافة إلى مصادر أخرى لا تقل أهمية عن كتاب De Testa.

أما عن الكتب العربية والمعربة ففي مقدمتها كتاب: (الدولة العثمانية تاريخ وحضارة) الذي قام بترجمته صلاح سعادوي، فكانت حاجتنا منه تأتي لأهميته، لأنه عبارة عن مجموعة بحوث كتبها مؤرخون أتراك هم أساتذة متخصصون في الجامعات التركية، وأن ما ورد فيه يمثل وجهة النظر التركية، الأمر الذي لا يمكن للباحث تجاهله. هذا إلى جانب كتب بعض المؤرخين الأتراك، وكتاب أرجمنت كوران: السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر 1827-1847.

ولعدم حصولنا على وثائق عثمانية، فقد حاولنا الاستفادة من الكتب العثمانية، فوجدنا ضالتنا في كتاب: (تاريخ جودت) لمؤلفه أحمد بن إسماعيل جودت.

واستعملنا كتاب روبر مانتران (تاريخ الدولة العثمانية) الذي استخدمناه في العلاقات الدولية وعلاقتها بالدولة العثمانية. إضافة لكتاب محمد صفوت بعنوان: (المسألة الشرقية ومؤتمر باريس)، الذي أفادنا في عرض مواقف الدول الأوروبية: (إنجلترا، فرنسا، نمسا، بروسيا) من السياسة الروسية تجاه الدولة العثمانية. وكتاب مصطفى كامل (المسألة الشرقية) الذي استعملناه في التعرف على أبرز الأزمات في القرن 19م، وكتاب: (المرأة) لحمدان بن عثمان خوجة. وكتاب: (مذكرات الشريف الزهار) الذي أفادنا في العلاقات بين الدولة العثمانية والجزائر في ق 19م. وكتاب عبد العزيز الشناوي (الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها)، والذي عرفنا على أثر الامتيازات في ضعف الدولة العثمانية.

الدراسات السابقة:

ومحاولة منا في إحصاء أهم الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع فإننا توقفنا عند أهمها على سبيل الحصر لا التعميم مذكرة كمال حسنة (العلاقات العثمانية الفرنسية في عهد سليم الثالث). إضافة إلى مذكرة ماجستير للمرحومة عائشة غطاس المعنونة ب: (العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر) كما لا يفوتنا أن ننوه بكتاب العلاقات العثمانية الأوروبية

خلال القرن السادس عشر، وبالرغم من أن هاتين الدراستين بعيدتين زمنياً إلا أننا استفدنا منهما، إضافة إلى دراسات أخرى تمثلت في دراسات ومقالات قيّمة.

الصعوبات:

وقد واجهتنا صعوبات عديدة في إعداد هذه الأطروحة، تتقدمها ندرة الوثائق الخاصة بالموضوع لاسيما العثمانية منها والبريطانية وترجمتها.

ومن نافلة القول أن هديني لا يتعدى سوى مجهود لا يخلو من نقائص، ويشكل نقطة بداية لموضوع ما تزال الكثير من وثائقه حبيسة الرفوف، واختتم بقول أحمد بابا التنبكتي في كتابه نيل الابتهاج بتطريز الديباج "فهو إن لم يوف من ذلك مطلوب الغرض، فلقد قام ببعض الحق المفترض".

والتوفيق من الله وحده.

الفصل النمهيدي

البحر المتوسط كمؤثر حضاري وجغرافي في العلاقات الدولية

- ❖ المبحث الأول: طبيعة البحر الأبيض المتوسط.
- ❖ المبحث الثاني: الأهمية التاريخية والاستراتيجية للبحر الأبيض المتوسط.
- ❖ المبحث الثالث: نشاط القوى الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط وظهور روسيا كقوى متوسطة.

المبحث الأول: طبيعة البحر الأبيض المتوسط

يعتبر حوض البحر الأبيض المتوسط بؤرة إشعاع حضاري، فعلى جنابته نهضت حضارات عملاقة منذ إن عرف الإنسان إنسانيته حيث شهد ساحله الأوربي قيام الحضارات اليونانية والرومانية كما ازدهر على ساحله الجنوبي حضارة مصر الفرعونية.

وقد كان البحر الأبيض المتوسط المدرسة الأولى التي تعلم فيها الإنسان فنون الملاحة وذلك بفضل طبيعة مياهه الهادئة وملائمة الظروف الجغرافية المحيطة بشواطئه للاتجاه صوبه.

ومن الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط خرجت أول جماعات منتجة للطعام حاملة معها اكتشافها الجديد عبر شمال إفريقيا وجبل طارق إلى ساحل الغربي لأوروبا والمناطق المعتدلة الباردة حيث تركت أثارها الميجاليتية هناك كما اتجه أيضا أصحاب هذه الحضارة عن طريق نهر الدانوب إلى أواسط أوروبا وغربها¹.

1. طبيعة حوض البحر الأبيض المتوسط:

يعتبر البحر الأبيض المتوسط من أهم البحار القارية حيث يطوقه اليابس من جميع الجهات ولا يسمح له بالاتصال بالبحار المفتوحة سوى عن طريق ممر ضيق أطلق عليه اسم مضيق جبل طارق²، ويبلغ طول البحر ما يبلغ 2000 ميل كما أن مساحته تصل إلى ما يقارب 1.145.000 ميل مربع.

وينقسم البحر الأبيض المتوسط ظاهريا إلى قسمين غير متساويين في المساحة حيث تفصلهما منطقة ضحلة تمتد من تونس إلى صقلية ومن ثم إلى إيطاليا.

1- يسري الجوهري، جغرافية البحر المتوسط، منشأ المعارف بالإسكندرية، القاهرة، 1984، ص1.

2- جبل طارق: مضيق يقع جنوب إسبانيا يصل البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأطلسي، تسيطر عليه بريطانيا منذ سنة 1704م. ينظر: نفسه.

فالقسم الغربي من هذا البحر أو الحوض الغربي يبدو على شكل مثلث قاعدته في شمال إفريقيا وقمته في خليج جنوة¹ وهو في وضعه هذا يختلف من حيث الاتساع كما يختلف من حيث التكوين عن الحوض الشرقي الذي يشمل البحر الأدرياتيكي وبحر إيجه، وينصف خط عرض 540 شمالاً الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط بينما يعتبر خط 534 شمالاً وهو الخط المنصف لهذا البحر في نصفه الشرقي².

يعد البحر الأبيض المتوسط أكبر بحر يتوسط ثلاث قارات: آسيا وأوروبا وإفريقيا (العالم القديم)، مساحته حوالي 29.655.50 كم² ويصل عمقه إلى 4412 كم وهو يتصل بالمحيط الأطلسي عبر مضيق جبل طارق ويتصل بالبحر الأسود من خلال بحر إيجه عبر مضيق الدردنيل³ وبحر مرمرة⁴ عبر مضيق البوسفور⁵، كما يتصل بالبحر الأحمر عبر قناة السويس. ويضم أقسام متعددة وهي عبارة عن بحار متداخلة معه منها الأدرياتيكي وإيجه ونشأت فيه جزر هامة وعديدة منها قبرص وصقلية وكورسيكا⁶.

- 1- جنوة: مدينة قديمة جدا يقال أكا انشئت سنة 707 ق م، واستولى عليها الرومانيون سنة 22 ق م، وظلت تابعة لهم إلى غاية سقوط الدولة الرومانية، ثم تناوبتها أيدي قبائل المتبربرين، المختلة حتى فتحها شارلمان واستقلت في ق 10، وهي تابعة لمملكة إيطاليا. ينظر: مُجد فريد بك، تاريخ الدولة العثمانية العلية، تح: إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981م، ص162.
- 2- يسري الجوهري، المرجع السابق، ص9.
- 3- مضيق الدردنيل: هو يوصل بين بحر إيجه ومرمرة 40 ميلا وعرضه يتراوح بين ميل وأربعة. ينظر: مُجد فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص335.
- 4- بحر مرمرة: يبلغ طوله 170 ميلا من الشرق إلى الغرب. ينظر: نفسه.
- 5- مضيق البوسفور: يوصل بين بحر مرمرة والبحر الاسود 18 ميلا يتراوح عرضه بين 800 ياردة وميلا وثلاثة أرباع الميل. ينظر: نفسه.
- 6- سيار جميل، البحر المتوسط، الشرعية التاريخية العربية، (مساهمة معرفية في تصحيح بعض المفاهيم)، مجلة دراسات عربية، دار الطليعة، ع9، بيروت، 1988، ص 110.

المبحث الثاني: الأهمية التاريخية والاستراتيجية للبحر الأبيض المتوسط:

للبحر الأبيض المتوسط أهمية تاريخية واستراتيجية منذ القدم حيث قال عبدالرحمان ابن خلدون: «... والساكنون بسيف هذا البحر وسواحه من عودتيه يعانون من أحواله مالا تعانيه امة من أمم البحار...¹». ولما نتكلم عن الأهمية التي يكتسبها هذا البحر في الصراعات الاستراتيجية قديما وحديثا ونشير إلى أن المتوسط يتحكم عبر مداخله في خطوط الملاحة البحرية الداخلية إلى الحوض عامة سواء تلك القادمة من العالم الجديد وإفريقيا الغربية، والشرقية أو الشرق الأدنى والأوسط، أو المتجهة نحو الشرق الأقصى عبر قناة السويس²، وأصبح يشكل البحر المتوسط، تاريخ شعوب وحضارات، قامت على ضفتيه وأسس أهم حضارات التاريخ الإنساني.

1. الأهمية التاريخية للبحر الأبيض المتوسط:

يعتبر البحر الأبيض المتوسط مهد للحضارات القديمة، فالإغريق بحكم موقعهم الجغرافي، وطبيعة شواطئ بلدهم الجزرية، كانوا مؤهلين لركوب البحر، وكسب عيشهم بالوسائل المختلفة، ولعل هذا ما جعل مونتيسكيو يؤكد أن «... جميع الأغاثة الأوليين من القرصنة ومن المحتمل أن مينوس والذي كانت له إمبراطورية البحر لم ينل غير الفوز في قطع الطرق...». وقد كان أعداؤهم الطبيعيون هم الفينيقيون، فهم أول الشعوب المتوسطية المحتكرة للتجارة بهذا البحر، وقد أعطت المنافسة على البحر بين الإغريق والفينيقيين بداية الصراع بين الشرق والغرب في المجال البحري ويمكن النظر لفترة الحروب البونية (264-146 ق م) الطويلة التي دارت بين قرطاجة وروما من هذا الباب، وبعد انهيار قرطاجة سنة 146 ق م سيطرة الرومان سيطرة كاملة على هذا البحر لعدة قرون³.

1- ابن خلدون عبد الرحمان بن مُجَد: مقدمة ابن خلدون، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان 1424هـ/ 2004م، ص 243.

2- رجاء العودي عدون،: الجهاد البحري المشترك بين إفريقيا والمغرب الأقصى بين القرن الثالث عشر والقرن السادس عشر ميلادي، مجلة اللجنة المغربية للتاريخ البحري، المغرب، 1997م، ص 109.

3- الطويل مُجَد سعيد، البحرية الطرابلسية في عهد يوسف القرمنلي (1795-1832م)، ط1، دار الكتب الوطنية بنغازي، ليبيا 2000م، ص 20.

ولما جاء الإسلام واستطاع الفاتحون العرب تحرير بلاد الشام ومصر وشمال إفريقيا من حكم البيزنطي، فوجدوا أنفسهم أمام بيئة جديدة لم يألفوها من قبل لكن سرعان ما تأقلموا مع البحر، فذلّلوا أمواجه وشقوا عبابه واستغلوا كنوزه.

ثم حلّ بالمسلمين عهد الضعف والفتور، وبدأ يشهد البحر الأبيض المتوسط مع نهاية القرن العشر الميلادي وحلول القرن الحادي عشر تزايد ملحوظا في النفوذ المسيحي على حساب الحضور الإسلامي عموما. وبدأ التدني في النشاط البحري الإسلامي يتضح يوما بعد يوم، وخاصة النصارى يهددون السواحل الإفريقية فاحتل روجر النورماني: طرابلس وقابس و صفاقس وفرض عليهم الجزية¹.

ولقد رسم هذا التهديد مقدمات الحروب الصليبية التي بدأت في الجبهة الأندلسية ثم انطلقت إلى الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط وامتدت إلى المسلمين في الشرق، ولا يمكن تفسير ما تقدم إلا على ضوء التفكك السياسي الإسلامي، وتدهور النشاط البحري وانهاره فهو مرتبط أشد الارتباط بالعوامل السياسية والاقتصادية للدولة، رغم كل الجهود التي بذلها الموحدون، وتعتبر سنة (645هـ / 1275م) في نظر بعض الباحثين². المهتمين بالنشاط البحري الإسلامي، هي بداية النهاية للبحرية الموحدية ثم سقوط الدولة أفول نجمها إلى الأبد سنة (645هـ / 1275م).

وبعد سقوط الدولة الموحدية انقسم المغرب إلى ثلاث دويلات هي: بنو حفص (الدولة الحفصية)³ في المغرب الأدنى (تونس وطرابلس) وبنو عبد الواد (الدولة الزيانية)⁴. في المغرب

1- ابن خلدون، المصدر السابق، ص201.

2- عمار عباد المبروك، البحرية في عهد الموحدين، رسالة ماجستير، جامعة الفاتح، ليبيا، 1991م، ص137.

3- الدولة الحفصية: تنسب إلى أبي حفص عمر، زعيم قبيلة هنتاتة المصمودية الذي استقلوا عن الدولة الموحدية في عهد أبي زكيا يحي (633-681هـ / 1228-1251م) ينظر: عبد الرحمان بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العجم والعرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، بيروت، 1971م، ص72.

4- الدولة الزيانية: نسبة إلى زيان بن ثابت، كما تنسب إلى قبيلة بني الواد وهي من بطون الزناتة، أما مؤسس هذه الدولة يغمراس بن زيان (633-681هـ / 1235-1283م)، ينظر: نفسه، ص275.

الأوسط¹، والمربينيون (الدولة المرينية)² في المغرب الأقصى.

وبظهور هذه الكيانات السياسية المتناحرة فيما بينها تحولت الثغور الإسلامية في المغرب من الهجوم إلى الدفاع وأصبح الرباط هو السّمة الأولى للجهاد، ولعل هذا ما يفسر كثرة الرباطات على الساحل المغربي نتيجة لتزايد الأخطار المحدقة بهذا الساحل.

وبذلك فإن هذه الأوضاع وغيرها عكست بصورة واضحة مدى التفوق الذي كانت تتمتع به أوروبا عموماً وإسبانيا خاصة، ذلك التفوق الذي بلغ ذروته في النصف الثاني من القرن الخامس عشر (15) باتحاد مملكتي أراغون³ وقشتالة⁴ واستلامهم على غرناطة سنة (898هـ/ 1492م) آخر معاقل المسلمين في الأندلس وبذلك فتح الباب على مصراعيه أمام الإسبان لمواصلة هجماتهم على سواحل المغرب الإسلامي من المحيط الأطلسي، يدفعهم في ذلك الحقد الديني المورث والرغبة الجامحة في التوسع والتنصير⁵.

ومن أجل هذا صرح الراهب خمينيس (Ximenes) أسقف طليطلة بأنه: «... أول من فكر في إنقاذ شمال إفريقيا من الوحشية الإسلامية لكي تنتصر فيها المسيحية والحضارة»⁶.

1- المغرب الأوسط: أطلق على المناطق الواقعة بين تونس والمغرب الأقصى وحددت ما بين الملوية غرباً إلى بونة (عنابة) شرقاً. للمزيد ينظر: المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني العملة-الأسعار-المداخل، ج1، دار القصبه للنشر، الجزائر 2009م، ص10.

2- الدولة المرينية: دولة ظهرت في المغرب الأقصى نسبة إلى يابان بن كرمات بن مرين وهي قبيلة مغربية. انظر: عبد الهادي التازي التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى يومنا (عهد بني مرين والوطاسيين)، مج 7، مطابع الفضالة بالمحمدية، المغرب الأقصى 1986م، ص ص7-22.

3- أراغون: نظر لموقعها على المتوسط وإشرافها على جزر البليار وسيطرتها على صقلية وسيردينيا ونابولي فقد مهتمة بالبحر الأبيض المتوسط كما كان لها واضح في الصراع مع المسلمين في الأندلس وبلاد المغرب. ينظر: حسين مُجّد نصار، الموسوعة العربية الميسرة، ج2، ط2، المكتبة العصرية، بيروت 2009م، ص63.

4- قشتالة: نظراً لموقعها على المحيط الأطلسي كانت متوجهة للتوسع نحو المحيط الأطلسي وأمريكا. ينظر: نفسه.

5- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492هـ/1792م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1976م، ص ص77، 78.

6- نفسه، ص 82.

إننا الإسبان هم من نقل الحرب إلى إفريقيا بعد أن كانت البلاد الإسبانية مسرحاً لهذه الحرب طيلة قرون، وعملوا على إرغام العرب من أهل إفريقيا على اعتناق دين مسيحي بواسطة السلاح. ولقد حاول الإسبان منذ مطلع القرن السادس عشر خلق إمبراطورية مسيحية وتروسيها وبمساعدة من البابا، توج شارلكان الإسباني إمبراطور العالم الكاثوليكي سنة 1519م. شهدت هذه بداية ظهور الدولة العثمانية على مسرح الأحداث في البحر الأبيض المتوسط، فقد حاول الأتراك بدورهم في الفترة نفسها في جمع شتات المسلمين، واتخذ ملوكهم لقب الخلافة الإسلامية مباشرة بعد دخولهم مصر سنة 1517م¹، خاصة بعد قدوم الإخوة برباروس، إلى الحوض الغربي للمتوسط، وخوضهم لحرب ضد الصليبيين، اشتملت على ثلاثة محاور أساسية: الأولى في البحر، والثانية لإنقاذ أهل الأندلس، والثالثة لمنع الإسبان من احتلال شمال إفريقيا، والهيمنة على المتوسط² وهذا ما جعل الصراع بين الضفتين يأخذ منحى تصاعدياً، بفعل المشكل الأندلسي. واعتبر برودل ميلاد هذين العملاقين أي الدولة العثمانية وإسبانيا في القرن السادس عشر مأساة للبحر المتوسط، لأنهما كانا سبباً في أغلب المواجهات التي عرفتها البلدان المحيطة بهذا الحوض طيلة قرن ونصف³.

وقد بينت رحلة أبي القاسم الحجري الجو العام الذي كان يطبع العلاقات الدولية خلال الربع الأخير من القرن السادس عشر ومطلع القرن السابع عشر، وتميزت هذه الوضعية خلال هذه المدة بالمواجهات الإسبانية التركية في البحر الأبيض المتوسط، وجسدت الإمبراطورية العثمانية تطلعات الأمة الإسلامية وآمالها شرقاً وغرباً⁴.

1- القدوري عبد المجيد، سفراء عرب في أوروبا (1610-1922م) الوعي بالتفاوت، دار المطابع الشرقية، (د.م)، 1998م، ص53.

2- Emmanuelli René: *Gènes et L'Espagne dans la Guerre de Course (1559- 1569)*, Ed, Société Médiévales Méditerranéenne, Paris, 1964, pp20- 23

3- BRADE L Fernond, *la Méditerranées et le monde Méditerranéen à l'époque de Philippe2*, Tome 2, Paris, 1976, p122.

4- أبو القاسم الحجري، ناصر الدين على القوم الكافرين، تح: مُجد زروق، مطبعة النجاح، الدار البيضاء 1987م، ص105.

إنّ نجاح العثمانيين العسكري في الشام ومصر، وإشرافهم على البحر الأبيض المتوسط نبه إسبانيا والبندقية إلى مدى ثقل وزنها السياسي والعسكري والديني وخطورة هذه الدولة الناشئة حتى البابا "ليو العاشر"¹.

الذي كان يخشى أن تتعرض سلامة أوروبا للخطر، وشرع يعد حربا صليبية جديدة كما استفاد العثمانيون من موقع بلاد الشام لضرب الإسبان والبنادقة وفرسان القديس يوحنا في رودس². في عرض البحر الأبيض المتوسط³.

مما لا شك فيه أن التحاق الجزائر بالدولة العثمانية عمل على الوقوف في وجه كل العراقيل، خاصة التجارية الخارجية والضمود في وجه المنافسة الغربية في حوض المتوسط⁴ وأدى إلى اتساع مجالات الدولة العثمانية في البحر الأبيض المتوسط، فهي تتوزع على شمال إفريقيا، وجنوب أوروبا بشكل يجعلها تحاصر البحر المتوسط من كل الجهات فالأراضي العثمانية في إفريقيا تحد شمالا بالبحر الأبيض المتوسط، وجنوبا بالصحراء الكبرى، وشرقا بالبحر الأحمر، وغربا بالمغرب الأقصى الذي ظل خارجا من نفوذها بالرغم من محاولات المتعددة والمتكررة للسيطرة عليه، كما ضمت ممتلكاتها في القارة الإفريقية والسودان الذي فتح لها الأبواب للسيطرة على السواحل الشرقية للبحر

1- ليو العاشر: ولد في فلورنسا سنة 1475م، انتخب على رأس الكنيسة البابوية في 19 مارس 1513 حتى وفاته سنة 1521م كان اقوى حلفاء شارل. ينظر: أحمد مهدي الشويخات، الموسوعة العربية العالمية، موسوعة الكترونية، ط3، (د.د)، المملكة العربية السعودية، 2004م، ص120.

2- جزيرة رودس: تقع في منطقة جنوب بحر إيجه بالقرب من الساحل الجنوبي لتركيا، ولا تبعد عنه سوى 18 كم، وهي ابعد جزر بحر إيجه عن اليونان باتجاه الجنوب، تقع في منتصف المسافة بينها وبين قبرص. ينظر: سمير عبد الرسول العبيدي، السياسة العثمانية حيال البحر الأبيض المتوسط جزيرة رودس أنموذجا، الجامعة المستنصرية، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية قسم التاريخية، (د.ط)، (د.ت)، ص1.

3- عبد الجليل التميمي، رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في ق16م، المجلة التاريخية المغربية، ع 29- 30، 1983م، ص72.

4- أرزقي شويتام، التنافس الدولي في البحر المتوسط، خلال القرنين 18-19، وموقف الجزائر منه، مجلة حولية المؤرخ، تصدر عن اتحاد المؤرخين الجزائريين، ع 3-4، الجزائر 2005، ص 191.

الأحمر أما الشمال الإفريقي، فإن الساحل منه ظل هو القاعدة الرئيسية للنفوذ العثماني، كما تحول المغرب الإسلامي قاعدة للجهاد البحري¹.

وضعت الدراسات الأوروبية "القرصنة" المغاربة ضمن نطاق القرصنة المتمركز في سواحل إفريقيا الشمالية على البحر الأبيض المتوسط بيد أن نشاط القرصنة الأوروبية، بدأ في تاريخ مبكر².

إذ أن امتداد سواحل المغرب الإسلامي كشكل من أشكال الدفاع الشعبي تارة، ومظهر من مظاهر الرفض الرسمي للهيمنة الأوروبية وتهديدها في ظل اختلال القوة تارة أخرى، ينبغي أن الوجه الآخر للقرصنة الأوروبية المتمثلة في نشاط القرصنة الأوربيين الذي لم يكن وليد ظروف الكشوف الجغرافية، والطرء الأندلسي فحسب بلهما امتداد حضاري وصراع عسكري تجلت أبرز مظاهره خلال الحروب الصليبية المتوالية ابتداء من العصر الوسيط، حيث أن العامل الديني كان يعمل على تحريك الجانبين نحو الصدام وظل عاملا فعالا في ذلك الاحتكاك حتى القرن التاسع عشر³.

وأمام هذه الوضعية أصبح المغاربة يفكرون في الدفاع عن الذات بنفس السلاح والمتمثل في الغزو البحري.

لذلك نشأت حركة دفاعية في بعض مدن الساحل الجنوبي للمتوسط لم يكن هدفها في هذه المرحلة مهاجمة العدو ونشر الإسلام وفتح بعض المناطق، بل اقتصر على نوع من الغزو البحري، وبما أن الأسبقية والتفوق العددي والتقني كانت للمسيحيين فقد ظهرت حركة الغزو من طرف

1- ايڤا نون نيڤولاي، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574م، تر: يوسف عطا الله، مراجعة مسعود ظاهر، دار الفارابي، ط1، بيروت، 1988م، ص200.

2- جيروم، ب. وايز، المغرب وقرصنة المغاربة في القرن السابع عشر ميلادي، تع: طارق العسكري وعبد الهادي التازي، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس، السنة السادسة عشر، ع 29-30، الرباط، المغرب، 1399هـ/1979م، ص ص 17-14.

3- أمين محمد، القرصنة وشروط افتداء الأسرى الإسبان بالجزائر في القرن الثامن عشر، مجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع21، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، سبتمبر 2000م، ص24.

المدن الإسلامية وكأنها دفاع عن النفس لا أكثر¹.

وصفت القرصنة في القرن السادس عشر بأنها استراتيجية تسمح بشن الحملات، ولذلك ارتبطت القرصنة بتلك الحروب التي قامت في أوروبا، ثم اتسع نطاقها مع ظهور الدولة العثمانية على السواحل الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط، وبذلك اتخذت القرصنة منحى آخر، منفصلا عن الحروب، مما أدى إلى اتساع هذه الظاهرة، وتطور عملياتها، وتعدد اتجاهاتها، وبالأخص القرن السابع عشر الذي سمي "قرن القرصنة"².

كما طغى نشاط الأوربي في البحر الأبيض المتوسط خلال حروب الثورة الفرنسية والحروب النابليونية وتكبدت الجزائر من جراء ذلك صعوبات ومشاق باضطرارها بحكم المعاهدات التي أبرمتها مع الدول الأوروبية لاستقبال قراصنتها في موانئها وتحمل المشاكل والصعوبات الناجمة عن ذلك في مثل هذه الظروف³.

وكانت الثورة الفرنسية والحروب النابليونية هي التي وجهت أنظار بريطانيا وسائر الدول الأوروبية إلى أهمية البحر الأبيض المتوسط⁴.

2. الأهمية الاستراتيجية لحوض البحر المتوسط؛

إن موقع البحر الأبيض المتوسط الممتاز متوغلا بالألسنة المتعددة ومجموعاته الجزرية المتعددة والمتناثرة في عمق العالم القديم الذي يشكل أكثر من نصف الكرة الأرضية، أكسب هذا الحوض أهمية استراتيجية جوهرية في المجالات الآتية:

1- إبراهيم سعيود، القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة "القرصنة الإيطالية نموذجاً"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ع11، 145-162، قسم التاريخ المركز الجامعي غرداية، الجزائر 2011م، ص149.

2- نفسه، ص149.

3- جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830م، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر 2007م، ص251.

4- محمد رفعت بك، التيارات السياسية في حوض البحر الأبيض المتوسط، ملتزمة الطبع والنشر، لجنة البيان العربي، مصر 1949م، ص145.

أ. نشأة جنس البحر الأبيض المتوسط:

فالمعروف أنا لجغرافيا البشرية تنتمي إلى الأجناس الرئيسية الثلاث تتمثل في الجنس الزنجي أو الأسود الذي يسود القارة الإفريقية أو القارة السمراء، والجنس المغولي أو الأصفر الذي ينتشر في ربوع آسيا كبرى قارات العالم، وأخيرا الجنس القوقازي الذي يسود قارة أوروبا بفروعه الثلاثة وهي:

- الجنس الشمالي أو النوردي الذي يسود أوروبا.
- الجنس الإلبي الذي يسود وسط أوروبا.
- جنس البحر الأبيض المتوسط الذي يسود جنوب أوروبا وحوض البحر الأبيض المتوسط.

ب. نشأت الحضارات والديانات السماوية الكبرى:

فهذا البحر الكبير بسياجه الجبلي الضخم الذي تتداخل فيه الهضاب المتناثرة والذي تفصله عن المياه البحرية سهول ساحلية فسيحة تقطعها أودية نهرية خصبة وأودية جافة غنية بالمياه الجوفية، قد مهد لخلق أقدم الحضارات البشرية، مثل حضارة مصر الفرعونية، وحضارة الفينيقيين في شرق البحر الأبيض المتوسط، كما ظهرت حضارة الإغريقية في شبه جزيرة البلقان ثم حضارة الرومانية في شبه الجزيرة الإيطالية، واستمر الركب الحضاري وظهرت حركة ضخمة من ترجمة التراث القديم الفرعوني واليوناني والروماني إلى العربية وظهرت علوم الرياضيات والفلك والفلسفة وغير ذلك.

وهكذا يبدو واضحا أن فجر حضارة اليوم قد بزغ في ربوع حوض البحر الأبيض المتوسط بفضل موقعه الممتاز ممتدا في قلب العالم القديم¹.

ج. حوض البحر المتوسط يحتضن أكبر شبكة نقل:

فمن زاوية النقل وفقا لموقعه الجغرافي يمتاز هذا الحوض بما يأتي:

1- محمد إبراهيم حسن، دراسات في جغرافية أوروبا وحوض البحر المتوسط، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر 1999م، ص ص

- تقطع سلاسله الجبلية الضخمة بعدد من الممرات الجبلية ومن أهمها ممر سمبلون وممر برنر وممر سان برنارد وممر سان جو ثارد وممر زمرنج هذا بالنسبة لممرات الجنوب الأوربي، أما بالنسبة للأطلس المغربي فنجد ممر تازة بالإضافة إلى ممرات جبال لبنان.
- يعبر هذا الحوض عدد كبير من الأنهار الصالحة للنقل المائي الداخلي ومن أهمها: نهر النيل وأنهار المغرب العربي ونهر الدجلة ونهر الفرات ونهر العاصي ونهر الليطاني ونهر كزل ارمك ونهر سكاريا ونهر الدانوب وكذلك نهر الرون.
- يحاط البحر الأبيض المتوسط بشريط عظيم الامتداد من السهول الساحلية التي مهدت لمد شبكات الطرق تربط السهول الساحلية بالأراضي الداخلية.
- للبحر المتوسط مدخلان رئيسيان: أحدهما مضيق جبل طارق وقناة السويس ومضيق الدردنيل ومضيق البوسفور ومضيق مينا¹.

1- مُجد إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص214.

المبحث الثالث: نشاط القوى الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط وظهور روسيا كقوى متوسطة

كانت الثورة الفرنسية وحروب نابليون هي التي وجهت أنظار بريطانيا وسائر الدول إلى أهمية البحر الأبيض المتوسط المتجددة حيث كانت الدول الأوروبية إلى قبل ذلك لا تكاد تلقي إليه بالا. ولقد بلغ من قلة اكتراث الدول بشأن البحر الأبيض المتوسط قبل الثورة الفرنسية أن نابليون حين ما قام بحملته الشهيرة على مصر في 1798م استطاع أن يفلت من رقابة الأساطيل الإنجليزية وهي إذ ذلك سيدة البحار. عند ذلك تنبعت إنجلترا إلى الخطر الذي تتعرض له مصالحها وممتلكاتها.

1. بريطانيا والبحر الأبيض المتوسط:

لم يكن الإنجليز السكسون يوما من الشعوب التي سكنت حوض البحر الأبيض المتوسط وليس لهم في البحر مصالح تفوق مصالح الشعوب الأوروبية أو الشرقية التي لها سواحل تلامس مياه هذا البحر، ومع ذلك فقد حرصت بريطانيا منذ أن صار لها ممتلكا واسعا على أن تكون لها السيادة في البحر.

وليس بمعنى السيادة هنا أن تكون للدولة جيوش وأساطيل وقواعد ومطارات فحسب فقد توفر لفرنسا من هذه الوسائل في البحر الأبيض المتوسط أكثر مما توفر لبريطانيا، وكان لإيطاليا منها الشيء الكثير، ولكن الدولتين لم تستفيد من ذلك.

وذلك لأنّ للبحر الأبيض المتوسط بوابتين رئيسيين تحكمان إغلاقه، إحداهما عند قناة السويس شرقا والأخرى عند جبل طارق غربا وإنما تكون السيادة للدولة التي تملك مفتاحي البوابتين أو أحدهما على الأقل، ولكن بريطانيا لم تكتف بالقبض على مفتاحي البوابتين بل أنشأت على طريق البحر محطات أو نقاطا بوليسية للحراسة تشرف منها على الملاحة في البحر وتلوذ بها عند الحاجة وفي امتلاك إنجلترا لكل من هذه المحطات دلالة على تطور سياسة بريطانيا إزاء الموقف الدولي العالم.

أما معاقل جبل طارق فاحتلتها إنجلترا في سنة 1713م بمقتضى معاهدة أترخت¹ التي انتهت بها حرب الوراثة الإسبانية. وكانت إنجلترا قد خشيت عاقبة انضمام قوات فرنسا وإسبانيا ضدها بعد أنصار فيليب الخامس حفيد لويس الرابع ملكا إسبانيا فسارعت باحتلال هذه النقطة الحصينة، إمعانا في إيلاام عدوتها إسبانيا من جهة ولكي تشرف منها على الملاحة إلى الشرق عن طريق البحر الأبيض المتوسط وطريق رأس الرجاء الصالح. وكانت إنجلترا في ذلك الوقت قد بدأت تنتشر نفوذها² في الهند فأنشأت شركة الهند الشرقية وباتت الملاحة بين إنجلترا وأملاكها في الشرق تتطلب الحماية والتأمين.

وأما احتلال مالطا فكان في سنة 1800م وكان نابليون بونابرت قد لفت بحملته على مصر أنظار الدول إلى أهمية موقع مصر الحربي والجغرافي وإلى عظم شأن الطريق البري إلى الشرق، فرأت إنجلترا أن تكون لها قاعدة متوسطة بين جبل طارق ومصر، ولم تجد صعوبة في الاستيلاء على الجزيرة من يد الفرنسيين وكانوا قد احتلوها وهم في طريقهم إلى مصر، وقد تأيد امتلاك إنجلترا لمالطا في مؤتمر فيينا سنة 1815م³.

ولما افتتحت قناة السويس سنة 1829م وتحولت إليها طرق الملاحة بين الشرق والغرب لم ترى إنجلترا بدا من إنشاء محطة قريبة من منطقة القناة تشرف منها على أملاك تركيا في غرب آسيا وترقب منها القناة عن كثب. وكانت روسيا تعمل جاهدة في ذلك في مؤتمر برلين سنة 1878م. وكان نصيب إنجلترا في مقابل ذلك إن تنازلت لها تركيا عن جزيرة قبرص.

2- معاهدة أترخت: عام 1713م، حيث أنهت هذه المعاهدة سلسلة الحروب التي حاول آل بوربون عن طريقها فرض هيمنتهم على القارة الأوروبية، إلا أن هناك كثير من الآثار السلبية لحروب لويس الرابع عشر في القرن الثامن عشر، وخاصة في عهدي لويس الخامس عشر ولويس السادس عشر، إذ بقيت أوضاع فرنسا السيئة على الحال نفسه حتى إعلان الرسمي الثورة الفرنسية في 1792م. ينظر: خليل مراد وآخرون، دراسات في التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل 1988م، ص100.

2- مُجَّد رفعت بك، المرجع السابق، ص145.

3- نفسه، ص 145.

ثم وقعت الأزمة المالية في مصر في أواخر عهد الخديوي إسماعيل وقامت الثورة العربية فتدخلت إنجلترا في شؤون مصر المالية أولا واشترت نصيب في أسهم قناة السويس ثم لبثت أن انفردت باحتلال البلاد سنة 1882م وظلت بعد ذلك تسيطر على القناة.

والسياسة التقليدية التي سارت عليها إنجلترا فيما يخص البحر الأبيض المتوسط إن تحولت دون قيام دولة بحرية قوية تناهض أي قوة في ذلك البحر وعلى هذا الأساس ظلت إنجلترا طوال القرن التاسع عشر تعرقل مساعي روسيا في التسلط على المضائق والتسرب منها إلى المياه الدافئة في البحر الأبيض المتوسط¹.

2. فرنسا والبحر الأبيض المتوسط؛

أ. فرنسا وبلاد المشرق؛

علاقات فرنسا بالشرق قديمة منذ وصل رسلها إلى بلاط هارون الرشيد في بغداد وتبادلت بينها الرسائل والهدايا، ويقول بعض المؤرخين أن الفرنجة نالوا من لدنه أمير المؤمنين مزايا خصهم بها في الأماكن المقدسة، وقد تجدد اتصال الفرنجة بالشرق في أيام الحروب الصليبية، وكانت كثرة الصليبيين وكذلك كانت الإمارات الصليبية التي قامت بلاد المشرق في آخر القرن الحادي عشر والتي ظلت باقية نحو قرنين في الداخل وعلى الساحل ثم على الساحل وحده وكان الحكم فيها وفق للنظام الإقطاعي الفرنسي، وما نسى الفرنسيون أنهم في العصور الوسطى جهزوا أكثر من حملة صليبية إلى مصر بقيادة ملكهم لويس التاسع أو القديس لويس سان لوي كما حلالهم أن يلقبوه وهو الذي انهزم أمام "المنصورة" في عهد بني أيوب وأقتيد أسيرا فلم يفك أسره إلا بعد أن دفع دية عظيمة من المال، وقد تركت تلك الحملات التي اقترنت باسم ملكهم أثرا نفسيا دينيا بقي بين الفرنسيين طويلا.

1- مُجَّد رَفْت بَك، المَرَجَع السَّابِق، ص 146.

وفي مطلع العصور الحديثة كان الفرنسيون أول الشعوب الأوروبية تحالفا مع سلاطين آل عثمان، فقد ارتبط فرانسوا الأول¹ ملك فرنسا مع السلطان سليمان القانوني².
في سنة 1535م، ضد الإمبراطور شارل الخامس³. وكان من نتائج ذلك التحالف أن عقدت أولى معاهدات الامتيازات فنال بها الفرنسيون منذ ذلك الوقت في أملاك الدولة مركزا خاصا ممتازا دعا غيرهم من الأجانب إلى التشبه بهم، وكانت تلك المعاهدة أساسا للامتيازات الأجنبية التي قصد بها أولا حماية الدول لرعايا الدول الأجنبية ثم صارت بعد ضعف الدولة الأجنبية ثم صارت بعد ضعف الدولة حقوقا مكتسبة يتمتع بها الأجانب على حساب الدولة، وبفضل معاهدة سنة 1535م أصبح لفرنسا في أنحاء الدولة امتيازات أدبية وسياسية ودينية بقي أثرها كحامية للطوائف الكاثوليكية إلى وقت قريب.

ومع اقتراب نهاية القرن الثامن عشر قامت الثورة الفرنسية وعصفت بأوروبا حروب نابليون بونابرت⁴ التي امتدت به إلى البندقية وساحل دلماسيا شرقي البحر الأدرياتيكي ومن هناك حلق بها

-
- 1- فرانسوا الأول: تولى الحكم مقاطعة "انغوليم" (شمال بوردو في الجنوب لفرنسا)، خلفا لأبيه وحمل لقب كونت، كما أصبح دوقا على منطقة فالوا (valois: شمال باريس)، انتقل إليه عرش فرنسا بعد وفاة أحد أعمامه. ينظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، نقلا عن: <http://ar.wikipedia.org>.
 - 2- سليمان القانوني: أحد أشهر سلاطين العثمانيين حكم لفترة 46 عاما، وبذلك يكون صاحب أطول فترة حكم السلاطين العثمانيين، زادت مساحة الدولة بأكثر من الضعف خلال فترة حكمه، حيث فتح شمال إفريقيا، وفي أوروبا قضى علة دولة المجر وفتح فينا وبلغراد. ينظر: المعرفة، نقلا عن: www.marfa.org/index.php.
 - 3- شارل الخامس: أوشار لكان هو ملك إسبانيا حكمها ما بين 1516-1556م قام بعدة حملات ضد بلاد المغرب الإسلامي مثل حملته ضد الجزائر سنة 1541م وضد تونس 1535م. للمزيد عن هذه الحملات ينظر: صالح حيمر، التحالف الأوربي ضد الجزائر عام 1541م وتأثيرات الإقليمية والدولية، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر 2006-2007. وينظر أيضا: مُجد السعيد بوبكر، العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن الميلادي (1119-1206هـ/1708-1792م)، رسالة ماجستير، مركز الجامعي غرداية، الجزائر 2010-2011م، ص42.
 - 4- نابليون بونابرت: ولد في أوت 1769م بمدينة أجاسيك وبجزيرة كورسيكا، دخل المدرسة الحربية وتدرج في الوظائف إلى غاية 1799م عين رئيسا للحكومة في 18ماي عين بإمبراطور لفرنسا الأولى، توفي في 5 ماي 1821م. انظر: مُجد فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص 76.

الخيال إلى مصر وبلاد المشرق حيث أمل أن تكون له دولة مترامية الأطراف فيقطع على إنجلترا طريقها إلى مستعمراتها في الشرق وفي الهند ويؤسس لفرنسا على حساب الدولة العثمانية الضعيفة سلطانا استعماريًا يعرض عليها ما فقدته في أمريكا وفي الهند، وبدأ نابليون حروبه¹ بعدما أخذ العدة لتحقيق ذلك الخيال حتى كان يوم من صيف عام 1798م حين غافل بونايرت البحرية الإنجليزية فأفلت من رقابة الأسطول الإنجليزي وقام بحملته الشهيرة على مصر فنزل بها فجأة وسار توا من الإسكندرية قاصدا القاهرة وتقابلت قواته الفرنسية بفرسان المماليك عند موقعة إمبابة فانهزم المماليك ولم تلبث القاهرة أن سلمت وأصبحت البلاد تحت حكم بونايرت.

فلما تنبه نيلسون أمير البحر الإنجليزي إلى حقيقة أغراض بونايرت سارع إلى تدبير أمره فحطم الأسطول الفرنسي الذي حمل نابليون ورجاله إلى الشرق وأخذت إنجلترا تضيق الحصار البحري على فرنسا من جهة وتؤلف التحالفات ضدها من جهة أخرى، حتى يئس بونايرت من نجاح مشروعه العظيم في الشرق وفرّ هربا من مصر عقب ارتداده عن حصن عكا، ثم لحقته البقية الباقية من الحملة الفرنسية بعد ثلاث سنوات وثلاثة أشهر من تاريخ نزولهم بالبلاد.

ومع الحملة الفرنسية كانت عقيمة من حيث نتائجها الحربية فإنها من الوجهة السياسية تعتبر بداية عهد جديد تفتحت في أعين الدول إلى الأهمية الاستراتيجية والتجارية لبلاد الشرق الأوسط باعتبارها طريقا إلى الاتصال بالهند والشرق الأقصى والسويس والقاهرة والإسكندرية في مصر، ومن خليج العجم ونهر الفرات وحلب وإسكندرونة² في سوريا والعراق.

1- الحروب النابوليونية: بدأت بعد انتهاء حقبة حروب الثورة الفرنسية (1792-1800م) واتصفت الحروب في هذه الحقبة المضطربة بظهور بدايات مفهوم الأمة المسلحة، ينظر: روجر باركنس، موسوعة الحروب الحديثة، ج2، تر: عبد الرحيم الجلي، دار مأمون، بغداد 1990، ص ص 434-436.

2- الإسكندرونة: لقد كانت ذات أهمية تجارية عظيمة القدر بالنسبة للسوريين قبل فتح السويس حين كان طريق تجاري بري بين آسيا وأوروبا يمر خليج فارس والبصرة ونهر الفرات وحلب وإسكندرونة ومنها إلى موانئ أوروبا. ينظر: محمد رفعت بك، المرجع السابق، ص 174.

فرنسا ظلت طول القرن 19 ميلادي تحن لذكرى الحملة الفرنسية وبطولة نابليون في الشرق وتعمل على توثيق أواصر القربى الروحية والثقافية والاقتصادية بينها وبين شعوب الشرق الأوسط، حتى جاء الاتفاق الفرنسي- الإنجليزي سنة 1904م فخبب أمل المصريين نهائيا في الاعتماد على الصداقة الفرنسية ثم جاءت الحرب العالمية الأولى فمهدت لفرنسا من جديد طريق التسلسل السياسي في شرق البحر الأبيض المتوسط.

ب. فرنسا في شمال إفريقيا:

يحق لفرنسا أن تتباهى بامتلاكها في شمال إفريقيا فهي منها على مسافة قريبة لا يفصلها عنها سوى مياه البحر الأبيض المتوسط التي تلاحم أمواجه سواحل فرنسا الجنوبية كما تلامس سواحل إفريقيا الشمالية، ولا تزيد المسافة بين تولون قاعدة فرنسا البحرية في الجنوب وبين بونة إحدى قواعد بلاد الجزائر على أربعمائة 400 ميل أو أكثر قليلا يقطعها المسافر على متن الجو أو البحر في ساعات قليلة وتمتد ممتلكات فرنسا هذه على ساحل البحر الأبيض المتوسط من تونس شرقا إلى ساحل المحيط الأطلسي غربا من وراء ذلك داخل الصحراء الكبرى إلى بحيرة تشاد جنوبا ولا يقل عدد سكان هذه الأقاليم عن عشرين مليونا من الأنفس عدا ما لفرنسا من مصالح مادية وثقافية في بلاد المشرق ومصر وما لها من زعامة بين الطوائف الكاثوليكية في جميع هذه الأرجاء.

لذلك كان اعتزاز فرنسا بأملاتها وملاحقتها في شمال إفريقيا عظيما وكان تصميمها على الاحتفاظ بسلطانها حكما لا يقبل طعنا أو نقضا مهما اختلفت الحكومات في فرنسا وتنوع نظم الحكم فيها، ففي عهد الملكية أرسلت حكومة شارل العاشر في سنة 1830م حملتها الحربية لاحتلال الجزائر في عهد الإمبراطورية الثانية توطدت سلطان فرنسا في الجزائر واستطاعت أن تقضي على الحركة الوطنية التي قامت بزعامة الأمير عبد القادر لمناوئة الحكم الفرنسي في عهد الجمهورية الثالثة أعلنت الحماية على تونس سنة 1881م ومنها زحفت فرنسا غربا إلى مراكش في أوائل القرن العشرين¹.

1- مُجَّد رفعت بك، المرجع السابق، ص 181.

وها هي ذي فرنسا في عهد الجمهورية الرابعة تولي إفريقيا الشمالية من الاهتمام ما هو خليق بالأرض الطيبة التي فتحت أبوابها لإيواء الفرنسيين الأحرار حين احتل الألمان فرنسا وضيقوا عليهم الخناق في أوروبا فاستقبلت إفريقيا الشمالية جمعية التحرير الوطني الفرنسي وأكرمت وفادتها وأضافتها حتى تمّ تحرير فرنسا نهائياً.

وأول ما امتلكته فرنسا في شمال إفريقيا بلاد الجزائر وقد بررت فرنسا احتلالها بعد إهانة حاكم الجزائر إلى قنصل فرنسي سنة 1827 لما لطمه على وجهه بمذبة كانت بيده على إثر مناقشة حادة شجرت بينهما بشأن رسالة كان الوالي قد بعث بها إلى الحكومة الفرنسية ولم يصله جوابها فسار الوزير بولينياك Polignac في سنة 1830م بحملة إلى بلاد الجزائر وكانت البلاد إذ ذاك تابعة اسمياً لدولة العثمانية وتمسك بأزمة الحكم أسرة عرف أمراؤها بلقب "الداي".

وكانت الدولة العثمانية وقت ذلك متخمة بأملاكها شرقاً وغرباً كما كانت إنجلترا مهتمة بحركة الإصلاح النيابي في بلادها، لذلك لم تلق فرنسا صعوبة تذكر في الاستيلاء على الجزائر ولم تكد تركيا تحس بفقدان هذه البلاد لطول عهدها بالانقطاع عنها، وكذلك لم تعر إنجلترا احتلال فرنسا لتلك المنطقة في ذلك الوقت أهمية خاصة إذ لم يقع في وهما أن فرنسا ستتحذ من بلاد الجزائر قاعدة تزحف منها شرقاً وغرباً وجنوباً فتنتشر سلطاتها على طول ساحل إفريقيا الشمالي ومن الساحل تتسرب قواتها إلى الداخل جنوباً حتى تصطدم بمصالح إنجلترا في وسط إفريقيا.

ومن الجزائر نفسها فيما بعد قامت بعثة الضابط الفرنسي مارشان Marchand جنوباً إلى قلب إفريقيا وحوض النيل حيث وقف وجهها لوجه أمام القوات المصرية يقودها كتشنز في حادث فاشودة المشهورة سنة 1899م.

أما تونس فأقل عمراناً ومدنية من الجزائر ولكنها أشد تمسكاً بتقاليدها واعقد مشكلات منها ومركز فرنسا في تونس مركز الدولة الحامية ويرجع دخول الفرنسيين تونس إلى سنة 1881م، وحمية فرنسا لها هي أو لمكسب سياسي إصابته فرنسا بعد انهزامها أمام البروسيين في سنة 1871م

ويظهر أن بسمارك أراد أن يصرف أنظار الفرنسيين عن الألزاس واللورين وعن فكرة الانتقام من البروسيين، فترك لهم هذه القطعة يلتهمون فيها آملا أن تتولد بينهم وبين جيرانهم الإيطاليين على مر الأيام بذور البغضاء والعداوة بذلك يضمن انضمام إيطاليا إلى جانب ألمانيا إذا دعت الضرورة ومع أن السياسة بسمارك لم تتحقق سريعا لإيطاليا رغم تحالفها مع ألمانيا في أول الحرب العالمية الأولى لم تلبث أن انضمت إلى الحلفاء فلا شك في أن ما شاهدناه في تونس من اضطرابات وانحياز بعض القوات إلى جانب المحور كانت نتيجة محتومة لما نصبه بسمارك من شبك سياسة اصطدمت بها مصالح الدولتين اللاتينيتين الكاثوليكييتين.

ولم يكن غريبا أن يقوم النزاع بين فرنسا وإيطاليا بشأن تونس فالمسافة¹ بين صقلية وتونس لا تزيد على ميلا. وكانت تونس محط أنظار الساسة الإيطاليين منذ احتلال فرنسا للجزائر وتدخلها هي وإنجلترا في شؤون مصر وقناة السويس.

والإيطاليون على عكس الفرنسيين والإنجليز سريعو الاندماج مع الشعوب. لذلك كان الإيطاليون اسبق من الفرنسيين إلى التغلغل في تونس حتى أنهم ابرموا معاهدة مع الباي في سنة 1828م تصون مصالح الإيطاليين في تلك البلاد وتحفظ لهم جنسيتهم فلما دخل الفرنسيون تونس لم يروا من الشهامة أن يجرموا جيرانهم الضعفاء مزايا تلك المعاهدة بعد حالوا بينهم وبين تحقيق بغيتهم فعدوا معهم معاهدة سنة 1868م وتركوا الإيطاليين محتفظين بجنسيتهم داخل تونس كما احتفظوا لهم بمدارسهم ولغتهم وشهاداتهم ومما دعا فرنسا إلى رعاية جانب الإيطاليين والعطف عليهم وما أصابهم في القرن 19 الميلادي من ذلة الانكسار على إثر هزيمتهم في الحبشة في واقعة عدوة سنة 1896م، وكان هذا أيضا من الأسباب التي جعلت فرنسا توافق على احتلال إيطاليا لطرابلس سنة 1911م².

1- مُجَّد رفت بك، المرجع السابق، ص 183.

2- نفسه، ص 184.

3 . ظهور روسيا كدولة أوروبية عظمى؛

ارتبط ظهور روسيا بوصفها دولة عظمى على الخريطة الأوروبية مع بداية القرن الثامن عشر ميلادي، على يد إمبراطورها بطرس الأول¹ وقد ارتبط ظهورها بأفول نجم السويد التي حازت مكانة تزيد على إمكاناتها الطبيعية ومواردها وذلك بفضل جيشها القوي ومواردها البشرية وحتى مطلع القرن الثامن كانت روسيا ذات طابع آسيوي تكبلها أغلال الطبيعة القاسية حيث تتجمد موائنها معظم شهور السنة فكأنما عليها أن تتوسع غربا وجنوبا نحو البلطيق² والبحر الأسود لتصبح دولة عظمى وهي الخطوة التي قام بها القيصر بطرس الأول (1682-1725م) الذي قام بعمله هو تحويل رعاياه الوحوش إلى آدميين.

بدأ بطرس الأول سياسته بتحديث الجيش على النمط الأوربي مستعينا في ذلك بضابط اسكتلندي فادخل أسلحة حديثة، كما انشأ أسطولا ليكمل قوته الضاربة، وسخر بطرس كل إمكاناته وإصلاحاته لخدمة الجيش ليضمن لبلاده الدفاع، وضم رجال من كل الطبقات في الجيش وصارت الترقية وفقا للكفاءة كما استخدم الجيش للحفاظ على الأمن الداخلي والضرب على أيدي الخارجين³.

وحينما تسلم القيصر ألكسندر الأول⁴. الحكم في مارس من عام 1215هـ/ 1800م كانت بلاده في عداء مع معظم الدول الأوروبية، وكان حليفها الوحيد آنذاك هو الباب العالي "العدو التقليدي"، وسرعان ما تحرك الإمبراطور الجديد نحو إقامة حالة من السلم مع بريطانيا وفرنسا

1- بطرس الأول: المعروف باسم بطرس الكبير الابن الأصغر للقيصر ألكسي الأولميخائيلوفتش القيصر الثاني من أسرة رومانوف (1645-1667م) ولد في موسكو وتوفي والده وهو في رابعة من العمر. ينظر: إيمان متعب، السياسة الخارجية والداخلية في روسيا في عهد بطرس الكبير (1672-1725م)، مجلة المستنصرية، الجامعة المستنصرية، قسم التاريخ، العراق، (د.ت)، ص02

2- البلطيق: ذراع من المحيط الأطلسي يمتد في شمال أوروبا، ينظر: الموسوعة العربية الميسرة، المرجع السابق، ج1، ص328.

3- عبد الطيف الصباغ، تاريخ أوروبا الحديث، المرجع السابق، ص46.

4- ألكسندر الأول: ولد عام 1190هـ في سان بطرسبورغ وأصبح إمبراطور روسيا من عام 1225هـ حتى 1241هـ وهو الذي شكل التحالف الائتلاف الذي أدى إلى هزيمة نابليون الأول وقد شارك في المفاوضات التي حفظت السلم في أوروبا.

واحتفظ بعلاقات عادية مع نمسا، وكان يأمل في التركيز على إصلاحات الداخلية، ولكن تحطمت آماله لاستئناف الحرب مع نابليون عام 1219هـ/ 1804م وهزيمة أوستارلتز في بولندا حاربت الجيوش الروسية نابليون ومعها بروسيا وانتهى صلح تيليسنت عام 1221هـ/ 1806م والذي حدد لخمس سنوات بغزو نابليون لروسيا عام 1227هـ/ 1812م واستطاع الروس دفع جيوشهم غربا خلال السنتين التاليتين وظهرت روسيا كقوة أوروبية أعظم من حيث المساحة والأولى من بين المنتصرين على نابليون، واحتفظت بمكانتها حتى منتصف القرن حيث يقاتل الروس خلاله أعداء ضعفا فقط وحينما ارتجفت أوروبا من جراء ثورة فرنسا في عام 1264هـ- 1847م فإن روسيا كانت الوحيدة التي لم تتأثر من بين كافة القوى العظمى آنذاك، وأرسل القيصر في صيف 1265هـ لسحق الهنغاريين في ترانسلفانيا¹.

4. الدولة العثمانية والبحر الأبيض المتوسط؛

ولدت الإمبراطورية العثمانية باعتبارها مقاطعة صغير في منطقة بحر مرمرة وكبرت ولكن ما أن مر قرن ونصف على سنواتها الأولى تلك حتى فرضت هيمنتها في البلقان وبحر إيجه، وشملت سلطتها في البلقان المنطقة التي تسمى اليوم بلغاريا واليونان. بالكامل، بعد فترة قصيرة امتدت نحو منطقة بحر الأدرياتيكي، ونهر طونا (الدانوب)، وشواطئ البحر الأسود ومنطقة الرافدين في قرنها الثاني، وضمت شمال إفريقيا أي أنها بتعبير آخر كانت روما الثالثة بمؤسساتها وحياتها ومفهوم سلطتها العالمية جغرافيتها.

1- صلح تيليسنت: تم تنفيذ لصلح تيليسنت نابليون بونابرت في جويلية 1807م، حيث أرسل جنرالا إلى القوات العثمانية الروسية المتحاربة لإبلاغهم نص الصلح حيث قبل الطرفان ذلك ووقعت الهدنة بينهما بحضور مندوب فرنسي إلا أن روسيا لم تنفذ بنود المعاهدة، وكان الغرض من هذه المعاهدة أن يضمن نابليون جناحه الشرقي، ووجد أن تحالف مع روسيا قد يتم من خلال هذه المعاهدة بالإضافة إلى تعهد نمسا بعدم القيام بالحرب وبذلك يتفرغ للغرب، إنجلترا بالذات. ينظر: شوقي عطا الله الجمل وعبدالله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتبة المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة 2000م، ص 149.

كانت الإمبراطورية العثمانية آخر إمبراطوريات المنطقة المؤسسة في عالم البحر الأبيض المتوسط، وهي دولة احتضنت ثقافته كلها مع ارثه، ونقلتها إلى العالم المعاصر وكانت هذه وظيفتها التاريخية "إمبراطورية متوسطة"¹.

يشكل الأتراك الصفحة الأخيرة من حضارة البحر المتوسط ما أنجز هو إعادة الوحدة مع الشرق، هذا ما حدث بعد العصرين الأموي والعباسي، وخاصة بعد حملة السلطان سليم الأول إلى مصر، مما أدى إلى خفض تأثير الجمهوريات الإيطالية في هذه المنطقة وكانت تلك بداية مزلة بالنسبة لإيطاليا، ولكن شرق المتوسط دخل من جديد بيئة تعيد له التوحد واستمر الأمر على هذا النحو حتى القرن الثامن عشر ميلادي أي عند تأسيس الحضارة الصناعية في الغرب وفرض نفوذه على البحر الأبيض المتوسط بقوة البخار التي اكتشفها، وتراجعت منطقة البحر الأبيض المتوسط في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين وفقدت أهم العلاقات الموحدة في العالم.²

1- ألبير أورتالي، العثمانيون في ثلاث قارات، تر: عبدالقادر عبد اللهي، مركز التعريب والبرجمة، ط1، الدار العربية للعلوم 2014م، ص25.

2- نفسه، ص31.

الباب الأول

أطوار العلاقات العثمانية - الأوروبية في القرن الثامن عشر

(الفرنسية والبريطانية أنموذجا)

- الفصل الأول: العلاقات العثمانية-الفرنسية في القرن الثامن عشر وموقف القوى الأوروبية منها.
- الفصل الثاني: العلاقات العثمانية-البريطانية في القرن الثامن عشر وموقف القوى الأوروبية منها.
- الفصل الثالث: أثر العلاقات العثمانية- الأوروبية على الجزائر في القرن الثامن عشر.

الفصل الأول

العلاقات العثمانية- الفرنسية في القرن الثامن عشر

وموقف القوى الأوروبية منها

- ❖ المبحث الأول: جذور العلاقات العثمانية-الفرنسية.
- ❖ المبحث الثاني: علاقات التبادل بيد الدولة العثمانية والفرنسية.
- ❖ المبحث الثالث: الموقف الدولي من العلاقات العثمانية الفرنسية.
- ❖ المبحث الرابع: العلاقات العثمانية الفرنسية ما بين التقارب والصراع 1789-1801م.

يجدر بنا تقديم توطئة تاريخية لنتضح طبيعة العلاقات بين الدولتين، لكن قبل ذلك سنحاول التكلم عن البدايات الأولى لهذه العلاقة حيث أن المصادر التاريخية ترجع العلاقات الأولى بين العثمانيين والفرنسيين إلى عهد بايزيد الثاني¹، الذي بعث عام 887هـ/ 1482م رسالة إلى لويس الحادي عشر². يطلب فيها على الموافقة بالتزام فرسان رودس بسجن الأمير جيم لكن هذا لم يتم لاعتراضه عدة عراقيل³.

المبحث الأول: جذور العلاقات الفرنسية- العثمانية

شهدت العلاقات العثمانية الفرنسية منعطفًا عند تولي الملك فرانسوا الأول⁴، حكم فرنسا حيث تعتبر هذه الفترة بداية الإرهاصات للعلاقات المنظمة بين الدولتين والمبنية على معاهدة كانت الأولى من نوعها بين الدولة العثمانية بصفتها دولة إسلامية وفرنسا بصفتها دولة مسيحية⁵، وما ساعد في توطيد هاته العلاقات أكثر هو الحضور السياسي والعسكري العثماني في أوروبا وبسبب الهزيمة التي لحقت بفرنسا، حيث وقع فرانسوا الأول أسيرًا لدى شارل الخامس إمبراطور

1- بايزيد الثاني (1447-1512): هو السلطان الثامن من آل عثمان ابن السلطان مُحمَّد الثاني حكم ما بين (1481/1512م) قمع ثورة أخيه جيم، خلعه ابنه سليم الأول من الحكم سنة 1512م. ينظر: علي المولا، المرجع السابق، ص 626.

2- لويس الحادي عشر (1423-1483م): ملك فرنسا ما بين (1461/1483 م) لقب بالملك العاقل كرس حياته لإنشاء دولة قومية جديدة تقوم على تركيز السلطة في يده وتميزت فترة حكمه بكثرة المكائد والدسائس السياسية. ينظر: نفسه، ص 286.

3- مُحمَّد فريد بك الحامي مرجع سابق، ص ص 180 - 179.

4- فرانسوا الأول: (1494-1547) اعتلى عرش فرنسا سنة 1515 بعد وفاة والده لويس الثاني لقب بالملك الفارس كان صاحب ثقافة وآداب وفنون إلا أنه كان ضعيف الشخصية، تابع الحروب الإيطالية بالإضافة إلى صراعه الطويل مع شارل الخامس وتميزت فترة حكمه بالرخاء الاقتصادي. ينظر: عبد الوهاب الكيالي وآخرون، الموسوعة السياسية، مرجع سابق، ص 485.

5- نادية محمود مصطفى، العصر العثماني من الهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة 1996م، ص ص 27 - 29.

إسبانيا سنة 931هـ/ 1525م¹ حيث أرغمه هذا الأخير على توقيع معاهدة مدريد لإذلاله قبل الإفراج عنه².

فطلبت والدة فرانسوا المساعدة من سليمان العثماني لقوته وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على القوة التي بلغتها الدولة العثمانية آنذاك وأصبح وجودها ضروريا لحفظ التوازن السياسي في أوروبا ومن هنا بدأت بوادر العلاقات بين الأستانة وفرنسا ونشأ التقارب العثماني الفرنسي أثناء الصراع ضد شارل الخامس وبهذا رأى فرانسوا الأول أن لا يخلص له من قبضة شارل الخامس إلا بتحالفه مع السلطان العثماني وفي هذه المرحلة بدى الباب العالي كالحامي الفعلي لفرنسا³.

وفي مطلع القرن 11هـ/ 17م حصلت فرنسا على امتيازات من الدولة العثمانية سنة 1604م ومن أهم ما تضمنه هذا الامتياز هو أنه يمكن لجميع الدول الأوروبية التي تمارس تجارتها مع الباب العالي استعمال السفن والحماية الفرنسية ومنع الأساطيل العثمانية من التعرض للسفن الفرنسية⁴ وفي مطلع القرن 17 غيرت فرنسا سياستها تجاه الدولة إتباعا لمصالحها حيث قدمت فرنسا مساعدات عسكرية للبنديقية في حربها ضد الباب العالي بالتحالف مع النمسا وأفرزت هذه الأزمة إنعكاسات سلبية أثرت على التجارة الفرنسية⁵.

وبالرغم من ذلك إلا أن فرنسا ظلت حتى منتصف القرن 18 الحليف الرئيسي للباب العالي في المجال التجاري، أما في الجانب الديني ظل لفرنسا حق حماية المسيحيين الشرقيين والأماكن المقدسة وأصبحت الكنائس الكاثوليكية تحت رعاية حكومة فرنسا وأعطت معاهدة عام 1740م

1- شارل الخامس (1500/1558): ملك إسبانيا ورث الملك عن والدته جان ابنة ايزابيلا تمّ انتخابه أميراً لأكرانيا بعد موت جده لأبيه مكسيميليان قضى أيامه في محاربة فرانسوا الأول وفي سنة 1555م تنازل عن الحكم وعزل نفسه إلى غاية وفاته سنة 1588م. للمزيد أنظر علي المولا، المرجع السابق، ج4، ص 195.

2- مُجّد فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص 181.

3- نفسه، ص 209.

4- نادية محمود مصطفى، المرجع السابق، ص 53.

5- مُجّد سهيل طقوش، تاريخ العثمانية من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط3، دار النفائس، بيروت، 2013م، ص 178.

لها حق حماية الكاثوليك في الأراضي المقدسة ومع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر شهدت العلاقات بين الطرفين منعطفًا جديدًا قاد إلى قطيعة شبه نهائية بينهما بسبب الحملة الفرنسية على مصر¹.

1. القرن السابع عشر (17م):

تميزت العلاقات الفرنسية العثمانية طيلة القرن السابع عشر بالتقارب نتيجة منح الدولة العثمانية لامتيازات جديدة لفرنسا نزولًا عند رغبتها وهذا ما يبرر سماح الدولة العثمانية للأسطول الفرنسي بالعبور للبحر الأسود في بدايات القرن السابع عشر مما دفع بريطانيا للمطالبة بنفس الأمر والتي نجم منه عقد اتفاق بين الدولة العثمانية وفرنسا يتكون من 84 بندًا كان أهمها تحصين السفن الفرنسية والرعايا الفرنسيين من الاعتداء وفي منتصف القرن السابع عشر بلغ النفوذ الفرنسي ذروته وعكس ذلك الضعف العثماني².

إضافة إلى إن فرنسا كانت تسعى للحفاظ على مصالحها تجاه الدول الأوروبية وهذا ما يؤكد وقوفها إلى جانب البنادقة خلال صراعهم مع العثمانيين وإرسال جيشها لمؤازرة الجيش النمساوي ضد العثمانيين خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر وفي ظل هذا الصراع منحت الدولة العثمانية العديد من الامتيازات للدول الأوروبية الأخرى³.

فحصل الهولنديين على امتيازات تحت علمهم في غياب العلم الفرنسي بالإضافة إلى حصولهم على ضرائب بقيمة أقل من الفرنسيين مما جعل التجارة الفرنسية تتعرض للقرصنة على السواحل العثمانية مما نجم عنه اضطراب في العلاقات العثمانية الفرنسية نتيجة انخفاض عدد

1- عبد العزيز مجد الشناوي، المرجع السابق، ص 36.

2- ليلي الصباغ، الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين 16-17، بيروت، ط1، 1989، ص ص 154-160

3- مجد عبد اللطيف البحراوي، حركة الإصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني 1808-1839، ط1 القاهرة 1978، ص31-32

التجار الفرنسيين في الأراضي العثمانية¹.

وازداد التوتر بين الطرفين مع بدايات القرن السابع عشر إلى غاية تولي مصطفى الأول عرش السلطنة 1618-1623 حتى كادت تقدم الحرب بين الطرفين على إثر حادثة هروب أحد أشرف بولونيا الذي كان مسجوناً في إسطنبول بمساعدة السفير الفرنسي اشيلدوهارلي Achildeharli ونجم عن ذلك سجن السفير الفرنسي.

أربعة أشهر مما أدى إلى توتر العلاقات أكثر عند تولي عثمان الثاني السلطة أرسل رسالة اعتذار إلى الملك الفرنسي لويس الثالث إلا أن الظروف لم تهدأ بسبب كشف مؤامرة ضد الدولة العثمانية بفرنسا ترأسها كارلس الثاني إلى جانب الفرنسي دو كليف، فقد سعى المتآمرون إلى ألمانيا وإسبانيا من أجل مساعدتهم في الحرب على الدول العثمانية وبالرغم من كل الإجراءات التي اتخذت من أجل هذه الحرب إلا أنها فشلت نتيجة احتراق الأسطول لأسباب مجهولة². وبتولي الكاردينال رشيلىو (1624-1642) Richelui مقاليد الحكم في فرنسا سعى العرض وساطة لأنهاء الحرب الثانية بين الدولة العثمانية والبنديقية مقابل إعطاء الفرنسيين امتيازات أوسع واشتمل مما حصل عليه الإسبان والهولنديين والإنجليز وقد كان الفضل لريشلىو في الوقوف أمام العديد من المؤامرات على الدولة العثمانية³.

حيث نجم عن تحركات رشيلىو أن أبدى السلطان موافقة على إنشاء قنصلية فرنسية في القدس سنة 1621 والسماح للفرنسيين بإصلاح القبر المقدس⁴.

1- كمل حسنة، العلاقات العثمانية الفرنسية في عهد السلطات سليم الثالث 1789-1807، رسالة ماجستير كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2005-2006، ص 28.

2- شكيب أرسلان، تاريخ الدولة العثمانية، تحق: حسن السماحي سويدان، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 2001، ص ص 214-216.

3- اميل خوري وعادل إسماعيل، السياسة الدولية في المشرق العربي 1789-1958 من الثورة الفرنسية إلى مؤتمر فيينا 1815، ج1 دار النشر للسياسية والتاريخ، بيروت، 1959، ص ص 23-24.

4- قيس جواد الغزاوي، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، ط2 مطبعة المتوسط بيروت، 2003، ص 26.

ساءت العلاقات بين الدولتين بعد وفاة ريشليو مما احبط التجارة خاصة في عهد السفيرين دي مارسفيل ودي لاهاي مما ضخم امتيازات الإنجليز والهولنديين¹.

استمر الحال على ما هو عليه إلى غاية تولي كولبير زمام الأمور في فرنسا والذي كان يهدف إلى انعاش التجارة الفرنسية في الدولة العثمانية وتحسين العلاقات الدبلوماسية من خلال الاهتمام باللغات الشرقية الان العلاقات ساءت من جديد نتيجة الاختلاف بين ابن دي لاهاي والصدر الأعظم بخصوص امتيازات لتأمين تجارة الهند عبر الطريق البري كما كان لتصرف الملك لويس الرابع عشر والذي قصد ترهيب الصدر الأعظم من خلال إرسال أربع سفن حربية عام 1670 وتهديده بالحرب وهذا ما قوبل بالرفض وحرم الفرنسيين من المرور من مصر إلى الهند².

لعب الإنجليز والإيطاليون دور في سوء العلاقة بين البلدين من خلال تأليب الصدر الأعظم على السفراء الفرنسيين، حيث لم تتوصل فرنسا على امتيازات جديدة إلى غاية القرن الثامن عشر حيث سعت هذه الأخيرة إلى اتجاه حلول المدة التي قضاها العثمانية عن طريق سفيرها فير بول Fer Piol والذي رغم طول المدة التي قضاها السفير أليور Aluoirs الذي سعى إلى تحريض الدولة العثمانية على روسيا³.

2. القرن الثامن عشر (18م)؛

أدركت فرنسا إن مصالحها تمكن في زيادة امتيازاتها لدى الدولة العثمانية وتحسين علاقاتها معها فسارعت إلى رسم علاقات جديدة فأبرمت عام 1739 اتفاقا يتكون من 25 مادة تمت بموجبها تجديد كل الامتيازات السابقة بالإضافة إلى أنّ باقي الدول الأوروبية يمثلون سفراء في الدولة العثمانية ويبقى نشاطهم تحت السلطة السياسية الفرنسية بالإضافة إلى امتيازات تجارية

1- مُجد طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط2، دار النفائس، بيروت، 2008، ص ص 304-305

2- مُجد فريد بك الحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحق: إحسان حقي، ط11، دار النفائس، بيروت، 2009، ص 298

3- ثريا فاروقي وآخرون، تاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية: تر: قاسم عبدة قاسم، ط1، مج 2 دار المدار الإسلامي، 2007، ص 415.

واجتماعية أخرى جعلت من فرنسا الدولة الأولى من بين الدول الأوروبية نفوذا في الدولة العثمانية وتجسد هذا النفوذ في شخصية سفير فرنسا في إسطنبول الذي أضحى مستشارا للسلطان حيث حضي بدور في الأزمة البلقانية بين العثمانيين و صربيا والنمسا وكان له الفضل في استرداد الدولة العثمانية لممتلكاتها كما لعب دورا في الوساطة بين العثمانيين والسويد وتمكن من تحديد المعاهدة بين الطرفين العثماني والفرنسي سنة 1740 زادت من امتيازات فرنسا في الدولة العثمانية¹.

شهدت الدولة العثمانية نوعا من الضعف مع النصف الأول من القرن الثامن عشر حيث تكررت هزائمها أمام روسيا والنمسا وزادت أطماع الدول الأوروبية في ظل عدم تمكنها من حماية رعاياها وهذا الوضع كان فرصة لفرنسا في زيادة امتيازاتها وتوسيع علاقاتها مع الدولة العثمانية فقد توطدت العلاقة بين الطرفين خاصة بعد تولي السلطان سليم الثالث مقاليد الحكم 1789-1807². وساعد تأثر السلطان بالتطورات الغربية خاصة الفرنسية في ظل وجود صديقة إسحاق بيه³. في تمتين العلاقة بين الدولتين وهذا ما يؤكد الخطابين الذين أرسلهما السلطان عن طريق إسحاق بيه لكل من ملك فرنسا لويس السادس عشر (1774-1789) ووزير الخارجية الفرنسي دي فرجين وقد تلخص محتوى الخطابين بإبراز مكانه فرنسا وعلاقتها القديمة مع الدولة العثمانية وأنها هي من فرضت حرب الدولة مع روسيا بالرغم من معارضة كل من بريطانيا وبروسيا مقابل المساعدة العسكرية في حين أنها معارضة كل من بريطانيا وبروسيا مقابل المساعدة العسكرية

1- Shawis, **Histoiy of ottomane E mpire and mdrn turky empine of dizalhe rise deulume of ottman empir 1280- 1800**, comhridige urevity 1976. p162

2- عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1 مطبعة الانجلو مصرية، القاهرة، 1983، ص105

3- اسحاق بيه: كان سفيرا لفرنسا في إسطنبول في عهد السلطان مصطفى الثالث، ثم هاجر إلى فرنسا بعد محاولات غازي باشا حسين قتله بسبب تقاربه الشديد مع روسيا وقد أقام في فرنسا منذ 1786، وكان بينه وبين السلطان مصطفى صداقة قوية حيث تعهد برعايته المادية والمعنوية طيلة مدة إقامته بفرنسا، كان الوسيط المخلص لإجراء المراسلات بين السلطان وملك فرنسا لويس السادس عشر. ينظر: أحمد مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ط1، القاهرة، 1968م، ص ص 173-174.

في حين أنّها لم تف بوعدها¹.

وبتولي سليم الثالث عرش الدولة العثمانية الذي يتزامن مع قيام الثورة الفرنسية حيث تقرب الثوار من الدولة العثمانية للاعتراف بالثورة في ظل المعارضة الأوروبية في حين تريث العثمانيون في التصريح بآرائهم حول الثورة الفرنسية وبالرغم من الصداقة بين السلطان والملك الفرنسي المقتول إلا أنّه رحب بالمبعوثين الفرنسيين وأحسن استقبالهم.

ولإبداء حسن النية من فرنسا تجاه الدولة العثمانية اعادت تأسيس المطبعة الفرنسية 1745 في إسطنبول بهدف نشر أفكار الثورة الفرنسية وإشعار العثمانيين بأن فرنسا هي الأفضل وبالرغم من جهود دي كورش الذي قام بتأسيس النادي الجمهوري لأصدقاء الحرية والمساواة من أجل الدعاية للثورة الفرنسية إلا أنّه لم ينجح في اقناع السلطان بالاعتراف الرسمي بالثورة الفرنسية.²

إلا أن هذا تحقق في عهد خليفة دي كورش، ريموند فرينياك الذي كان نشاطه فور وصوله إلى إسطنبول وحضي باستقبال رسمي وقدم العديد من الهدايا الفاخرة للصدر الأعظم وبالتقاء مع السلطان العثماني سليم الثالث والصدر الأعظم واستعراضه للعلاقات الفرنسية العثمانية القديمة مما نجم اقتناع السلطان واعلانه اعترافا رسميا بالجمهورية الفرنسية.³

أغضب هذا التقارب البريطانيين ويتضح ذلك في رسالة السفير البريطاني في إسطنبول لوزارة الخارجية والتي شرح فيها مدى التأثير الفرنسي في الدولة العثمانية وبالرغم من الضغوط البريطانية على الدولة العثمانية إلا ان العلاقة بين الطرفين لم تتأثر إلا بالحملة الفرنسية على مصر 1798 والتي جسدت أطماع نابليون في أملاك الدولة العثمانية والتي كانت بمثابة رد فعل على الاطماع

1- Hemiy-la frame déramât le monde pains 1945. p37

2- Shaxy- s op. cit. pp195- 196

3- De Testa- lb. op. cit. p208

البريطانية في الشرق الأدنى وعرقلة مشاريعها السياسية والتجارية في الهند¹ واستغلت فرنسا إنشغال الدولة العثمانية بجربها مع روسيا واعتمادا على التقارير التي قدمها الرحالة الفرنسيون والتي أعطت صورة كاملة عن وضعية المصريين الاجتماعية والاقتصادية إضافة إلى العلاقات التي ربطتها مع العناصر القبطية واليهودية في مصر وبهذا قرر نابليون حملته على مصر بهدف تأسيس إمبراطورية فرنسية في الشرق تبدأ في مصر والشام والسيطرة على البحر المتوسط وبذلك يوجد طريقا بديلا على رأس الرجاء الصالح.²

1- السيد رجب جرار، المدخل إلى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال البريطاني 1517- 1882، القاهرة 1970- ص108.

2- I. Myantery. p, **le drame orient** ale France Paris p88.

المبحث الثاني: علاقات التبادل بين الدولة العثمانية وفرنسا

1. معاهدات الامتيازات:

استطاع العثمانيون وطيلة قرون أن يجعلوا من البحر المتوسط بحيرة عثمانية هادفين إلى اختراق أوروبا وفرض السيطرة عليها وفي ظل الصراع الأوربي لعبت الدولة العثمانية الطرف الثالث في هذا الصراع من خلال الامتيازات¹ التي منحتها للدول الأوروبية في أقاليمها والتي لم تكن وليدة القرن 19م، فقد كان من زمن قديم، حيث وصلت أوجها في القرن 16م حين كانت الدولة العثمانية قد بلغت أوج قوتها واتساعها نظير ذلك كان العالم الأوربي يعيش صراعات سياسية ودينية، الأمر الذي أدى بالدول الأوروبية للبحث عن حليف، وليس هذا فحسب بل كان لتلك الامتيازات آثار على الدولة العثمانية اختلفت بين الآثار الإيجابية والسلبية، ففي مرحلة القوة كانت هذه الامتيازات بمثابة عامل ايجابي زاد من قوتها وساهمت في إنعاش الاقتصاد العثماني، غير أن هذا الوضع لم يستمر، فمع مطلع القرن الثامن عشر بدأت الآثار السلبية للامتيازات الأجنبية في الظهور، وبسبب حالة التراجع التي وصلت إليها الدولة العثمانية، أصبحت الامتيازات أداة تستخدمها الدول الأوروبية لتتدخل في شؤونها فضلا على أنها أدت إلى انتشار الإرساليات البشرية التي مهدت بدورها إلى الغزو الثقافي ومن ثم إثارة الفتن والخلافات الطائفية لتؤدي كل هذه العوامل في الخير إلى إسقاط الدولة العثمانية.

وعلى هذا الأساس عقدت الدولة العثمانية خلال مراحل تاريخها الطويل العديد من معاهدات مع بعض الدول الأوروبية اشتهرت باسم "الامتيازات الأجنبية"²، والتي استفادت منه

1- مفهوم الامتيازات الأجنبية: من الناحية اللغوية تأخذ معنيين في اللغة اللاتينية القديمة تسمى *Caput* و *Capital*، وفي اللغة الحديثة عرفت باسم "*Capitulum*" و "*Capitulatio*" والتي تعني في الوثائق أو الخطوط العريضة في المعاهدات. الوثائق أو الخطوط العريضة في المعاهدات.

أما المفهوم الاصطلاحي: فهي تلك الحقوق التي تمنح إلى الدول الأجنبية من قبل دول أخرى ولا يتم ذلك إلا بناء على اتفاق أو معاهدة مبرمة بينهما، وهي تأخذ عدة أشكال: تجارية، دينية، سياسية، اقتصادية. ينظر: وليد العريض، تاريخ الامتيازات في الدولة العثمانية وآثارها، مجلة دراسات الجامعة الأردنية، مج 24، ع 1، الأردن، 1997، ص 154.

2- مُجَّد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط3، دار النفوس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2013، ص 579.

فرنسا كثيرا لربطها علاقات مع الدولة العثمانية منذ بواكير القرن 16 حيث تحصلت فرنسا على تسهيلات كبيرة في الأراضي العثمانية¹.

تحالفت فرنسا مع الدولة العثمانية ضد أطماع إسبانيا وعليه استغلت الدولة العثمانية حالة الصراع والتنافس لفرض نفوذها السياسي والعسكري على أوروبا²، حيث كان للمصالح المشتركة بين البلدين الدور الكبير في استمرار التعاون والتعارض خلال فترة طويلة بالرغم من التوتر الذي ميز العلاقة بين البلدين من حين لآخر جراء الظروف الاقتصادية والدينية والسياسية³.

إلا ان الطرفين استطاعا ان ينجحا في الحد من حالة التوتر في كل مرة فمعاهدة 1604 التي حصلت بموجبها فرنسا على امتيازات جديدة وأكثر أهمية من سابقتها⁴ وقد شهدت العلاقة بين البلدين نوعا من الفتور جراء العديد من الأحداث التي ميزت الفترة خاصة في ظل نشاط الدبلوماسية العثمانية ومصالحها في أوروبا من جهة والتنافس الإنجليزي والروسي للفرنسيين من جهة أخرى كل هذه العوامل زادا الدعم الفرنسي للبندقية ضد العثمانية والتي أفقدت ثقة العثمانيين في فرنسا إضافة إلى اعتقال السفير الفرنسي فانتيلدوهاي Vantely de Haye والذي تسبب في أزمة دبلوماسية بين الطرفين.

وبالرغم من معاهدة سنة 1673 إلا ان العلاقة بين البلدين لم تعد إلى سابق عهدها إلا ان الظروف والتطورات التي ميزت النصف الأخير من القرن السابع عشر والنصف الأول من القرن الثامن عشر والى أحدثت تغيرات في نمط العلاقة بين فرنسا والدولة العثمانية خاصة بعد زيارة مُجَّد أفندي إلى باريس والذي تمكن من نقل التطورات التي شهدتها فرنسا في المجالات العمرانية والعسكرية إلى الدولة العثمانية، مما جعله من بين الداعمين للثقافة الغربية والمدنية حيث سعى إلى

1- إدريس الناصر، العلاقات العثمانية الأوروبية في القرن 16، ط1، بيروت، 2007، ص 95

2- هارولد لامب، سليمان القانوني، تر: شكيب محمود، بغداد 1961، ص 118

3- ايريس الناصر، المرجع السابق، ص 108

4- Ch. Desplat; **Henri IV et les ottomane**. Colloque III, Paris 1989, pp398. 418

تغير النمط العمراني وإنشاء الحدائق،¹ والعمل على الجانب الثقافي ودعمه من خلال إنشاء المطابع للاستفادة من العلوم الأوروبية واستيعاب التقنيات الجديدة وإعادة تنظيم الجانب العسكري العثماني وفق الأساليب الحديثة.²

لعب الصلح الذي ساهمت فيه فرنسا بين روسيا والنمسا من جهة والدولة العثمانية من جهة أخرى والذي تجسد في صلح بلغراد 1740 دورا في بقاء الساحة فارغة لفرنسا لزيادة نفوذها في الدولة العثمانية وتوسيع امتيازاتها وهذا ما سعى إليه الماركيز دو فيلينيوف³ De villeneuve.

ولعل معاهدة 1740 التي تعتبر من بين أهم المعاهدات التي وقعتها الدولة العثمانية مع فرنسا لما جاء فيها من امتيازات لم تكن فرنسا لتحصل عليها فيما سبق لولا الظروف الدولية التي ميزت المرحلة وفي ظل الأطماع الروسية لتقسيم الدولة العثمانية وهذا ما جعل هذه الأخيرة سوقا تجاريا للدول الأوروبية تحت السيطرة الفرنسية.⁴

إن تتبعنا للامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية والتي كانت تفرضها المصالح والتحالفات الأوروبية ما فتئت ان أصبحت تمس بكيانها خاصة مع النصف الثاني من القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر حيث أصبحت الدول الأوروبية تسيء استخدام هذه الامتيازات من خلال تدخلها في شؤون الدولة الداخلية عن طريق رعاياها من النصارى وفي ظل الضعف التي شهدته الدولة في بعض فتراتها كان خروج الرعايا عن طاعة أوامر الدولة مما نجم عنه حركات تمرد ثورات داخلية.⁵

فقد كانت هذه الامتيازات في البداية عملا فرديا منوطا بالسلطان وبرغبة منه، إعرابا عن الصداقة والتحالف، أما فيما بعد أصبحت القوى الأوروبية تطالب بنفسها بالامتيازات متنافسة فيما

1- روبر مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير السباعي، دار الفكر، ج2، القاهرة، 1993، ص 414-415

2- خالد زيادة، اكتشاف التقدم الأوربي دراسة في المؤثرات الأوروبية على العثمانيين في القرن 18، ط 1، دار الطليعة للنشر بيروت، 1981، ص 07.

3- ثريا فاروقي وآخرون، المرجع السابق، ص 452-453.

4- عمر لطفي بك الامتيازات الأجنبية، مطبعة الشعب، مصر، 1322هـ، ص ص 17-18.

5- إسماعيل أحمد ساعي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، المرجع السابق، ص 95.

بينها وبإملاء الشروط فأصبحت استغلال للاقتصاد وسببا في دمج الدولة في نظام التحالفات الأوروبية¹.

شكلت الامتيازات عامل ضعف للدولة العثمانية في الفترة الأخيرة من حكمها في ظل التوسيع الأوربي حيث ساهمت في عرقلة الإصلاح وبما ان أكبر الامتيازات منحت لفرنسا نظرا لتقاربها العسكري والسياسي والاقتصادي فقد كانت وسيلة لفتح أبواب التجارة دون الخضوع للاحتكار كما حصلت على الحق في الحماية تحت علمها للرعايا الأجانب.²

بالرغم من مساعي الدولة العثمانية من وراء الامتيازات إلى احياء الطريق التجاري إلى البحر المتوسط إلا أنها فقدت مقابل ذلك سيطرتها الداخلية والخارجية.³

حيث نتج عن نظام الامتيازات الأجنبية العديد من الإنعكاسات فعلى الصعيد الاقتصادي تم ربط الاقتصاد العثماني بالرأسمالية الأوربي وأحكام قبضته عليه من خلال الشركات الاستثمارية، إذ لم يكن بإمكان العثمانيين النهوض باقتصاد بدون المصانع والقوة البشرية ذات التدريب والخبرة العالميين، فضلا عن الأنظمة التجارية الأوروبية، فتراوح أثره بين الإيجابي والسلبي وسيطرت المتعامل الأجنبي على التعامل التجاري فبعد ان كانت الدولة العثمانية تسيطر بأحكام على حوض المتوسط والبحر الأحمر والبحر الأسود والخليج العربي ومضايق البوسفور خرجت التجارة الداخلية والخارجية من ايدها.⁴

أما على الصعيد الثقافي والتعليمي فأن الدولة العثمانية لم تهتم بالتعليم والثقافة كما أن التعليم في الفترة المبكرة كان مقتصرًا على النصارى في الوزارات العثمانية بسبب البعثات التنصيرية، ولم

1- نادية محمود، مصطفى العلاقات الدولية في تاريخ الإسلام في العصر الحديث من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية المعهد العلمي للفكر الإسلامي، 1981، ص86.

2- عيسى الحسن، الدولة العثمانية عوامل البناء وأسباب الانهيار، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2009، ص 140.

3- جفري برون، تاريخ أوروبا الحديث، تر: على مرزوقي، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2006، ص 596.

4- وليد صبحي العريض، تاريخ الامتيازات في الدولة العثمانية واثارها، مجلة دراسات عربية، ع1، مج4، الأردن، 1997، ص 307.

يظهر النشاط التعليمي والثقافي إلا في فترة متأخرة من القرن التاسع عشر، ولكن آثاره لم تكن واضحة على المجتمع، لأنّ الناحية الثقافية تحتاج إلى فترة زمنية طويلة حتى يظهر تأثيرها بنحو واضح على المجتمع.

أما على الصعيد السياسي، فإن الامتيازات الأجنبية أعطت فرصة القناصل والسفراء، حيث كان لهم دورا بارزا في تنفيذ المخططات الأوروبية الهادفة إلى تحطيم الإمبراطورية العثمانية.

فبحكم الامتيازات العديدة التي تمتعت بها هذه الفئة تمكنت من كسب ولاء الأقليات، وقد شكلت القنصليات الأوروبية المنتشرة في كامل أرجاء الإمبراطورية العثمانية خطرا كبيرا هدد كيان الدولة العثمانية، فبالنظر إلى دورها إذ كانت تعمل باستمرار على تحريض الطوائف المختلفة على الثورة والعصيان الأمر الذي شكل تهديدها على الحكم العثماني في الولايات العربية¹.

ولأنّ الامتيازات لم تقتصر على الجانب الاقتصادي بل تعدته إلى التدخل في شؤون الدولة، ولم يعد الأجانب يخضعون لسلطة الحكام المحليين إلى تمتع الرعايا الأجانب بحصانة مكنتهم في التدخل في السيادة العثمانية من خلال القناصل وتجلي هذا التأثير في الطرف الفرنسي الذي اتخذ من معاهدات الامتيازات مرجعية للتدخل في شؤون الدولة، وإثارة الاضطرابات الداخلية صدمة لمصالحه كما حدث مع مُحمَّد علي².

وتعددت مظاهر التدخل الأوروبي في الشؤون الداخلية في الدولة العثمانية حيث اقترن ذلك بفترة ضعف الدولة العثمانية ولعل أبرز ملامح التدخل الأوروبي تجسد في الأزمة المصرية حيث توسطت فرنسا لدى مُحمَّد علي، ليووقف عملياته العسكرية ضد السلطان، مستغلة علاقاتها بمحمد علي لإقناعه بتسوية الخلافات بينه وبين السلطان بالطرق السلمية، وأوفدت الأمير روبين إلى الباشا لتسهيل عملية التسوية، وكانت فرنسا مدفوعة في ذلك من منطلق حرصها على صداقتها

1- جمال محمود حجر، القوى الكبر والشرق الأوسط في القرنين التاسع عشر والعشرون، تق: عمر عبد العزيز عمر، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1409هـ/ 1989م، ص28.

2- الغالي غربي، المرجع السابق، ص 206.

مع الباشا ومصالحا في بلاده¹.

لكن الموقف الفرنسي هذا كان له جوانب سلبية بالنسبة لفرنسا، ذلك أن ارتفاع نفوذها في مصر وفي مثل هذه الظروف، قد يكون على حساب النفوذ الفرنسي في إسطنبول وقد حذر السفير الفرنسي في العاصمة العثمانية من ذلك، ورأى أن من واجبه أن ينفذ مصالح بلاده بأن يتدخل هو شخصيا لدى الباب العالي ويعرض عليه دور الوساطة الفرنسية، وبناء على ذلك كتب السفير الفرنسي إلى إبراهيم باشا بأن يتوقف عن التقدم نحو إسطنبول. ومن الملاحظ هنا أن فرنسا اتخذت هذا الموقف في وقت كانت سياستها فيه تقوم أصلا على تقسيم الإمبراطورية العثمانية.

2. الإصلاحات العثمانية والتأثير الفرنسي؛

عرفت الدولة العثمانية مع بداية القرن 19 ما يعرف بالتنظيمات الخيرية على عهد السلطان محمود الثاني إذ لا يمكننا ان نقول ان الإصلاحات العثمانية بدأت فعليا خلال هذه الفترة إذ لا يمكننا ان نقول ان الإصلاحات العثمانية بدأت فعليا خلال هذه الفترة وإنما بدأت قبل هذا الوقت ففي عهد السلطان أحمد الثالث 1703-1720 أي بدايات القرن الثامن عشر بدأ الاتصال بالغرب والتأثر بالحضارة الغربية من خلال السفراء.² ففي عام 1718 وصل إبراهيم باشا إلى منصب الصدر الأعظم فعمل على إدخال الحضارة الغربية واقتبس منها متأثر بها السلطان العثماني على البدء في الإصلاحات العسكرية حيث تم افتتاح مدرسة العلوم الهندسية في سنكاري 1734 على النمط الفرنسي ونظرا للصراع القائم خلال هذه الفترة وتأثير معاهدة كوجك كينارجي 1774 كرسي السلطان عبد الحميد الأول جهود لإنشاء مدفعية بحرية على الطراز الأوربي حيث كلف بها البارون ديتوت والذي انتقل إلى خدمة فرنسا في إسطنبول 1755.³

1- الغالي غربي، المرجع السابق، ص 29.

2- عمر عبد العزيز، محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، دار المعرفة الجامعية (د.ط) (د.م)، 2010، ص 51.

3- روبر مانتران، المرجع السابق، ج 2، ص 08.

أما في فترة السلطان سليم الثالث¹ الذي كانت علاقاته مع فرنسا وطيدة إلى حد كبير حيث قبل للعرش وبالرغم من علاقاته مع لويس السادس عشر إلا ان فرنسا بعد الثورة الفرنسية كانت تتعامل بحذر شديد². ولأنّ هذه الفترة عرفت الحملة الفرنسية على مصر والتي شكل منعرجا حاسما في تاريخ العلاقة بين البلدين وأمام أطماع الإمبراطورة كاترين الثابتة في منطقة القرم³.

وهذا ما دفع السلطان العثماني لطلب العون العسكري والفتى من فرنسا والتي أرسلت حوالي 70 فرنسيا من امهر الفنيين في صناعة الأسلحة وكان هذا الدعم للحصول على تأييد للثورة الفرنسية اما من الناحية العثمانية فقد عين السلطان سليم الثالث حسين كاشك باشا قبودانا عاما وأميرالا للبحرية وأوكل له مهمة القيام بإصلاح البحرية العثمانية على الطراز الأوروبي فأنشأ العديد من السفن واستقدم خيرة المهندسين من فرنسا لإنعاش صناعة المدافع وقام بترجمة كتاب المعلم فوبآن الفرنسي في وقت الاستحكامات⁴.

عملت فرنسا على إنعاش القوة العثمانية من خلال إرسال نماذج من الخطط والقذائف الحديدية والبنادق والرصاص كهدايا لضمان تأييد السلطان في المنازعات السياسية والعسكرية التي كانت بين فرنسا والدولة الأوروبية وازداد التعاون العسكري بين البلدين إلى حدّ إرسال ضباط وقتيين لتدريب الجيش⁵.

وأمام هذه الإصلاحات العسكرية التي تعمل عليها الدولة العثمانية حصل اضطراب داخلي قامت به الانكشارية خوفا من فقدان مكانتها مما احدث نوعا من الصراع الداخلي في حين أن

1- سليم الثالث: ولد عام 1175هـ اعتلى العرش سنة 1203هـ وجه العثمانية لتنظيم الجنود وحشدتها وتقوية المعقل وتعزيز المالية كانت حرب مع روسيا والنمسا تمكن من ردع الاعتداءات بقيادة يوسف باشا قبودان باشا توفي 1222هـ ينظر: غزتلو يوسف بك اصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأهم حتى الان، تق: مُجّد زينهم مُجّد عزب، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995 ص ص 112-113.

2- حسن حلاق، تاريخ الشعوب الإسلامية الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية ط1، لبنان، 2006، ص36.

3- عمر عبد العزيز، المرجع السابق، ص 56.

4- وديع أبو زيدون، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، الاهلية للنشر والتوزيع ط1، الأردن 2003، ص

5- ناهد إبراهيم الدسوقي المرجع السابق، ص 261.

الجيش الجديد الذي انشأه سليم الثالث على يد الفرنسيين كان له الفضل في افشال مخططات نابليون لاحتلال عكا واخراجهم من مصر ولكن هذا لم يشفع للسلطان حيث تخالفت قوى الانكشارية والمؤسسة الدينية ووقفت ضد هذه الإصلاحات مما دفع السلطان إلى إنشاء فرقة النظام الجديد والتي تتلقى تدريبها على النمط الأوربي الحديث¹.

لم يتوقف السلطان عند الإصلاح الداخلي بل تعداه إلى الإصلاح الخارجي من خلال عقد التحالفات والسعي إلى تجديد السياسة العثمانية الخارجية من أجل تحقيق القوة والامن والابتعاد عن السياسة التقليدية والعزلة فدخل في تحالف دفاعي مع السويد وروسيا سنة 1790².

في الوقت الذي كان السلطان سليم الثالث يرى ان هذه الإصلاحات هي خدمة للدولة العثمانية في ظل المتغيرات الدولية كانت أطراف أخرى ترى عكس هذا مما دفعهم إلى عزلة جاعلين من إصدار مرسومها يتعلق بالتعليم الابتدائي سنة 1804م وتبعيته لمسؤولية الدولة جدل الهيئة الإسلامية³.

3. النشاط الدبلوماسي واثره على العلاقات العثمانية الفرنسية؛

بالرجوع إلى القرن السابع عشر الذي تميز بتكالب الدول الأوروبية للحصول على امتيازات في الدولة العثمانية من جهة وإلى الصراع القائم بين الدولة الأوروبية فيما بينها كفرنسا وإنجلترا وبين الدول الأوروبية وروسيا من جهة أخرى بغرض الدفاع عن مصالحها تجد ان التعامل مع الدولة العثمانية ميزته الطبيعية الدبلوماسية حيث سعت الدول الأوروبية إلى إرسال سفرائها ومحاولة احتلالهم مكانة مرموقة لدى الباب العالي بغرض الحصول على امتيازات أكثر ولعل هذا تأكد مع بداية القرن السابع عشر

1- أحمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، دار الشرف ط1، القاهرة 1982، ص179.

2- عمر عبد العزيز المرجع السابق، ص61-62.

3- عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، الاهلية للنشر والتوزيع ط1. الأردن

وحكم مراد الثالث والذي جدد العلاقات مع فرنسا مع امتيازات تفوق ما تحصلت عليه الدول الأخرى التي سعت بكل جهد للحصول على امتيازات اقتصادية مثل إنجلترا والنمسا.¹

ولعل ذلك التذبذب الذي ميز فترة ما بعد السلطان مراد الرابع 1622-1640 مع فرنسا والتي لجأت فيها إلى أسلوب التهديد تارة واللين تارة أخرى من أجل تجديد الامتيازات وتوسعها وهذا ما يؤكد الملك الفرنسي لويس الرابع عشر 1643-1715 والذي بعث سفيره إلى إسطنبول لتأكيد حق فرنسا في امتيازات تمنح لسفرائها بحق النظر في قضايا رعاياها وأن يعاملوا بكيفية لائقة وأن لهم الحق في ممارسة الأعمال الرسمية.²

وإذا ما حاولنا ان نتوقف عند أهم البعثات الدبلوماسية بين الدولتين فنجد حسين جاويش يرأس بعثة إلى فرنسا سنة 1664 حيث شرح خلال بعثته المراسم العثمانية والتقاليد السلطانية ثم بعده سليمان آغا الذي انتقل إلى باريس حاملا رسالة من السلطان إلى ملك فرنسا مصحوبا بـ 20 موظفا وأرسل تقريرا يصف فيه الأدب الفرنسي والثقافة الفرنسية وطلب من السلطان الاهتمام بالرحالة الفرنسيين بشكل خاص بالإضافة إلى تقارير العسكرية وقبول هذا بالمثل من طرف السلطان العثماني حيث حضرت البعثات الفرنسية بالاستقبال وتمت مناقشة التجهيزات العسكرية معهم.³

وفي ظل الاستقطاب الذي ميز فترة نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر بين الأطراف الروسية والنمساوية من جهة والفرنسية والإنجليزية من جهة أخرى لعبت الدولة العثمانية دورا من خلال سياسة التوازن بين الأطراف.

وكما سبق وأن ذكرنا أن ما ميز القرن الثامن عشر في الدولة العثمانية والتي عرفت دخول الثقافة الأوروبية إليها من خلال المطبوعات الغربية والانفتاح على الدول الأوروبية وفتح سفارة

1- حسن عبد الفتاح أبو عليّة، الدولة العثمانية الوطن العربي الكبير، دار المريخ الرباط، 2008، ص 238

2- أحمد فؤاد متولي، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، القاهرة، 2005، ص 269-207.

3- نسيم عبد العزيز عبد الحاج علاوي، الاتجاهات الإصلاحية في الدولة العثمانية 1623-1789، أطروحة دكتوراه، كلية الأدب جامعة الموصل، 2006، ص 199-200.

فرنسية في إسطنبول والتي سيكون لها دور في تسرب الأفكار العلمانية إلى الدولة¹.

فغيرت أنماط الاستقبال والاحتفالات في الدولة العثمانية متأثرة ببلاطات أوروبا وهذا بناء على تقارير السفير العثماني في باريس الذي شرح كيفية استقبال السفراء ومراسيم الاحتفالات في فرنسا. ولعل هذا ما دفع السلطان إلى تغيير بعض أشكال الدبلوماسية خاصة فيما تعلق بالسفراء وذلك تماشياً مع المراسيم الأوروبية، نشطت البعثات الدبلوماسية العثمانية ففي مرحلة السلطان مصطفى الثالث 1757-1774 والتي تمثل فترة انتعاش الحركة الدبلوماسية خلال هذا القرن ميزها نشاط حركة التبادل الثقافي مع فرنسا من خلال فتح المجال للرحالة العثمانيون للسفر إلى فرنسا وتشجيع القادمين من فرنسا إلى إسطنبول لمتابعة نشاطهم الاقتصادي².

إزداد نشاط البعثات الدبلوماسية في عهد السلطان عبد الحميد الأول 1773-1789 حيث شجع البعثات العلمية من خلال نشاط وزيره خليل حميد باشا الذي جلب خبراء فرنسين لتدريب المعارف الحديثة والفنون العسكرية³.

4. السفارات العثمانية الفرنسية المتبادلة:

غيرت الدولة العثمانية سياستها الدبلوماسية من خلال اهتمامها بأوروبا والتعرف على التطورات التي وصلت إليها ولعل هذا ما تجسد في كتاب مُجد أفندي المعنون - سفراتنامة-، والذي وصف فيه رحلته إلى باريس والتعرف على التقدم الأوربي كما ساهم في تقريب الرؤى بين الدولتين من خلال حنكته وفطنته وإدراكه للمعالم الفرنسية وتعرفه على المؤسسة العسكرية وتطور الأسلحة والواقع العمراني⁴.

1- رولان موسية، تاريخ الحضارات والعالم عهد الأنوار، تر: يوسف أسعد وفريد داغر، ط2، منشورات عويدات، بيروت، 1987- ص113.

2- ثريا فاروقي وآخرون، المرجع السابق، ص305-306.

3- خالد زيادة، المرجع السابق، ص34.

4- نفسه، ص 35.

توطدت العلاقات العثمانية الفرنسية بعد الحملة الفرنسية نظرا للظروف التي ميزت الفترة خاصة فيما تعلق بتوسعات نابليون والقوة التي أصبحت عليها فرنسا في وقته حيث بعث السلطان سفير مهيب أفندي لتقديم التهاني وأن السلطان يؤكد على الصداقة والتعاون ولعل هذه هي المرحلة التي كان فيها التقارب جديا حيث أكد نابليون على مساعدة الدولة العثمانية من خلال سفيره مهيب أفندي إذا أكد الأخير على إقامة حلف سري تحسبا لأي تحرك روسي.¹

سفارة فرينيك: اعتبر فرينيك أول سفير للجمهورية الفرنسية حيث وصل إلى إسطنبول في ماي 1795م وتم استقباله بحفاوة حتى إلتقى مع السلطان واقترح عليه الدخول في الحلف الذي عقد بين روسيا وفرنسا والذي لم تنظم إليه الدولة العثمانية ولأنّ فرنسا كانت تسعى إلى تقوية نفسها نظرا لتخوفها من إنجلترا وبالرغم من جهود فرينيك ومسايعه مع السلطان لعقد الحلف إلا أنه فشل في ذلك لأنّ الأخير كانت تسعى إلى الحفاظ على التوازن الدولي.²

سفارة أودبيردوي 1796: أمام تراجع الامتيازات العثمانية لفرنسا في هذه الفترة وحصول الدول الأوروبية على امتيازات جديدة مثل إنجلترا وهذا ما يهدد المصالح الفرنسية مما جعل من مهمة أودبيردوي هي السعي إلى ارجاع المكانة التجارية والاقتصادية لفرنسا في الدولة العثمانية وهذا ما تؤكد مطالبة بعقد حلف سري بين الدولتين الغرض منه حماية التجار الفرنسيين وأمن الدوليتين لم يبق أودبيردوي إلا ما يقارب سنة ونصف في إسطنبول حتى توفي سنة 1797 دون أن يحقق تحالفها رسميا معلقا بين الدولتين.³

1- Bertrand Barbilles, **un tnc Paris 1806- 1811 relation de voyage et de mission Mouhib. effandi; ambassadeur saultan Salim III; d'apres un manuscrit autographe.** edition bossard. Paris 1920 pp. 10- 24

2- le baron testa recueil des traites de la porte ottomane avec la puissances étrangères; Tome 2; Amyot édit Eure des archives diplomatique; Paris 1867; pp223- 233

3- Edouard diaule, **Napoleon et l'Europe la politique extérieure de premier consul 1800-1803;** Felix alcom; Paris 1910; pp368- 371

المبحث الثالث: العلاقات العثمانية الفرنسية ما بين التقارب والصراع 1789-1801م

1. الموقف العثماني من الثورة الفرنسية:

مثل تاريخ 1789 عصرا جديدا في فرنسا خاصة وأوروبا عامة حيث شهد قيام الثورة الفرنسية التي كانت بمثابة تغير جذري في فرنسا مس الأفكار المتعلقة بنظام الحكم ومؤسسات الدولة حيث أحدثت انقلابا اجتماعيا بلغ تأثيره إلى ارجاء أوروبا مما جعل الدول الأوروبية تقف في مواجهتها.¹ وفي الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية تعاني من الضعف والانحلال والتدهور بسبب ضعف السلاطين والضعف الخارجي التي نتجت عنها معاهدات اقتصادية أثقلت كاهل الدولة العثمانية.²

سعت فرنسا إلى التقرب منها وكسبها كحليف في ظل الرفض الأوربي للجمهورية من ناحية والتخوف من التعارض بين فرنسا والدولة العثمانية من جهة أخرى والذي يشكل خطر على المصالح الروسية والإنجليزية.³

ولعل ما قام به السلطان سليم الثالث من إصلاحات في المجال الخارجي خاصة فيما تعلق بالعلاقات الدبلوماسية والخارجية مع النمسا وروسيا 1791-1792 ساهم في تبلور الجمهورية ولو بطريقة غير مباشرة إذ جعل الروس يفكرون فيما جاءت به الثورة الفرنسية من قيم الحرية والمساواة وامام الضغط الروسي على الدولة العثمانية من أراضيها والتي لوحث باستخدام القوة في حالة عدم الموافقة على المطالب حيث سعت هذه المطالب إلى منع أي تقارب عثماني فرنسي.⁴

ساهمت كل هاته الظروف السياسية والاقتصادية التي ميزت البلدين في تقريب وجهات النظر وإعادة التفكير في التحالف للوقوف في وجه المخططات الخارجية الرامية إلى تقسيم بلادهم

1- Philip boucler; *la rusduomLaja silice Edition demanda*; Paris 1989; p33

2- زهراء أحمد خليل، الامتيازات الأجنبية في بلاد الشام في العهد العثماني من أواسط القرن 18 حتى الحرب العالمية، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، ص 85.

3- زهراء أحمد خليل، المرجع السابق، ص 87.

4- خالد زيادة، الإصلاح العثماني في القرن الثامن عشر، ط1، بيروت، 1983، ص ص 50-52

ولعل هذا ما شهد لاعتراف الدولة العثمانية بالحكومة الفرنسية الجديدة وجعلهم مستعدين لتقديم العديد من التنازلات لاستعادة العلاقة مع فرنسا.¹

رغم أن العلاقات التجارية بين الدولة العثمانية وفرنسا عرفت ركودا كبيرا منذ بداية الثورة الفرنسية إلا أننا نجد في نهاية سنة 1794م سفينة تجارية عثمانية اتجهت نحو مصر لنقل القمح لمرسيليا ونيس². هذا ما أعطى أملا بإعادة إحياء علاقات التحالف والصدقة بين الطرفين خاصة وأن تلك السفينة أقلعت بأمر من السلطان العثماني سليم الثالث³. وبالرغم من المفاوضات إلا أنه لم يتم في هذه الفترة من التوصل إلى تجسيد التحالف العثماني الفرنسي⁴. ومع نهاية سنة 1794م تم توقيع معاهدة بين الباب العالي وبريطانيا منحت بموجبها امتيازات مهمة في مصر⁵. هذا ما أغضب فرنسا وأدى بها إلى التفكير في ضرب مصالح بريطانيا وبهذا وجهت فرنسا حملة على مصر سنة 1789م وهذا تراجع نفوذ الفرنسيين في الدولة العثمانية وفي المقابل زاد نفوذ بريطانيا فيها⁶.

2. الموقف العثماني من الحملة الفرنسية على مصر:

تعتبر هذه الأزمة من أبرز إحداث المسألة الشرقية فبهذه الأزمة ظهر مدى الضعف والانحطاط الذي آلت إليه الدولة العثمانية من ناحية وإمكانية مهاجمتها في أرضها والتغلب عليها هذا ما فتح بالصراع بين الدول الأوروبية حول مصالح ممكنة لها في الأراضي العثمانية⁷.

1- de la Jonquiere; **Histoire de Lemire ottomane**; Parise; 1881- p223

2- خالد زيادة، المرجع السابق، ص 38.

3- سليم الثالث (1788-1807م): تولى السلطة بعد وفاة عمه عبد الحميد الأول واهتم بالإصلاحات وتقوية الأسطول تميزت فترة حكمه بالاضطراب والحرب مع روسيا فكرس جهده للقتال، وفي عهده استولت روسيا على الأفلاق والبغدان ينظر: اسماعيل أحمد باغي، المرجع السابق، ص 125.

4- فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص 211.

5- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 307.

6- عرف حسن الدراندلي، الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثمانى مخطوطة ضيانامه، تر: جمال سعيد عبد الغني، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1999، ص 130.

7- محمد سعيد العثماني، تاريخ المصريين (مصر والحملة الفرنسية)، (د.ط)، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1999م، ص 45.

أ. أسباب وظروف الحملة الفرنسية على مصر (1798م):

أثرت الحملة المصرية في تاريخ مصر والشرق العربي وتعددت الآراء حولها، حيث أن فكرة احتلال مصر راودت الأواسط الفرنسية مرارا لأسباب عديدة¹.

مباشرة بعد نجاح الثورة الفرنسية وتولي نابليون زمام الأمور بدأ يفكر بالتوسع في مصر نظرا لموقعها الاستراتيجي وبناء على تقارير ميور Mior سنة 1790 التي دعا فيها فرنسا إلى احتلال مصر دعمه تقرير القنصل الفرنسي بمصر في عهد حكومة إدارة مانجالو Mingalon والذي كان بدوره في وزارة الخارجية وإقترح غزو مصر، كان التفكير في الحملة الفرنسية على مصر على أساس قطع الطريق أمام إنجلترا والسيطرة على منافذ البحر المتوسط².

كانت كل تقارير الرحالة والقناصل الفرنسيين تؤكد الضعف والصراع الداخلي الذي تعاني منه مصر وساعدت العلاقات التي ربطتها فرنسا بالأقباط واليهود وبعض عناصر المماليك من تسهيل الحملة على مصر التي تقرر القيام بها يوم 05 مارس 1798.

كانت الحملة تحمل في طياتها العديد من التناقضات حيث تقرر أن القيام بالحملة سيعمل على إبعاد الإنجليز عن كل ممتلكاتهم في مقر وتحطيم قواعدهم التجارية مع الحفاظ على علاقة الصداقة مع السلطان العثماني في حين كانت مصر مركزا إقليميا تابعا للدولة العثمانية³.

ومن الأسباب التي دعت فرنسا إلى احتلال مصر رغبتها في جعل البحر الأبيض المتوسط بحيرة فرنسية وتطلعت فرنسا على مصر بالذات لمكانتها الحربية والاقتصادية⁴. كما أن موقعها الاستراتيجي الممتاز جلب اهتمام القوى الكبرى وبهذا ازداد اهتمام فرنسا بمصر⁵، كان الفرنسيون

1- عبد العزيز مُجَّد الشناوي، مرجع سابق، ص 40.

2- M. vertrary, *journal dun affier de l'armedegypte ,larmerfrancaise en Egypt 1798- 1801* .manuscrit inus en order et publie par II Galli Gharpentier, editeur, Paris 1883, p195- 197

3- E. L. I. De testa, tom1, op. cit. pp, 515- 518

4- خالد زيادة، المرجع السابق، ص ص 41- 42.

5- عزت حسن افندي الراندي، مرجع سابق، ص 132.

على دراية بطبيعة المسلمين وأحوالهم في مصر من خلال الجواسيس الذين أكثروا من رحلاتهم إلى المشرق ودرسوا كافة الجوانب السياسية والاقتصادية والعسكرية. ودرسوا المجالات دبلوماسية تجاه الباب العالي وسياسيا تجاه إنجلترا واقتصاديا باتجاه الهند وبهذا أصبحت المسألة المصرية معدة ومهيأة، وتقرر القيام بها رسميا في 05 مارس 1798م من قبل حكومة الإدارة الفرنسية¹ وقام الأسطول الفرنسي بالإبحار من طولون ووصل إلى القاهرة من 19 ماي إلى 27 جويلية 1798م². كان مشروع الحملة في سرية تامة حتى لا تعلم إنجلترا³.

ب. سير الحملة:

انطلق الأسطول الفرنسي من ميناء طولون في 19 ماي 1798م وصولا إلى مالطا بعد حوالي عشرين يوما من الإبحار ولم يتلقى مقاومة فيها واستولى عليها وقضى فيها نابليون وجيشه ستة أيام ثم غادرها بعد ما ترك فيها حامية متوجها نحو الإسكندرية⁴. وكان نابليون يحبس جنوده ويجرضهم ضد الإنجليز وقال للجنود أن الشعوب التي سيعيشون معها شعوب مُجَدِّية مبدأهم الأول في الدين "لا إله إلا الله مُجَدِّ رسول الله" لا تعارضوهم⁵. لما علم الإنجليز بخروج الأسطول الفرنسي اعتقدوا أنه متوجه إليهم فحصنوا ثغورهم⁶ ولما علموا أنهم توجهوا نحو الشرق ساروا خلفه بقيادة الأميرال نيلسون⁷ Nielson.

وصل نيلسون إلى الإسكندرية في 28 جوان 1798م وطلب ملاقة حاكم المدينة فقابلهم مُجَدِّ كريم وسألهم عن قدومهم فاخبره نيلسون أنه جاء يتبع الأسطول الفرنسي بهدف منعه من

1- عزت حسن افندي الراندي، مرجع سابق، ص 12.

2- أحمد حافظ عوض، نابليون بونابرت في مصر، (د.ط)، القاهرة كلمات عربية للنشر والتوزيع والترجمة، (د.د)، (د.ت)، ص 93.

3- عبد العزيز مُجَدِّ الشناوي، مرجع سابق، ص 43.

4- أحمد حافظ عوض، المرجع السابق، ص 90-91.

5- اسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، المرجع السابق، ص 22.

6- نفسه، ص 204.

7- نيلسون: (1758-1805م) نائب أميرال إنجلترا شارك بمعركة النيل. ينظر: <http://ar.wikipedia.org>.

دخول المدينة لكن مُجدَّ عبد الكريم لم يصدقه¹ وبعد ثلاثة أيام من مغادرة نيلسون ظهر أسطول فرنسي ضخيم على شارف الإسكندرية في جويلية 1798م وكان نابليون قد كتب رسالة إلى باشا مصر يخبره فيها أنه جاء لتأديب البايات المماليك الذين أهانوا التجار الفرنسيين²، بدأت القوات الفرنسية بالنزول على شاطئ الإسكندرية فنزع السكان عمل نابليون على استعماله الأهالي وبث السكنية فيهم وأمنهم على أموالهم ودينهم بهدف إخضاعهم وحثهم على مساندته لطرد المماليك من مصر وكتب نابليون منشور بالعربية للأهالي. ليطمئنهم فيه على أرواحهم وأموالهم ودينهم.

بعد مكوثه ستة أيام في الإسكندرية توجه نابليون إلى القاهرة حيث دخلها في 27 جويلية 1798م وقام بعدة إصلاحات بهدف توطيد حكمه وأعلن أنه لم يأت غازيا لمصر بل حليفا للباب العالي في محاربة المماليك³. وحاول بكل الحجج والذرائع لإقناع السلطان العثماني وتخفيف رد الفعل السلبي مستغلا سطوة المماليك⁴.

بالرغم من المساعي الإنجليزية والروسية والتي كانت تدفع السلطان لإعلان الحرب على فرنسا بداية من دخول نابليون بجيشه إلى مالطا واقتراحهم مساعدته بأساطيلهم إلا أن السلطان بقي مترددا في اتخاذ موقف حاسم⁵.

ولأنَّ إنجلترا كانت متخوفة على مصالحها وتجارتها في الهند سعت إلى مواجهة الفرنسيين والحرب معهم وهذا ما كان في موقعة أبوقير في أوت 1798 ولأنَّ معركة أبو قير استطاعت أن تعرقل نابليون لإلتهامه فيها، قرر السلطان العثماني الحرب على فرنسا في سبتمبر 1798 بمساعدة إنجلترا وروسيا⁶.

1- عبد العزيز مُجدَّ الشناوي، المرجع السابق، ص 42.

2- نفسه، ص 43.

3- نفسه، ص 43.

4- Ibid, pp, 521- 224

5- Bonapret Napoleon, **Corespondance de Napoleon 1er pubile par ordre de lemereur Napoleon III**, du vol 4a15, henri plon, Paris 1860, p379.

6- E. DRIAULT. **la question dourent depuis ses originsjusqu a noujour**, felixalcon, Paris 1898, p75

كانت أخبار حرب الدولة العثمانية على فرنسا بمثابة دافع للأهالي في مصر للإعلان الثورة على الجيوش الفرنسية وبالرغم من عدم نجاح ثورة الأهالي واصل نابليون جهوده ساعيا إلى إرجاع السلطان العثماني عن الحرب إلا أن العثمانيون كانوا قد أعدوا حلفا مع روسيا وإنجلترا للحرب على فرنسا¹.

ج. التحالف الثلاثي (العثماني-الروسي-الإنجليزي) ضد فرنسا وإخراجها من مصر:

رغم مساعي نابليون وحكومته لإقناع الباب العالي، إلا أن الدولة العثمانية دخلت في مفاوضات جدية للتحالف مع روسيا وإنجلترا ضد فرنسا². فتم توقيع معاهدة تحالف دفاعية بين الدولة العثمانية وروسيا وأن يكون للقوتين نفس الحلفاء ونفس الأعداء وسيادة كل دولة على ممتلكاتها، وتعهدت روسيا أن تمد الدولة العثمانية بما يتوفر لديها من القطع الحربية وبهذا منحت الدولة العثمانية روسيا الحق في أن تمر سفنها الحربية في المضائق العثمانية واتفقوا على أن صلاحية هذا يكون لثمان سنوات مؤقتا³. ويعتبر الغزو الفرنسي لمصر أول احتلال عسكري مسيحي أوربي لولاية عثمانية إسلامية في التاريخ الحديث وانضمت إنجلترا إلى الحلف العثماني الروسي في 02 جانفي 1799م واتفقت مع الدولة العثمانية على القيام بعمليات مشتركة لضرب الفرنسيين في مصر وتخريب تجارتهم في المنطقة⁴.

وتعهد السلطان العثماني بغلق موانئها في وجه التجار والبضائع الفرنسية وبعد توقيع معاهدة الحلف الثلاثي بقيت حظوظ الفرنسيين ضئيلة في مصر⁵. وتم عزل القوات الفرنسية في مصر بسبب محاصرة جيوش التحالف للفرنسيين لم يتمكن نابليون من تلقي الإمدادات من حكومته

1- كمال حسنة، العلاقات العثمانية الفرنسية في عهد السلطان سليم الثالث 1789-1807، مذكرة ماجستير كلية العلوم الإنسانية جامعة الجزائر 2005-2006 ص 115-116

2- هنري لورنس وآخرون، الحملة الفرنسية في مصر، (د.ط)، سينا للنشر، القاهرة 1990م، ص 133-131.
3- نفسه، ص 133.

4- مقدم محمد فرج، النضال الشعبي ضد الحملة الفرنسية، المرجع السابق، ص 15.

5- نور الدين حاطوم، مرجع سابق، ص 277. 276.

وبهذا غادر نابليون مصر في مارس 1799م متجها لغزو بلاد الشام وسيطر على غزة ويافا¹ وحاصر.. تحت حكم أحمد باشا الجزائر² لكنه فشل في فتحها، وقام الانكليز باعتراض الإمدادات الموجهة لنابليون بالإضافة لنقص المؤونة وظهور مرض الطاعون الذي فتك بالجيش الفرنسي³. بلغ إلى نابليون خبر إبحار أسطول عثماني انجليزي إلى مصر وتأهب المصريين لثورة أخرى في القاهرة⁴. ما دفعه للعودة إلى مصر وحاول الصدر الأعظم إقناع الضباط الفرنسيين بالخروج من مصر من خلال مراسلتهم، وأثناء عودة نابليون إلى مصر إلتقى بالأسطول العثماني في أبو قير في 25 جوان 1799م وانتصر نابليون لكنه بقي محاصر⁵. وصلت إلى نابليون جرائد أوروبية والتي ذكرت خبر تقلب النمساويين على الجيوش الفرنسية وكانت بمثابة فرصة لنابليون للخروج من ورطته بحجة أن بلاده في خطر وأنه من واجبه العودة إلى فرنسا التي عرفت فوضى عارمة قصد استماله الفرنسيين والوصول إلى رئاسة الجمهورية الفرنسية وغادر نابليون الإسكندرية ليلة 22 أوت 1799م في سرية تامة واستخلف الجنرال كليبر⁶.

وبعد وصوله لفرنسا قام بانقلاب ضدّ حكومة الإدارة وأصبح قنصلا أولا. بدأ كليبر بالتفاوض مع السلطات العثمانية وتعددت الرسائل بينه وبين الصدر الأعظم في نهاية 1799م، وفي 1800م تمّ توقيع معاهدة العريش بين الدولة العثمانية وفرنسا تمّ بها تحديد كيفية إنسحاب الجيش الفرنسي من مصر، كما حددت هذه الاتفاقية الغرامة التي تدفعها فرنسا لاحتلالها مصر

1- مقدم مُجّد فرج، مرجع السابق، ص ص 89- 92.

2- أحمد باشا الجزائر: (1775-1804م): اشتهر في البداية كقائد عسكري ساهم في توطيد وتدعيم النفوذ العثماني في القضاء على تمدد ظاهر العمر وأبناءه من بعده، كان الجزائر من المماليك البوشناة ظهر على مسرح الاحداث السياسية لأول مرة في مصر، بنظر: الغالي عربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288-1916م، (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، أكتوبر 2007، ص 134.

3- أحمد حافظ عوض، نابليون بونابرت في مصر، مرجع سابق، ص 94.

4- مُجّد فريد بك الحامي، المرجع السابق، ص 378.

5- مُجّد سعيد العشماوي، مصر والحملة الفرنسية، (د.ط)، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة 1999، ص 65

6- كليبر: قائد فرنسي ولد في ستراسبورغ، خدم في صفوف الجيش الفرنسي في مصر، ونصبه نابليون على قيادة الجيش الفرنسي هناك عندما عاد نابليون سرا إلى باريس وقتل كليبر على يد المناضل العربي سليمان الحلبي في القاهرة.

لكن إنجلترا رفضت هذا بسبب مخاوفها على ممتلكاتها في الهند من فرنسا¹، قامت الحكومة الإنجليزية بإرغام الجيوش الفرنسية على مغادرة مصر من دون أسلحة ومعاملتهم كأسرى حرب، لكن كليبر قرر مواصلة الحرب حيث وجد كليبر صعوبات كبيرة بعد مغادرة نابليون لمصر، حيث تقدمت الجيوش العثمانية نحو القاهرة ولم يتمكن الجيش الفرنسي من دخولها إلا بعد حصار دام لمدة شهر وأجبر القوات العثمانية على الخروج ولاحقهم حتى حدود سوريا². بعد هذا الانتصار قرر كليبر البقاء في مصر بعدما تصالح مع مراد بك لكنه قتل في 14 جوان 1800م على يد سليمان الحلبي، وعوضه في قيادة جيش الشرق الجنرال مينو³، بعث السلطان العثماني جيشا آخر إلى الإسكندرية وإلتقى بالقوات الإنجليزية العثمانية مع الجيش الفرنسي في 21 مارس 1801م في موقعه أبي قير الثالث، والتي انتهت بهزيمة الفرنسيين الذين تراجعوا إلى الإسكندرية وحاصروهم هناك الإنجليز⁴. وفي 02 سبتمبر 1801 استسلم الجنرال بينو وقواته وبهذا اضطر الفرنسيون إلى الجلاء عن مصر⁵. بعد هذا وجدت فرنسا نفسها واقفة في صدام داخل أوروبا بعد أن انخرطت في سياسة توسعية داخل أوروبا وما زاد الأمر صعوبة قيامها بالحملة على مصر⁶.

وقد عجلت هذه الظروف مجتمعة من جلاء الفرنسيين من مصر بالرغم من محاولاتهم عن طريق سفرائهم ومبعوثيهم الحفاظ على مصر إلا أنهم رضخوا في الأخير إلى اتفاقية العريش في جانفي 1800 والتي تقضي بخروجهم من مصر ويتأكد لنا دور الإنجليز في مساعدة العثمانيين في موقعة أبي قير الثانية والتي انتهت بهزيمة الفرنسيين وتراجعهم إلى الإسكندرية.

1- مُجَّد سعيد العثماوي، مرجع سابق، ص 132.

2- أحمد حافظ، مرجع سابق، ص 90.

3- الجنرال مينو: جنرال فرنسي في جيش نابليون ولد في مدينة بغرب فرنسا 1750م والتحق بالعمل العسكري مبكرا، شارك في الحملة الفرنسية على مصر وتسلم قيادتها بعد مقتل الجنرال كليبر واعتنق الاسلام عام 1801م وتوفي عام 1810م.

ينظر: <http://plai.wikipedia.org>

4- مقدم مُجَّد فرج، المرجع السابق، ص 177.

5- مُجَّد فريد بك الحامي، المرجع السابق، ص ص 378-382.

6- أحمد حافظ، المرجع السابق، ص ص 97-99.

وبدخول الجيش العثماني إلى القاهرة في 1801 جوان إضطر الفرنسيون إلى الرضوخ والجلاء عن مصر في سبتمبر 1801 وإبرام الصلح في 18 أكتوبر 1801¹.

د. نتائج الحملة الفرنسية علي مصر:

لم تحقق تلك الحملة الأهداف العسكرية والاستراتيجية المرجوة لكنها أفرزت مجموعة من النتائج منها:

- جعلت من مصر محط اهتمام الأوروبيين.
- إظهار مدى أهمية مصر كجسر يربط الشرق والغرب.
- إضعاف قوة المماليك في مصر وظهور مُجدد علي باشا.
- المساهمة في اهتمام الأوروبيين في مصر بالأخص بريطانيا التي دعمت الدولة العثمانية ضد الأطماع الروسية وضد سياسة مُجدد علي التوسعية.²

1- G. F. DE Martens, **Supplement au recueil des principoustrautes de leurope depuis 1761 jusqu'a present**, tom cher heneridietrech a gottingue, 1802, p556.

2- أمال السبكي، أوروبا في القرن التاسع عشر (فرنسا في مئة عام)، ط1، عالم المعرفة، جدة، 1405هـ / 1980م، ص 82.

المبحث الرابع: الموقف الدولي من العلاقات العثمانية-الفرنسية

1. الموقف الروسي:

نظرا لما تميزت به العلاقات العثمانية الفرنسية بداية من القرن السابع عشر، وإلى غاية القرن التاسع عشر والظروف التي ميزت الدولة العثمانية من ضعف وصراعات داخلية وتكالب أوربي للتوسع على حسابها وأطماع روسية في المضائق حيث وطدت الدولة العثمانية علاقاتها مع فرنسا من خلال منحها امتيازات واسعة جعلت منها الشريك الأول في المنطقة خاصة بعد مواقف فرنسا من الصراع القائم بين الدولة العثمانية وروسيا في ظل فقدانها لهيبتها السياسية بسبب الحروب وإثر معاهدة بلغراد 1739م¹.

إلا أن هذا لم يؤكد التحالف الدائم مع الدولة العثمانية إذ كانت فرنسا في العديد من المواقف ووفقا لمصالحها تقف إلى جانب بعض الدول الأوروبية ضدها في حين كان التقارب الفرنسي العثماني، أحيانا أخرى يثير قلق روسيا التي سعت إلى الحد من الصراع مع الدولة العثمانية إثر معاهدة كوجك كينارجي 1774م وبعدها معاهدة 1792م وهذا بعد شعور روسيا بخطر الثورة الفرنسية وتأثير إنجلترا وأطماعها في المنطقة.

الأمر الذي شغل روسيا عن الدولة العثمانية في شرق أوروبا وسعيها إلى مواجهة أفكار الثورة الفرنسية التي رفضها حتى وإن كان اعتراف الدولة العثمانية بها سيدخلها في حرب مع روسيا والتي لوحث بالعمل العسكري في حالة أي تقارب عثماني فرنسي².

وعليه بدأت التحرشات الروسية بالدولة العثمانية وذلك بطلب السفير الروسي سنة 1794 من الدولة العثمانية السماح للسفن الروسية بالمرور عبر الدردنيل ودفع تكاليف الحرب التي خاضتها بلاده مع العثمانيين³.

1- مصطفى الغاشي، الرحالة الفرنسيون والدولة العثمانية، كلية الآداب، تطوان ص 4، 5

2- هنري لورنس، المرجع السابق، ص 12.

3- G. R. Geblesco; *la quistiondoriete et on caractereconomique*; libraieedeton; Paris; 1904 p; 44

رفضت الدولة العثمانية مطالب روسيا واعتبرتها تدخلا في شؤون البلاد وتوجهت إلى توطيد علاقاتها من جديد مع فرنسا التي كانت أيضا تسعى إلى ذلك في ظل الرفض الأوربي للحكومة الجديدة والأفكار التي جاءت بها وبالرغم من الحملة الفرنسية إلا أن العلاقات بين البلدين لم تنقطع نظرا للمتغيرات الحاصلة والتهديدات الروسية من جهة والأوروبية من جهة أخرى¹.

إلا أن الدولة العثمانية اعتمدت سياسة التحالفات مع كل من بريطانيا وروسيا والتي لم تكن على أساس أي تقارب وإنما بدافع المصالح إذ أننا لو حاولنا تتبع موقف الموقف الروسي من الدولة العثمانية أو من علاقتها مع فرنسا سنجد أن روسيا كانت تتحين الفرصة فقط والمتمثلة في ضعف الدولة العثمانية باعتبارها عدوها التقليدي وهذا ما تؤكدته التحالفات المتكررة مع الدول الأوروبية ضدها ففي عهد الملكة إليزابيث التي سعت وإلى غاية وفاتها الوصول إلى المياه الدافئة عبر مضيق البوسفور والدرديل وكان هذا شأن خليفتها كاترين الثانية (1729-1796)².

كان الإصرار الروسي للتوسع على حساب الدولة العثمانية جديا حتى خاضت روسيا الجرب مع الدولة العثمانية 1774 والتي منيت فيها الدولة العثمانية بالهزيمة وهو ما نجم عنه توقيع معاهدة كوجك كينارجي والتي بموجبها حصلت روسيا على امتيازات منها حماية المسيح الأرثوذكس وحصولهم على الشاطئ الشمالي من البحر الأسود وهذا يكون بمثابة استقلال القرم عن الدولة العثمانية والتي سعت روسيا إلى ضمه في حين لم يكن للفرنسيين موقف لدعم العثمانيين ضد الروس نظرا للظروف الداخلية الأمر الذي دفع العثمانيون للاعتراف بسيادة الروس على القرم وهذا ما لم تستسغه الدولة العثمانية مما أدى إلى نشوب حرب بين الطرفين 1787-1790 والتي انتهت بتوقيع معاهدة جاسي³.

1- عبد العزيز سليمان نوار، التاريخ الأوربي الحديث، من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ط1، مصر 2005، ص 297.

2- علي جودة صبيح، روسيا القيصرية في عهد الإمبراطورية كاترين الثانية 1712-1796م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة كلية الدراسات التاريخية 2010 ص ص 35-36.

3- مشتاف مال الله قاسم، حيدر عبد الرضا حسن، العلاقات العثمانية الفرنسية والموقف الروسي منها، مجلة الآداب البصرة، ع75، 2015، ص ص 140-142.

مع بداية القرن التاسع عشر وبعد الثورة الفرنسية والانتصارات التي حققها نابليون تراجع الدور الروسي في المنطقة أمام حصول الفرنسيين على امتيازات واسعة وطدت من التقارب العثماني الفرنسي حيث على إثر هذا التقارب الفت الدولة العثمانية جميع الامتيازات الممنوحة للحركة التجارية للبضائع الروسية بالإضافة إلى المطالب التي طلبتها فرنسا من الدولة العثمانية عن طريق سفيرها بيسياني والتي يقضي بغلق المضيقين في وجه السفن الروسية وهذا ما زاد من تأزم العلاقات الفرنسية الروسية وأدى بالعثمانيين إلى إلغاء معاهدة التحالف الدفاعي الموقعة مع روسيا والتي تعتبر منعرجا حاسما أدى إلى قطع العلاقات¹.

لكن أمام الضغط الروسي والبريطاني على الباب العالي التجأت الدولة العثمانية إلى فرنسا لتهدئة الأوضاع بينها وبين روسيا وجاء هذا في فترة المفاوضات بين نابليون وروسيا وعقد معاهدة تيليس 1807².

لم يدم الوضع على ما هو عليه فبتراجع قوة نابليون نظرا للسياسة العرجاء وفشله في حربه مع روسيا والتي سعت إلى السيطرة على الممرات المائية في البحر الأسود وهذا ما يهدد المصالح الفرنسية³. لم تستطع روسيا الوصول إلى مآربها بتشكيل قواعد عسكرية في البحر المتوسط محاولة منافسة فرنسا وبريطانيا بسبب عدم منح الدولة العثمانية لامتيازات لها ولعدم تراجعها عن موافقتها مع فرنسا، إلا أنها استطاعت تأليب الدول الأوروبية إثر ثورة اليونان وإنهزام العثمانيين وإجبارهم على توقيع معاهدة أدرنة 1829 واستقلال اليونان⁴.

وفي ظل هذا الضعف استطاع نيقولا الثالث من الاستيلاء على المضائق وهذا ما يهدد المصالح الفرنسية والإنجليزية من جهة والمصالح العثمانية من جهة أخرى وهو ما سيمهد لحرب

1- مشتاف مال الله قاسم، حيدر عبد الرضا حسن، المرجع السابق، ص 143.

2- أمال السيكلي، أوروبا في القرن التاسع عشر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د. س)، ص 30.

3- عبد العزيز نوار، المرجع السابق، ص ص 350-352.

4- آل طويرش، المرجع السابق، ص 21

تخوضها الدول الأوروبية إلى جانب الدولة العثمانية لقطع أي نفوذ روسي يطل على البحر المتوسط وهو ما كان في حرب القرم حيث انهزم الروس في عام 1856 وسيطر الحلفاء على البحر الأسود ودخول الدولة العثمانية إلى المجموعة الأوروبية¹.

2. الموقف الإنجليزي؛

كان دخول العثمانيين إثر الحملة الفرنسية إلى جانب الإنجليز في حرب بهدف الحفاظ على ممتلكاتها بقيادة نيلسون Nelsonen والذي ألحق خسائر فادحة ضد القوات الفرنسية في معركة أبي قير مما اضطر نابليون إلى مغادرة الأراضي المصرية وحلت محلها القوات الإنجليزية².

وعمل الإنجليز على تأليب العثمانيين على الفرنسيين حيث تم رفض توقيع معاهدة 1801 والتي أسفرت عن تخلي فرنسا عن مصر ولعل هذا ما جعل المتصارعين على تركة الدولة العثمانية يسعيان إلى التقارب وأقصد هنا الإنجليز والفرنسيين نتيجة لتوافق مصالحهما وهذا ما تأكد في صلح أميان 1802 والذي يعتبر بمثابة سلم اتخذته فرنسا لإعادة علاقاتها مع الدولة العثمانية³.

كان نتيجة للتقارب العثماني الفرنسي بعد الثورة الفرنسية وتراجع النفوذ الروسي في المنطقة وإلغاء الامتيازات الروسية، تدخل السفير البريطاني شارلس أريتون Charles Arhioutr لدى الباب العالي لإعادة النظر في إلغاء الامتيازات الروسية ولم يكن هذا بدافع الدفاع عن روسيا وإنما بغرض عدم ترك المجال للفرنسيين لوحدهم في المنطقة حتى أن فرنسا استطاعت أن تحد من امتيازات بريطانيا في الدولة العثمانية⁴.

عمل نابليون بعد سيطرته على مقاليد الحكم وبداية توسعته على تهديد المصالح البريطانية حيث ألح على الإنجليز الخروج من مالطا التي دخلوها عام 1799م ورغم خروجهم من مصر

1- Anderson. M. S. **The Eastern question 1774- 1923**, New York, 1966, p, 46- 50- 4

2- C, lamouche, **Historique de la turque depuis les origuins jusque noujour**, 1935, p152

3- خالد زيادة، المرجع السابق، ص 73

4- محمد عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ج1، ص 200

عام 1803 إلا أنهم لم يخرجوا من مالطا ولعل هذا ما كاد يؤدي إلى حرب بين الطرفين ودفع إلى التقارب الروسي الإنجليزي خوفا من توسعات نابليون وما زاد من تخوف الإنجليز هي المساعي التي جسدها نابليون من أجل التقارب العثماني خلال فترة حكم السلطان سليم الثالث والذي جسده سفراءه بسفاراتهم المتتالية¹.

كان نابليون يسعى بكل الطرق للسيطرة على مصر بالرغم من فشله في حملته عيها فقد اختلق العديد من الأعذار للإنجليز بخصوص الخروج عن صلح أميان وتهديد المصالح العثمانية².

لعبت الحملة الفرنسية دورا في تنبيه بريطانيا للوقوف على مصالحها في المنطقة خاصة بعدما قام نابليون بتأليب القوى المحلية بالمشرق العربي ضدها مما دفع بريطانيا للعمل على عدم وقوع مصر تحت سيطرة أي قوة أوروبية أو محلية قوية من شأنها المساس بمصالحها³.

وعليه عملت بريطانيا على الوقوف ضد أي تقسيم للدولة العثمانية خاصة في بدايات القرن التاسع عشر الذي شكل عملا أولويات في سياسة بريطانيا الخارجية حيث منعت الروس من الوصول إلى المياه الدافئة والسيطرة على المضائق وصولا إلى البحر المتوسط⁴.

كان تراجع البحرية البريطانية أمام البحرية الفرنسية بعد مؤتمر فيينا 1815 بعدم الاهتمام بها سببا في تراجع مواقفها وتأثيرها فيا لمنطقة والتي لم تعد إلى التأثير فيا لمنطقة إلا بعد فتح قناة السويس⁵.

1- M. A. thiers, **Histoire de la consulat et de l'empire**, tom 1, paul libraireediteur, Paris, sd, p18.

2 -Edouard, driault, **la t figure de Napoleon**, albertmorance, Paris sd, p126.

3- مُجَّد محمود السروجي، التنافس بين بريطانيا وفرنسا في البحر المتوسط، مجلة المؤرخ العربي، ع 4، المطبعة الجامعية، بغداد، 1977، ص 22

4- رتنوفان، تاريخ العلاقات الدولية، ص232.

5- مُجَّد السروجي، المرجع السابق، ص 24.

الفصل الثاني

العلاقات العثمانية- البريطانية في القرن الثامن عشر

وموقف القوى الأوروبية منها

- ❖ المبحث الأول: جذور العلاقات العثمانية - البريطانية.
- ❖ المبحث الثاني: شركة الهند الشرقية ودورها في العلاقات العثمانية البريطانية.
- ❖ المبحث الثالث: الموقف البريطاني من الصراع العثماني-الأوروبي.
- ❖ المبحث الرابع: الموقف البريطاني من الحملة الفرنسية على مصر.

المبحث الأول: جذور العلاقات العثمانية - البريطانية

كانت تجارة الصوف أول نواة للعلاقات التي ستنشأ بين الدولة العثمانية وبريطانيا، وظهرت هذه التجارة على حالتين الحالة الأولى: من خلال الطريق التجاري الشمالي، التي صدرت من خلاله الإنجليز المنسوجات إلى الدولة العثمانية¹، أما الحالة الثانية فهي صنع بعض مستلزمات إنتاج الصوف الإنجليزي، ومن هذه المستلزمات "الشب" الذي يستعمل لتثبيت ألوان النسيج، والذي أصبح بدوره مهما خاصة مع تطور صناعة الصوف في نهاية القرن السادس عشر²، وكانت مدينة "مغيسية" هي التي تزود التجار الإنجليز بتلك المادة في شمال غرب الأناضول عن طريق التجار البنادقة³، أو عن وساطة تجار جمهورية راجوزه⁴، إضافة إلى وجود كميات أخرى من الشب في مدينتي طرابزون وأزمير العثمانيتين، من خلال الطريق الشمالي ذاته⁵.

1- كان هذا الطريق يبدأ من انكلترا إلى الأراضي المنخفضة ثم إلى المدن الألمانية الشمالية ليتفرع منه فرعان الأول إلى مناطق: البلطيق- روسيا- بحاري- وسمرقند ثم يتفرع إلى إيران وإلى الهند والصين أما الفرع الثاني فيذهب إلى سواحل البحر الأسود وإلى إسطنبول ينظر: إبراهيم عبد الفتاح، المصدر السابق، ص 41.

2- كانت الحكومة الإنكليزية ومنذ النصف الثاني من القرن الرابع عشر قد منعت تصدير الصوف الخام إلا بعد نسجه وتصنيعه بهدف حرمان الدول الأخرى من فائدة إعادة تصنيع الصوف الإنكليزي فتشكل منافسًا لها، وعليه فكلما تطورت صناعة الصوف الإنكليزية زادت الحاجة لمادة الشب. بولارد، المصدر السابق، ص 9.

3- حصل الجنويون منذ العام 1352 على امتياز من الدولة العثمانية باحتكار طويل المدى لاستخراج حجر الشب في هذه المدينة أما البنادقة فقد منحوا نفس الامتياز في العام 1546 مقابل 125 ألف دوقية ذهبية. ينظر: خليل خليل إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، تر: محمود الأرنؤوط دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002، ص ص 209، 213.

4- كانت هذه الجمهورية تابعة اسميًا لمملكة المجر وبعد دخول العثمانيين لبلغراد في العام 1521 أصبحت هذه الجمهورية تدفع الجزية للدولة العثمانية، وقد لعبت دور الوسيط التجاري بين الدولة العثمانية وأوروبا خلال فترة الحروب بين العثمانيين والبنادقة في السنوات 1463-1479، 1499-1503، 1537-1540، 1570-1573. مُجَّد فريد بك، المرجع السابق، ص 80. خليل إينالجيك، المرجع السابق، ص 210-213.

5- إبراهيم، عبد الفتاح، المصدر السابق، ص 40.

تعدى الاتصال التجاري بين الإنجليز والدولة العثمانية الصوف للأسلحة الإنجليزية¹ ومواد صنعها من حديد ونحاس نظرا لحاجة العثمانيين إليها أواخر القرن السادس عشر²، وأيضا لم تكنفي الإنجليز بمادة الشب فقط من الدولة العثمانية، بل تعدت إلى مواد أخرى كالتوابل، الحرير، والقهوة وغيرها من المواد التي لا تنتج في أوروبا³.

ونظرا لسيطرة البرتغال على طريق رأس الرجاء الصالح، فقد استمر الإنجليز باستخدام الطريق الأوسط الذي يمر عبر الدولة العثمانية⁴، فكانت الرغبة في الاستيراد والتصدير، والطريق التجاري الذي يمر بالأراضي العثمانية أصبح الأساس المادي الأحسن لفتح قنوات اتصال بالعثمانيين، ويعتبر الامتياز الذي حصل عليه التاجر الإنكليزي أنطوني جينكسون A. Jenkinson من السلطان العثماني سليمان الأول في عام 1553⁵، هو من أحسن الإشارات التي توضح الاتصال الإنكليزي العثماني الجيد، حيث شهد الاقتصاد الإنكليزي في تلك المرحلة تطورات في الأنشطة التجارية، وهذا ما شجّع على بدء العلاقات البريطانية العثمانية⁶.

لعب تراكم المعرفة حول الشرق دورًا في تشجيع إقامة هذه العلاقات، حيث سافر السير ويليام هابرن إلى إسطنبول في رحلة استكشاف الأعمال التجارية عام 1578⁷، كما نقل البحار فرانسيس دريك انطباعاته الواسعة عن التجارة الشرقية خلال تلك الفترة، وكذلك رحلات رجل الأعمال البريطاني جون نيوبري، والتي تعتبر إحدى الرحلات الشهيرة في المملكة المتحدة، وأثناء

1- ابشيرلي، محمد، "نظم الدولة العثمانية" ضمن كتاب الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مج 1، إشراف: أكمل الدين إحسان أوغلو، تر: صلاح سعداوي، إسطنبول، 1999، ص 227.

2- فنشتاين جيل، "الإمبراطورية في عظمتها، القرن السادس عشر"، ضمن كتاب تأريخ الدولة العثمانية، ج 1، إشراف روبر مانتران، تر: بشير السباعي، دار الفكر، القاهرة، 1993، ص 336.

3- الخطيب، مصطفى عقيل، التنافس الدولي في الخليج العربي 1622-1763، المكتبة العصرية، بيروت، 1981، ص 131.

4- Wood, Alfred Cecil, **History of Levant company, Second Edition**, London, 1964, P. 2.

5- Williams. A, **Britainand France in theMiddle East and North Africa 1914-1967**, New York 196, P2

6- صالح، زكي، بريطانيا والعراق حتى عام 1914، دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري، بغداد، 1968، ص 35

7- Searight. Sarah, **The British in the Middle East London**, 1969, PP. 16- 17.

رحلته الثانية زار حلب وبغداد والبصرة وهرمز، وعاد من هناك إلى إسطنبول، واصفًا هذه المناطق بأنها مكتظة برجال الأعمال والتجار.¹

وطبقا للمعاهدة الفرنسية العثمانية عام 1535²، التي كانت تنص على ممارسة الإنجليز لنشاطهم التجاري في الدولة العثمانية، فقد تحمّز الإنجليز لإقامة علاقات تجارية مع العثمانيين، وظل الأمر هكذا إلى أن أصبحت ممارسة التجارة الإنجليزية تحت الحماية الفرنسية أمرا غير مقبول³، نظرا لتنامي الشعور الإنجليزي في حكم الملكة إليزابيث.

وحرصت هذه الأخيرة على استغلال الإنطفاء الذي دبّ في العلاقات العثمانية الفرنسية عام 1575 بسبب الخلاف حول مسألة حكم بولونيا⁴، للتقرب من الباب العالي والتخلص من الحماية الفرنسية⁵.

وفي المقابل يوجد من يعلل التشجيع العثماني للتقارب الحاصل بأنّ الدولة العثمانية كان لها رغبة في إيصال شيء لمن يعادونها من ملوك أوروبا المسيحيين وهو أنّ صداقتها مفيدة ومميزة⁶، وذلك ما رأيناه أيضا في تعليق لـ "داماد باشا" 1582-1584 على المنافسة بين الإنجليز وفرنسا في الدولة العثمانية عام 1583 بقوله: "ليس هناك مبرر لهذا الشجار، طالما أنّ الباب العالي يرحب

1- لونكريك، ستيفن همسلي، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، تر: جعفر خياط، بغداد، ط4، 1968، ص397. بولارد، المصدر السابق، ص 15- 16؛ القيسي، المصدر السابق، هامش 4، ص35؛ الخطيب، المصدر السابق، ص131.

2- Miller. W, **The Ottoman Empire and its Successors 1801- 1927**, London, 1966 P2. Hurwitz, J. C. **The Middle East and North Africa in world Politics**, pp1- 5

3- العامر يقطان سعدون، نشاط شركة الهند الشرقية الإنكليزية في البصرة، مطابع التعليم العالي، البصرة، 1990، ص127

4- مُجّد فريدبك، المرجع السابق، ص113

5- خوري، أميل وآخرون، السياسة الدولية في المشرق العربي من سنة 1789 إلى سنة 1958، ج1، بيروت، 1959، ص17.

6- نفسه، ص15.

بكل من يرغب في السلام"، في حين أنّ المؤرخين يؤكدون أنّ الدولة العثمانية كانت جادة بتشجيعها لتلك العلاقات مع الدول بحيث منحها امتيازات خاصة¹.

وقد خرجت الحكومة الإنجليزية بقرار بتوسيع نشاطها الدبلوماسي لتحسين علاقاتها التجارية مع الدولة العثمانية، ومنه أرسلت الملكة إليزابيث السير وليم هاربورن إلى الدولة العثمانية لأجل مباحثات انتهت بتوقيع وثيقة رسمية بينهما في 1580 التي نصت بالسماح للتجار الإنجليز بالعمل في الأراضي العثمانية بالتساوي مع فرنسا والبنادقة².

تحتوي هذه الوثيقة على 22 مقالة، ذكر أولها أنّ السلطان مراد الثالث دعى التجار البريطانيين إلى أراضي الدولة العثمانية في 1574-1595، وقال: "رغبنا في السماح لأبناء الملكة وتجارها بالحضور بحرية إلى إمبراطورتنا" وجميع سلعهم أو تجارتهم ليس لها عوائق، يمكنهم الشراء والبيع وفقاً لعاداتهم الخاصة، وهم أحرار في استخدام أساليب العمل وممارسة تقاليدهم الخاصة.

أما المقال الثاني فهو شرح لإدراك الآلية الموصوفة في المقال الأول، أما باقي المقالات فهي تغطي موضوع رسو السفن البريطانية في الموانئ العثمانية وتقديم المساعدة عند تحطم هذه السفن أو عند تعرضها للعواصف بالقرب من سواحل الإمبراطورية العثمانية، وكذلك تعليمات بمنع تعرض السفن العثمانية لبريطانيا. السفن والملاحين. فضلاً عن المساواة في الامتيازات بين بريطانيا ورجال الأعمال الآخرين في الدول الأخرى، والتعيينات القنصلية والسلطات القنصلية، أما بالنسبة للبنود الأخرى، فهي تتعلق بالجرائم والتقاضى وغيرها من الأمور المتعلقة بالشؤون الوطنية البريطانية في الدولة العثمانية³.

1- سوسه أحمد نسيم، التعليل التاريخي لمنشأ الامتيازات الأجنبية في الإمبراطورية العثمانية، جريدة السياسة، بغداد، ع 380، 12 فيفري 1931.

2- Smith. G. R. Alon, **The Emergence of A Nation State, The Common wealth of England 1529-1660**, Second Edition, London 1997, P. 105

3- J. C. Hurewitz, **Diplomacy in the Near and Middle East ...**, PP. 7- 9.

استطاعت الملكة إليزابيث أن تثبت نفوذ إنجلترا الاقتصادي في الدولة العثمانية وأن تخلصهم من الفرنسيين بالرغم من فشلها في أن تحقيق هدفها السياسي¹، وبالتالي كانت هذه الخطوة سببا في النظر بإنشاء شركة مسؤولة عن تنفيذ بنود الوثيقة والتجارة مع أراضي الدولة العثمانية. لذلك، إذا منحت الملكة إليزابيث امتيازات لاثني عشر تاجرًا منهم إدوارد أوزبورن E. Osborn وريشارد ستابر R. Staper وتوماس سميث T. Smith ووليام كاريت W. Garret، سيتم إنشاء الشركة التركية أو الشرقية، والتي بدورها ستكون الذراع التنظيمي للعلاقات الإنكليزية العثمانية في إسطنبول².

- العلاقات العثمانية البريطانية خلال القرن (18م)؛

بطبيعة الحال، سعى السفير الفرنسي السير دي جيرميني De Germiny على إفشال النجاح الخاص بالإنجليز، وبسبب تلك المساعي استطاع وليم هاربون مرسل الملكة إليزابيث من تثبيت امتيازات إنجلترا وذلك بعقده لمعاهدة تجارية مع الدولة العثمانية في 1583، نصت على تخفيض سعر الضرائب على البضائع الإنجليزية بنسبة 5% إلى 3%³، عل عكس الفرنسيين الذين دفعوا نسبة 5% حتى عام 1673، في حين أنّ هولندا استمرت في التجارة تحت اسم الإنجليز إلى أن حصلوا على نفس الامتيازات حتى عام 1612⁴، وتلك المعاهدة كانت القاعدة التي أنشأت المعاهدات الباقية بعدها، وكانت تحمل نفس ما تضمنته معاهدة 1583⁵.

1- العامر يقظان سعدون، المصدر السابق، ص128

2- كانت شركة الشرق الأدنى هي المسؤولة عن تعيين السفراء الإنكليز في إسطنبول وهي المسؤولة ايضًا عن دفع مرتباتهم طيلة المدة المحصورة بين 1583-1803. ينظر: Miller, Op. cit, p13

3- القهوائي، حسين مجّد، دور البصرة التجاري في الخليج العربي، 1869-1914، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب- جامعة بغداد، 1978، ص66-67.

4- خليل إينالجيك، المصدر السابق، ص215.

5- في عام 1604 تم تأكيد ما ورد في معاهدة عام 1583 من أذن للسفن الإنكليزية بالمناجزة في الموانئ والأراضي العثمانية تحت علمها الإنكليزي وفي عام 1641 عقد الملك شارل الأول 1625-1649 مع السلطان إبراهيم الأول 1640-1648 معاهدة أكدت حرية التجارة لشركة الشرق الأدنى في جميع الأراضي العثمانية. ينظر: ج ج ج لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج4، تر: مكتب الترجمة بديوان امير قطر، الدوحة، (د.ت)، ص1773.

وفي 26 مارس 1583 عيّنت الحكومة الإنجليزية السير وليم هاربورن سفيرا لها في إسطنبول، بسبب نجاحه بإبراز النفوذ الاقتصادي في الدولة العثمانية¹، بينما عيّنت شركة الهند الشرقية فواصلتها التجاريين في أزمير، إسطنبول، حلب والإسكندرونة².

وفي عام 1583، قرر المسؤولون عن تلك الشركة أن يوسعوا نشاطهم التجاري نحو أراضي الدولة العثمانية، وبطبيعة الحال كانت مصر وجهتهم الأولى بحيث أرسلوا هارفي ملرز H. Millerz والذي يعتبر أقدم قنصل في القاهرة، وكنتيجة لهذا القرار تم رؤية بعض من سفن الإنجليز محملة بالتوابل من الأسواق المصرية³.

لكن كل هذا لا يعني أن الشركة ستقوم بأنشطة تجارية واسعة النطاق في مصر، والسبب هو أن رجال الأعمال الفرنسيين تآمروا للتنافس بقوة مع البريطانيين في السلطات المصرية.

ونتيجة لذلك، اضطروا إلى دفع رسوم إضافية لزيادة معدل الضريبة إلى 10٪ من قيمة البضائع، الأمر الذي دفع البريطانيين لإغلاق قنصلياتهم التجارية في مصر⁴، عندما كان السفير البريطاني هنري ليلو في إسطنبول في محاولة لإعادة فتحها عام 1600، رفضت شركة الشرق الأدنى الأمر ووضّحت موقفها قائلة إنه إذا هطل المطر بالإسكندرية ظننا أنه لا يستحق التحصيل⁵، وأنّ الأنشطة التجارية البريطانية في مصر فعلت ذلك، ولم تبدأ في التحديث حتى بداية القرن الثامن عشر.

الاتجاه الثاني لحركة الشركات كان مدينة حلب، التي كانت واحدة من المراكز الرئيسية للتجار البريطانيين للحصول على الحرير الفارسي. في عام 1583، عينت الشركة أول قنصل لها ريتشارد فوستر في حلب، ولعبت الوكالة البريطانية حلب دور الوسيط في تجارة الحرير الفارسي⁶، ولكن

1- خليل خليل خليل إينالجيك، المصدر السابق، ص 215

2- عبد الكريم، أحمد عزت، دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1970، ص 52.
3- Wood, Op. Cit, P. 32- 33.

4- عبد الكريم أحمد عزت، المرجع السابق، ص 53.

5- خليل إينالجيك، المرجع السابق، ص 73.

6- شهباز آزاد مهر، المصدر السابق، ص 404-408.

لأسباب سياسية بدأت التجارة البريطانية في حلب تتراجع بسرعة قبل نهاية القرن السادس عشر. كان جوهرها هو تصاعد الصراع العثماني الفارسي في عهد الشاه عباس الكبير من 1587 إلى 1629، ولاحقًا الرغبة في حرمان الدولة العثمانية من عائدات تجارة الحرير عبر الأراضي العثمانية¹. لذلك، تأسست شركة الهند الشرقية البريطانية بموجب المرسوم الملكي الصادر في 31 يناير 1600²، من أجل التعاون مع الاتصالات المنظمة بين المملكة المتحدة وبحر الصين الشرقي، والتجار المغامرين لتبني سياسات جديدة للتجارة مع هذه المناطق³ والجمع بين الشرق والغرب، وتتدفق التجارة بين الصين فقط عبر الشرق الأدنى⁴.

1- خليل خليل إينالجيك، المصدر السابق، ص73-74.

2- النجار، مصطفى عبد القادر، شركة الهند الشرقية. ملاحظها وأبرز سماتها في الخليج العربي 1600-1858، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، ع 15، السنة الرابعة، الكويت، جويلية، 1978، ص101-109.

3- البديري، خضير مظلوم، سياسة بريطانيا تجاه إيران 1896-1919، رسالة دكتوراه مقدمه إلى كلية الآداب جامعة بغداد، 1991، ص9.

4- خليل إينالجيك، المرجع السابق، ص 73.

المبحث الثاني: شركة الهند الشرقية ودورها في العلاقات العثمانية البريطانية.

يعتقد بعض المؤرخين أنّ أول اتصال بين شركة الهند الشرقية البريطانية والبصرة كان عام 1635، لأنه كان من المتوقع أن تكون المنافسة البرتغالية¹ هناك ضعيفة. أرسل المبعوثين الخاصين ثورستون ويبرس كممثلين للبصرة، واحتفظوا ببعض البضائع، ومنه سمح لهم علي باشا 1604-1647 بالتجارة، ومنحهم تسهيلات تجارية².

بعد ذلك تأسست الشركة عام 1643 في البصرة³، وفي نفس العام تمّ إنشاء مصنع صغير في المدينة⁴، وفي عام 1645 قررت الشركة نقل ممتلكاتها من بندر عباس وتوجهت إلى البصرة بسبب الخلافات بين الهولنديين والفرس⁵. إلى أن أصبحت البصرة مركز مهم في التعامل التجاري مع شركة الهند الشرقية البريطانية، كما قال المقيم البريطاني في خطاب إلى مجلس إدارة الشركة⁶.

على الرغم من أنّ البريطانيين قد حققوا نجاحًا في البصرة في أوائل الثلاثينيات، فمنذ منتصف تلك الحقبة، بدأت شروط جديدة تفرض على أنشطتهم. في قدرته التجارية⁷، أصبح أكثر دقة القول بأنها أصبحت أداة مؤثرة، فالعلاقة بين العثمانيين وبلاد فارس، خاصة منذ 1736-1747 تحت حكم نادر خان، أولت بلاد فارس أهمية كبيرة لتوسيع علاقتها بالسواحل الشمالية والشرقية للخليج

1- القهوائي حسين مُجّد، اضواء على تجارة البصرة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة الخليج العربي، مج 22، ع 2، البصرة 1980، ص 20.

2- صال مُجّد العابد، موقف إيطاليا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي 1798م، 1810م، 1979م، مطبعة العاني بغداد، ص 46.

3- عبد العزيز نوار، داود باشا والي بغداد، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968، ص 192.

4- لونكريك، المصدر السابق، ص 136.

5- مُجّد أمين، المصالح البريطانية في الخليج العربي 1743-1778م، تر: مكي حبيب المؤمن، (د.د)، بغداد، 1977 ص 19.

6- نوار، عبد العزيز، المصالح البريطانية في انهار العراق 1600-1914م، القاهرة، 1988، ص 67.

7- البراوي فتحية وآخرون، المرجع السابق، ص 161.

الفارسي، والسيطرة عليها هي واحدة من خطته الرئيسية.¹

أدى ذلك إلى صراعات بين العثمانيين والفرس. في أبريل 1735، قرر نادر شاه مهاجمة البصرة وطلب من شركة الهند الشرقية مساعدة سفنه الراسية في بندر عباس²، لكن طلب الفرس رُفض لأنّ البريطانيين كانوا يخشون أن يعاملهم أي شخص من الدولة العثمانية في البصرة. لقد استجابت مصالح البلاد للتطرف وأصدرت الشركة أمرًا لعملائها في بندر عباس³ بعدم السماح لأية سفن بخدمة الحكام الفرس. صد البريطانيون الهجوم⁴، لكن الأخير رفض الطلب أيضًا خوفًا من تهديد نادر شاه. أغضبت المصالح التجارية البريطانية في بلاد فارس، مما دفع المستلم إلى احتلال السفن البريطانية بالقوة واستخدامها لصد الهجوم⁵.

أصبحت العلاقات بين نادر شاه والشركة على شفا حفرة وذلك بسبب اشتراك السفن البريطانية، مما أدى بممثلي الشركة في أصفهان وكرمان إلى التفكير بتغيير مكان الوكالتين من هناك، ولكن التغيير المفاجئ الذي حدث لسياسة نادر شاه على الشركة كان السبب في إبقاء الوكالتين⁶. وقال لونكريك⁷ أنّه خلال الصراع العثماني الفارسي تركزت معظم مصالح الشركة على الحفاظ على موقف محايد، ولم تحصل الشركة على هذا المنصب إلا من خلال صراعات صعبة حتى لا تغضب أي طرف وتحاول احتوائه لتأثير الصراع على المصالح التجارية للشركة.

1- الزبيدي، عدنان هريز جوده، عمان وسياسة نادر شاه التوسعية، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب جامعة بغداد، 1983، ص77.

2- Wilson. Arnold, **The Persian Gulf An History Stitch From The Earliest Times to the Beginning of the Twentieth Century**, London, 1954, p175.

3- ج ج لوريمر، المصدر السابق، ج4، ص1783.

4- الحمداني، طازق نافع، علي، علي شاکر، تاريخ العراق في العهد العثماني 1638-1750، العراق، 1985، ص193..

5- نورس، علاء، العراق في العهد العثماني دراسة في العلاقات السياسية 1700-1800، دار الحرية للطباعة، بغداد 1979، ص176

6- الخطيب، المصدر السابق، ص188، 190-194.

7- لونكريك، المصدر السابق، ص192.

إذا كان أحد أسباب اهتمام بريطانيا بالإمبراطورية العثمانية أنها سوق مهم للتخلص من البضائع، فإن تنظيم السيطرة على الطرق الخاضعة للسيادة العثمانية وربط بريطانيا بمستعمراتها في الهند أصبح هدفًا استراتيجيًا إلى أنه في نظر البريطانيين، كان الهدف حماية ممتلكاتهم في الشرق¹، كما قال الكاتب الفرنسي شوفاليه Chevalie: "يجب أن نقول دائمًا أن أحد الاهتمامات الرئيسية للسياسة البريطانية هو ضمان السلامة المرورية بين لندن كرئيس للإمبراطورية والهند باعتبارها قلب الإمبراطورية". اليوم الذي قطعت فيه بريطانيا العلاقات مع الهند كان بلا شك نهاية عظمة بريطانيا، بحيث ستحاول تلك الأخيرة السيطرة على كل شيء على طول الطريق إلى الهند²، ومنها أصبح طريق قوافل الصحراء الكبرى الذي يمر عبر العراق مهما بالنسبة للإنجليز.³

إذا كانت البصرة هي المحطة الأولى على طريق البريد البريطاني، فإن بغداد هي المحطة الثانية، بدءًا من بغداد إلى حلب ثم إسطنبول إلى لندن. وابتداءً من عام 1759، تمّ تقليص المحطة الثالثة من حلب إلى البصرة إلى بغداد، ومن هناك مباشرة إلى إسطنبول حيث كان يوجد السفير البريطاني. في عام 1761، تمّ تقسيم البريد إلى قسمين: الأول عبر الطريق الأول والثاني عبر الطريق الجديد.⁴

كل العوامل المذكورة أعلاه وأهمية موقع البصرة للتجارة العالمية (تقارير الرحالة الروس في القرن الثامن عشر⁵ والفوضى التي عصفت ببلاد فارس بعد اغتيال ناديا عام 1747)⁶ أكدت

1- إبراهيم، عبد الفتاح، المصدر السابق، ص41.

2- الدليمي، سحر أحمد، المصدر السابق، ص33.

3- العامر يقضان سعدون، المصدر السابق، ص32.

4- البراوي، فتحية وآخرون المصدر السابق، ص169.

5- دانتسينغ. ب. م، الرحالة الروس في الشرق الأوسط، تر: معروف خزندار، دار الرشيد، بغداد 1981، ص116-118.

6- كيلبي، المصدر السابق، ص79.

ذلك، ثم البريطانيون في بندر عباس¹ بعد اضطراب الوكالة.

أصبحت البصرة المقر الرئيسي للوكالة البريطانية الجديدة التي تأسست عام 1763²، وتم ترقيتها إلى المستوى القنصلي في 1761-1765 في العام التالي بناءً على الشركة التي حصل عليها السفير البريطاني هنري جرينفيل H. Grenville في إسطنبول³.

وبناءً على هذا، شنت المملكة المتحدة والإمبراطورية العثمانية عمليات عسكرية مشتركة ضد إمارة الكاب في عامي 1763 و1765 ومن 1766 إلى 1768⁴. وبغض النظر عن نتيجة المبادلات بين الطرفين، فإن مسار الصراع دفع السلطات العثمانية في العراق إلى الاعتماد كلياً على الحماية البريطانية، بل ووافقت على دفع ألف تومان شهرياً مقابل استمرار أسطول الشركة في العمل حامية البصرة وتقاتل الشركة كابو مما يساعد على زيادة النفوذ السياسي لبريطانيا في العراق والدولة العثمانية ككل⁵.

على أي حال، فإن هذه الهيمنة السياسية والأنشطة التجارية التي مرت بها الشركة في تلك المرحلة لم تظل كما هي في سبعينيات القرن التاسع عشر. أما بالنسبة لأنشطة الحياة في البصرة، أما بالنسبة للسياسة فقد تحققت الهيمنة السياسية، وبسبب تصاعد الصراع العثماني الفارسي في السبعينيات، بدأت الشركة تتقلب خاصة منذ انتقال الوكالة البريطانية من بندر عباس إلى البصرة عام 1763، وتم إغلاق وكالتها في بوشار في فبراير 1769.

انتقلت أعمال الشركة من المحمرة إلى البصرة بعد 1770⁶. لا يقتصر تأثير الحصار على الأنشطة السياسية للشركة، بل يؤثر أيضاً على المصالح الاستراتيجية للمملكة المتحدة من خلال

1- صالح مُجَّد العابد، المصدر السابق، ص 28.

2- مُجَّد أمين، المصدر السابق، ص 73-89.

3- صالح، زكي، المصدر السابق، ص 81.

4- ج ج لوريمر، المصدر السابق، ج 4، ص ص 1811-1815.

5- عبد الأمير مُجَّد أمين، الشركات التجارية الاحتكارية الإنكليزية في منطقة الخليج العربي خلال القرنين 17 و18م، مجلة

المُورخ ع 12، بغداد، 1980، ص 212.

6- أبو حاكمة، المصدر السابق، ص 118.

نقل الخط البريدي البريطاني إلى الكويت بدلاً من البصرة¹، إلا أن الطريق البريدي عبر العراق لم يدم طويلاً لعوامل كثيرة سرعان ما أعادته إلى المركز الأول في نظر البريطانيين، لأنّ القافلة البريدية التي مرت بالكويت تعرضت أخيراً للهجوم الوهابي، مما أثر على وصول الأخبار الهندية إلى لندن والعكس². فضلاً عن حرب الاستقلال الأمريكية. في 1775-1783³. اضطر البريطانيون إلى وضع الطريق البريدي عبر البصرة تحت سيطرتهم، خاصة وأن هذا الطريق سمح للبريطانيين بأخذ زمام المبادرة في الحرب مرة أخرى⁴، لذلك حتى بعد انتهاء تلك الحرب، لم يرغب البريطانيون في التخلي عنها، خاصة وأن الثورة الفرنسية جاءت عام 1789، وتمثلت نتائجهما بالحرب التي اندلعت بين فرنسا وبريطانيا عام 1793.

لذلك ظهرت أهمية المركز البريطاني في البصرة لأنه مركز متقدم لنقل بريد الشركة من الهند إلى لندن⁵. لهذا السبب عندما قرر وكيل الشركة صمويل مانيسي (1786-1795) نقل مقر الشركة في 24 أبريل 1793، بسبب مشاكل مع الجالية اليهودية في البصرة والسلطات العثمانية، انتقل من البصرة متوجّهاً إلى الكويت. هذا الإجراء لم يوافق عليه ولم يرضيه مجلس إدارة لندن، وبعد سلسلة من الاتصالات بين مجلس إدارة لندن وحكومتها ومومباي وماناسي في أبريل 1795، تقرر إعادة المركز إلى البصرة⁶.

وما أدى إلى تفاقم المخاوف البريطانية المحاولات الفرنسية للتسلل إلى الإمبراطورية العثمانية من خلال إرسال بعثات لمتابعة أخبار وتحركات جميع المراكز البريطانية في الإمبراطورية العثمانية⁷.

1- الصباح، ميمونه خليفه، علاقات الكويت الخارجية خلال القرن الثامن عشر، مجلة المؤرخ العربي، ع 34، السنة 13، بغداد، 1988، ص 80.

2- العامري يقظان سعدون، المصدر السابق، ص 68.

3- بالمر، المصدر السابق، ج 2، ص 167-173.

4- صالح مُجّد العابد، المصدر السابق، ص 52.

5- كيبي، المصدر السابق، ص 28.

6- صالح مُجّد العابد، المصدر السابق، ص 53-55.

7- Wilson, Op. Cit. P. 190

في مايو 1793¹، كانت مهمته هي ضمّ الإمبراطورية العثمانية وبلاد فارس وفرنسا إلى التحالف ضد روسيا وبريطانيا²، وبعد ثلاث سنوات من الجولات قضى وقتاً بين إسطنبول ومصر والشام. وصلوا إلى بغداد في أبريل 1796 وأمضوا هناك ستة أسابيع، تمكنوا خلالها من تسجيل علاقتهم بمحافظ بغداد سليمان باشا (1780-1802)، ثم اتجهوا جنوباً إلى البصرة وقاموا بمراقبة النشاط التجاري هناك عن كثب. في هذا الصدد، اقترحوا على الحكومة نقل القنصلية الفرنسية من بغداد إلى البصرة³، ثم قرر أعضاء البعثة التوجه إلى بلاد فارس لاستكمال مهمتهم، ووصلوا هناك في 02 يوليو 1796 أين عقد اجتماع في طريق مسدود مع المسؤولين ولم يسفر عن أي نتائج سياسية.

لم يكن الطريق عبر بلاد الشام والعراق هو الطريق الوحيد الذي اتصلت به بريطانيا مع الإمبراطورية العثمانية، بل كان طريق البحر الأحمر طريقاً آخر للتجارة البريطانية. ساعدت بريطانيا في اختراق بعض مقاطعات الإمبراطورية العثمانية. لم يكن من السهل على التجار البريطانيين أن يسلكوا هذا الطريق في الأيام الأولى، فبعد سيطرة الإمبراطورية العثمانية على المقاطعات على جانبي المضيق⁴ ولاعتبارات دينية أيضاً منعت الإمبراطورية العثمانية السفن الأوروبية من الإبحار شمال ميناء مخا. لا يُسمح لهذه السفن المسيحية بالوصول إلى الجانب الآخر من الأراضي المقدسة أين يوجد الحرمين الشريفين.⁵

1- Olivier. G. **Voyage Don's Empire Ottoman**, I. Egypte et persie 1801-1807, Tome I, Paris, P 1-2.

2- بعد ان وصل المبعوثان الفرنسيان بإسطنبول في ماي 1793، وجدا نفسيهما وحيدين هناك لأنّ المواطن دي سيمونفي De semonville المبعوث الفرنسي فوق العادة لدى الباب العالي قد غادر إسطنبول لاستدعائه من قبل حكومته وحل محله المواطن ديكورش Dekorsh الذي كان يجهل تمامًا مهمتهما، وعليه لم يستطع المبعوثان اجراء اية اتصالات دبلوماسية مع الساسة العثمانيين تحقّق الأهداف التي جاءوا من أجلها، واكتفيا بدراسة السواحل البعيدة لآسيا الصغرى وبعض جزر الأرخيبيل من النواحي العسكرية والسياسية والتجارية. ينظر: العزاوي، مُجدّد عبد الله، نشاط فرنسا السياسي في الخليج العربي والإجراءات البريطانية المضادة 1793-1798، مجلة الخليج العربي، مج 18، ع 3-4، البصرة، 1986، ص 32.

3- صلاح العقاد، الاستعمار في الخليج العربي، المكتبة الانجلو مصرية، 1956، مصر، ص 35.

4- إيفانوف، نيكولاي، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574، تر: يوسف عطا الله، مراجعة مسعود ظاهر. بيروت، 1988، ص 83-93، 95.

5- Hoskins. H. L. **British Routes to India**, London, 1966, p4.

لقد مهدت التغييرات التي حدثت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الطريق أمام بريطانيا للانطلاق نحو شمال البحر الأحمر، وتركزت في مصر والهند¹، فضلاً عن الحسابات الاستراتيجية البريطانية التي يمكن اعتبارها رد فعل على خطط فرنسا بعد توقيع معاهدة باريس عام 1763، والتي فسرت في ذلك الوقت على أنها محاولة من قبل فرنسا لاستعادة النفوذ الفرنسي في الهند².

أما التغييرات التي عاشتها مصر، فيمكن تلخيصها بحركة الاستقلال التي بدأها علي بك³ من الحكومة المركزية في إسطنبول عام 1769. ثم تحولت عيناه إلى توسع وغزو الحجاز عام 1770⁴، فضلاً عن رغبته في تشجيع تجارة البريطانيين مع جدة وموانئ السويس مما دفعهم لزيادة اهتمامهم بالبحر الأحمر وتوسيع التجارة إلى هذه الموانئ⁵.

وأما بالنسبة إلى الهند، فالتغيرات التي عاشتها كانت عبارة عن أزمات مالية والتي كانت في بداية عام 1770 وظهرت بعد عامين من ذلك، وهذا ما جعل بريطانيا تزيد في حجم تبادلها التجاري مع أقاليم البحر الأحمر⁶.

1- مُجَّد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي، 1514-1914، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1993، ص187.

2- العزاوي، مُجَّد عبد الله، المصدر السابق ص29.

3- علي بك: ولد في عام 1728 في القوقاز ثم بيع كـمملوك في مصر في العام 1743، وبعد وفاة سيده إبراهيم بك أصبح مسؤول سنجقيته في العام 1749، أصبح شيخاً للبلد في العام 1760، ودخل في صراع مع منافسيه حتى استقرت له الأمور في عام 1768، عنه وعن دوره السياسي ينظر: يحيى جلال، المجمل في تاريخ مصر الحديث، ط2 الإسكندرية، 1984 ص109-111.

4- استغل علي بك في فتح الحجاز طلب المساعدة الذي تقدم به عبد الله بن حسين آل بركات ضد منافسه أحمد بن سعيد آل زيد وهم من أشرف مكة. للتفاصيل ينظر: جارشلي إسماعيل حقي آخرون، أمراء مكة في العهد العثماني، تر: خليل علي مراد، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، البصرة، 1985، ص145.

5- Huseyn. E. , **Ottoman Egypt in the Age of the French Revolution**, Cambridge, 1964, P. 18.

6- مُجَّد أنيس، النشاط الأوربي بمصر وجيرانها أواخر القرن الثامن عشر ميلادي، مصادر موثقة، المجلة التاريخية المصرية، ج2، ق2، القاهرة، 1949، ص114.

دفعت تلك التغييرات بريطانيا إلى اتخاذ خطوة جديدة، كما اقترح رجل أعمال بريطاني علي علي بك في عام 1770، وهو إنشاء طريق مباشر بين الهند وميناء السويس. ونتيجة لذلك راسل علي بك الحاكم العام في الهند وذلك للتوصل إلى اتفاق يُسهل وصول سفن بريطانيا إلى جدة والسويس، وحماية التجارة البريطانية في مصر¹.

لم يبقى ذاك الاتفاق مبنياً لمدة طويلة بسبب الصراع السياسي بين علي بك وأحمد بك أبو ذهب، وأيضاً بسبب إصدار السلطان العثماني مصطفى الثالث 1757-1774 قرار يمنع السفن الأوروبية من الدخول في مياه البحر الأحمر الموجودة بين جدة والسويس².

إلا أن البريطانيين لم يقبلوا بذلك القرار ولم يرغبوا بالعدول عن تقدمهم التجاري الذي حققوه في البحر الأحمر، وبذلك حاولوا نكث ذاك القرار والتفوا بسفنهم مباشرة إلى السويس طوال عام 1774³.

لم يبقى النشاط البريطاني متوقفاً لمدة طويلة، فمنذ أن وقعت فرنسا معاهدة باريس في 1763، بدأت بطرح خططها لكي تستعيد مكائنها في الهند، وتلك الخطط كانت تستهدف استخدام الطريق الملاحي الذي يمر بالبحر الأحمر، أو الطريق الذي يمر عبر الخليج العربي، كونهم وسيلة لتطويق النفوذ البحري البريطاني في المحيط الهندي.

لذلك، عينت المملكة المتحدة جورج بالدوين قنصلاً لها في مصر بتوجيه من وزير الخارجية اللورد كار مارتن، بشرط أن يعمل على إبرام اتفاق يتضمن امتيازات مماثلة لتلك التي حصلت عليها فرنسا من خلال اتفاق مع أمراء مصر مدة سنة واحدة شرط اتصاله مع الخارجية البريطانية

1- علي خضير عباس المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر 1798-1882، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1997، ص 49.

2- الحمدي، المصدر السابق، ص 147.

3- نفسه، ص 147.

وليس مع الشرق الأدنى¹، فشل بالدوين في التوصل إلى اتفاق في مصر عام 1786 مع مراك وإبراهيم بك، حتى وصل عام 1794 على غرار الاتفاق الفرنسي-المصري، ولكن بسبب رفض الحكومة العثمانية للاتفاق.. لم يُطبّق، وعمل البريطانيون على تجنب أي مشاكل مع الحكومة لكي يحولوا دون حصول أي تقارب عثماني-فرنسي يكون بالدرجة الأساس موجه ضد مصالح بريطانيا في المنطقة² لاسيما وقد لاحظ البريطانيون وصول بعثة العالمين أولفبييه وبروغير إلى مصر في نفس العام 1794 وبقاؤهم فيها حتى ماي 1795، التي بدورها خاف البريطانيون من تكاثرها³، وبعد تلك الفترة لم تهتم بريطانيا بمصر إلى غاية احتلال فرنسا لها عام 1798⁴، وفي تلك الحادثة اعتقدت بريطانيا أنّ تفوّقها في الإمبراطورية العثمانية أصبح حدثاً ضرورياً لحماية مصالحها في الإمبراطورية العثمانية من جهة، وإبعاد الخطر عن الهند من جهة أخرى.

-
- 1- سامي صالح مُجّد الصياد، الصراع البريطاني-الفرنسي على مشروع قناة السويس 1854-1869، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، كلية الآداب جامعة بغداد، 2006، ص40.
 - 2- علي خضير عباس المشايخي، المصدر السابق، ص54.
 - 3- إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني، المصدر السابق، ص65.
 - 4- مُجّد أنيس، المصدر السابق، ص189.

المبحث الثالث: الموقف البريطاني من الصراع الأوربي-العثماني في القرن الثامن عشر.

في النصف الثاني من القرن السابع عشر بدأت الدولة العثمانية تنهار وتضعف وذلك لأسباب داخلية¹ وخارجية، التي انعكست بتدخل أوروبا في الشؤون العثمانية، وبدأ يزداد أثر تلك التدخلات بشكل كبير منذ نهاية القرن السابع عشر ومطلع الثامن عشر، خاصة بعد ظهور روسيا والنمسا كقوتين متنافستين، فكل واحدة تريد التوسع على حساب الدولة العثمانية، ففي عام 1695، أعلن القيصر الروسي بطرس الأول² (Peter I 1682-1725) الحرب على العثمانيين، وذلك لتطبيق هدفه السياسي الذي من شأنه الوصول إلى المياه الدافئة في البحر الأسود وسيطرته على المضائق العثمانية³، ولهذا انقسمت أهداف سياسته الخارجية إلى ثلاثة أقسام هي:

- 1- العمل على إخراج العثمانيين من أوروبا.
- 2- توسيع الحدود الروسية جنوبًا باتجاه الدولة العثمانية.
- 3- تعزيز النفوذ القومي والديني لروسيا في البلقان بوصفها حامية للسلاف الأرثوذكس الذين يشكلون الأغلبية في هذه المنطقة⁴.

في 1696، استولى الروس على قلعة آزوف واستغلوا انشغال الدولة العثمانية على الأراضي المجرية⁵، وأيضاً في محاولة من القيصر لتوسيع دائرة حلفه ضد العثمانيين. وتمكّن هذا الأخير

1- مرشو، غريغوار، الدولة العثمانية، قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، مجلة المستقبل العربي، ع 217، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997، ص 139. وللتفاصيل حول تلك الأسباب يراجع فريدون آجمن، "الدولة العثمانية منذ قيام الدولة حتى معاهدة قينارجة الصغرى" ضمن كتاب الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مج 1، ص ص 48-51.

2- ولد في موسكو في التاسع من جوان 1662، ارتقى العرش الروسي بعد مدة من وصاية أخته صوفيا عليه منذ العام 1682، كانت أقصى طموحاته تحقيق منفذ بحري لروسيا.

3- صاغ بطرس برنامجه السياسي في وصية من أربعة عشر فقرة تركها لخلفائه، للاطلاع عليها يراجع: جودت، أحمد إسماعيل، تاريخ جودت، تر: عبد القادر الدنا، ج 1، بيروت، 1890، ص ص 395-398.

4- شطب، المصدر السابق، ص 14.

5- جودت، أحمد إسماعيل، المصدر السابق، ج 1، ص 27.

من أن يقنع النمسا والبندقية بالتحالف ضد الدولة العثمانية في فيفري 1697¹.

ومنه، توسط السفير البريطاني اللورد باجت 1692-1702 Paget والسفير الهولندي كولير Coler لكي تتساوى وجهات النظر بين الدولة العثمانية والنمسا وبولندا والبندقية، واستمرت المفاوضات في النمسا لمدة سنة، نتج عنها التوقيع على معاهدة كارلوفتز Karlovitz في 26 ديسمبر 1699، وفي تلك المعاهدة تنازلت الحكومة العثمانية عن بعض مقاطعاتها إلى النمسا والبندقية، وذلك في مقابل محايدتهم في الصراع العثماني-الروسي².

انتهجت روسيا الطريقة الدبلوماسية لكي تحقق غايتها وذلك بسبب فشلها الذريع في اتّصالها بالبحر الأسود، لكن السلطان رفض الاقتراح الروسي، وعندما تضامن البريطانيين والهولنديين مع العثمانيين اشتدت قوة هذا الأخير، ولذلك استمرت المفاوضات بين الطرفين ثلاثة أشهر إلى أن تمّ التوقيع على معاهدة بينهما في جويلية 1700³.

عرف بطرس الأول أن بريطانيا وهولندا والدولة العثمانية يعملون على إعاقة طموح روسيا في البحر الأسود، فقرر أن يعكس اتجاهه إلى الشمال نحو بحر البلطيق، وتوافقت هذه الواجهة مع مصلحة الدولة العثمانية، وكانت هذه الأخيرة في العقد (1700-1709) تمر بفترة سيئة جدا كون انشغال روسيا فيه بالحرب ضد السويد، حيث شهد ذاك العقد تغيير تسع شخصيات كبيرة ومن أهم تلك الشخصيات "نعمان باشا" الذي بقي في منصبه لمدة أربع سنوات، في حين ملأ الثمانية المتبقون ذاك المنصب في خمس سنوات فقط⁴، وهذا التغيير لم يكن بشروط معينة وإنما تبعاً للأهواء كما قال المؤرخون⁵.

1- Vernadsky, **Political and Diplomatic History of Russia**, Boston, 1936, P. 226227.

2- Creasy. E. S, **Turks**, London, 1958, PP. 318- 322.

3- كواترت دونالد، **الدولة العثمانية 1700-1922**، تر: أمين مناوي، الرياض، 2004، ص 91.

4- ياغي، إسماعيل أحمد، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، الرياض، 1996، ص ص 266-277.

5- مُجّد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 43.

لحسن الحظ بالنسبة للدولة العثمانية، لم تكن هذه الظروف الداخلية السيئة مصحوبة بصراعات خارجية حتى تولى مُحمَّد بلطجي باشا زمام المبادرة في عام 1710. كان أكثر حرصًا على كسر الاتفاقية مع روسيا والاستفادة منها، ففي أكتوبر 1710 أعادت الدولة العثمانية آزوف وإسطنبول إعلان الحرب على روسيا، الأمر الذي دفع القيصر إلى حشد جيشه ضد الدولة العثمانية، ودارت هذه المعركة على نهر بوروس Bruth، هُزم الجيش الروسي وانتهى بتوقيع معاهدة، وتنازل القيصر عن آزوف والحصون المحيطة بها في 21 يوليو 1711¹.

ولأنَّ الروس لم يلتزم ببعض أحكام المعاهدات المذكورة أعلاه، فقد توترت العلاقات الروسية العثمانية مرة أخرى في بداية عام 1713. وبدون تدخل بريطانيا وفرنسا، كادت أن تؤدي إلى حرب جديدة، كانوا قلقين بشأن مصالحهم في الإمبراطورية العثمانية، لذلك لعبت الدبلوماسية البريطانية دورًا، وتم إبرام معاهدة جديدة في 10 يوليو 1713. تركها آزوف² حتى لم يكن لديها مين أوثجور³.

بعد تولي كاترين الثانية⁴ Chatren II 1762-1796 العرش، تصاعدت التوترات بين العثمانيين وروسيا مرة أخرى، إذا تبنتها لقيصر طموحات بطرس الأول في التوسع في المياه الدافئة⁵. لم تستطع إخفاء العبء الثقيل للوقت. ولا يعني الوضع السياسي الذي عانت منه البلاد، بسبب ثقلها بدين ضخم بلغ 740 مليون جنيه بعد الحرب، أن الحكومة في حالة انتعاش اقتصادي، لأنَّها كانت عليها ديون 72 باوند إسترليني قبل الحرب⁶. في هذه الحالة، فإن الامتياز

1- Rywikin M. **Russian Colonial Expansion to 117**, New York, 1965, P 147.

2- طقوش، مُحمَّد سهيل، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة 1299-1914، بيروت، 1995، ص 289.

3- مُحمَّد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 144.

4- كاترين الثانية: ولدت عام 1729، ابنة البرنس أهلت زربست الألماني، تزوجها القيصر بطرس الثالث Peter III، واستطاعت استمالة اهالي البلاد فعزلته سنة 1762، سارت على خطى بطرس الأكبر في التوسع. ينظر:

- Everyman's Encyclopedia, Vol. 3, London, 1958, P. 78

5- السامرائي، نوري، تطلعات روسيا القيصرية نحو فلسطين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة المجمع العلمي، ج 4، مج 51، بغداد، 2004، ص 135.

6- لياسري، يونس عباس، سياسة بريطانيا تجاه مستعمراتها في أمريكا الشمالية 1762-1776، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية، جامعة بابل، 2006، ص 56.

التجاري الذي منحتة كاترين لبريطانيا عام 1766 سيؤدي إلى مصالحة بين الطرفين، طالما كانت ممثلة بزعيمها وليم بت أيرل كاثام Earl Chatham، طالما أنه أعطى لبريطانيا وحدها حرية المتاجرة في البلطيق¹. وكانت تميل إلى التصالح مع روسيا².

إن محدودية أسباب المصالحة الروسية البريطانية في تلك المرحلة لا ترجع إلى هذه الأسباب فحسب، بل يمكن أن تُعزى أيضًا إلى الاعتقاد البريطاني بأن القوة البحرية الروسية لا يمكنها منافسة القوة البحرية البريطانية في مياه البحر الأبيض المتوسط، خاصةً البحر الأبيض المتوسط. تضررت البحرية الروسية بشدة من معاهدة بلغراد. في 10 سبتمبر 1739، حرمت روسيا من حق بناء سفن حربية في بحر آزوف أو البحر الأسود³. في بحر البلطيق، تحرك الأسطول الروسي ببطء وكان بحارته يفتقرون إلى الخبرة، وقال المؤرخون أنه في عام 1769، عندما استدعى الأسطول الروسي الموانئ البريطانية في طريقه إلى البحر لمحاربة العثمانيين، سخر البحارة البريطانيون منه. وقال رجال إن السفن الروسية تحتاج إلى ثلاثمائة، ويكفي خمسة أو ستة روس لقيادة سفينة بريطانية⁴.

والسبب الأخير هو المصالحة بين فرنسا والعثمانيين في هذه المرحلة - خاصة بعد أن استقبلت بلاد ما بين النهرين وزارة الخارجية الفرنسية من 1757 إلى 1770، حيث أولت بلاد ما بين النهرين أهمية كبيرة للمصالحة مع الدولة العثمانية، خاصة وأن فرنسا تستطيع تحقيق دبلوماسية عظيمة في الباب العالي⁵ إلى حدّ ما، فقدم ميسيو شوازيل⁶ Choisuel طلبًا إلى حكومته للموافقة على مهاجمتهم في حالة قيام السفن الروسية بمهاجمة الإمبراطورية العثمانية، لكن الحكومة الفرنسية

1- كامل، مصطفى، المسألة الشرقية، القاهرة، 1898، ص31. العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص54.

2- بولارد، المصدر السابق، ص29.

3- Hurwitz, **Diplomacy in the Near and Middle East**, PP. 74- 51.

4- خوري، أميل وآخرون، المصدر السابق، ص30.

5- Everyman's, **Encyclopedia**, Vol. 3. P 425.

6- ولد في عام 1719 في اللورين، دخل الجيش في مقتبل عمره وترقى في الرتب العسكرية، شارك في حرب الوراثة النمساوية، ثم أرسل بعدها في بعثات دبلوماسية حتى تقلد حقيبة الخارجية الفرنسية في عام 1757، سيطر على السياسة الخارجية الفرنسية خلال حرب السنوات السبع، وتولى أيضًا وزارة الحربية والبحرية.

رفضت ذلك، وقبل ذلك ظهر موقف الحكومة البريطانية، معلنة أن أي إجراء ضد روسيا إهانة لبريطانيا واعتداء عليها¹.

استمرت الحرب العثمانية الروسية لمدة 06 سنوات، فشهدت كغيرها من الحروب فقدان العثمانيين لمواقعهم في والاشيا ومولدافيا خلال العامين 1769-1770، وفي عام 1769، قامت روسيا بإرسال أسطولين من بحر البلطيق، أحدهما بقيادة الأميرال الروسي غريغوري أورلوف والثاني بقيادة الأميرال البريطاني جون الفنستون، لكي يلتقوا بالأسطول العثماني في البحر المتوسط، وكذلك لتحريض أهالي البلقان على الثورة². احتلت القوة البحرية تلك كورون Koron بعد وصولها إلى اليونان، بعدها احتلت جزيرة خيوس Chios، أما الأسطول الروسي فتوجّه إلى ميناء جشمة Cheshme، واستولى عليه في جويلية 1770 بعدما دمر الأسطول العثماني³، دون أن ننسى سيطرة القوة البحرية المشتركة على شرق البحر المتوسط، وتحقيق روسيا بعدها انتصارا بریا في معركة كاغول Gachool من نفس العام⁴.

لم تمر مدة معينة إلا وتداركت الحكومة البريطانية خطأها، وأرسلت رسالة إلى سفيرها في إسطنبول السير جون موراي J. Murray 1765-1775، بأن يعمل على أن يصلح بينهم وبين الروس، فتفاجئ السفير في لقائه مع موراي والسلطان مصطفى الثالث عندما قال له هذا الأخير: "إنه لمن الأمور المدهشة والخارقة للعادة، أن إنكلترا تعرض على الباب العالي توسطها في الحرب، مع أن لها سفنًا في الأسطول الروسي حاربت ضدنا، ولذلك نحن نعتقد أن طلبها ستار لأغراض أخرى، فلتعلن إنكلترا عن خطتها وسلوكها بدون مراوغة، حتى يعلم الباب العالي مع أي المتحارين هي معه أم ضده" ⁵.

1- كامل، مصطفى، المصدر السابق، ص30.

2- مصطفى، أحمد عبد الرحيم، أصول التاريخ العثماني، بيروت، 1982، ص164.

3- العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص60؛ محمد فريد بك الحامي، المصدر السابق، ص157.

4- فيدوسوف بيغانوف، تاريخ الاتحاد السوفيتي، تر: خيرى الضامن ونيقولا طويل، دار التقدم، موسكو، (د.ت). ص254.

5- كامل، مصطفى، المصدر السابق، ص33.

عندما وصلت الاتصالات التي دارت بين قائد الأسطول الروسي أورلوف وبين علي بك الكبير أوائل عام 1773 لبريطانيا، أرسلت هذه الأخيرة جيمس بروس إلى علي بك ليقنعه بعدم التمادي في علاقاته مع الروس، ومنه استأنفت بريطانيا مخطتها الذي يعترض امتداد روسيا إلى المياه الدافئة¹.

وتلك التقدّمات البريطانية لم تكن سببا في تقليل قيمة المكاسب التي حصلت عليها روسيا من الدولة العثمانية، التي حدثت بموجب معاهدة كوجك كينارجي Kutchuk Kainarge، والتي كانت سببا في توقف الحرب بين الطرفين في 21 جويلية 1774².

أثرت تلك المعاهدة بشكل كبير في البحر المتوسط والأسود خاصة والدولة العثمانية عامة، فظنّها البعض هي الفاتحة للتحول البريطاني عن روسيا³ لسبيين: "الأول: السماح للسفن التجارية الروسية باستخدام المضائق العثمانية، وإعفاء هذه السفن من رسوم عبورها الذي كانت تدفعه السفن التجارية البريطانية والفرنسية⁴، والسبب الثاني: الموانئ الروسية على البحر الأسود التي أصبحت مرافئ رئيسة لاستقبال التجارة القادمة إليها من مختلف جهات أوروبا وآسيا وتوزيعها"، ومنها أضحت روسيا وسيطا بين الشرق والغرب، فكان دورهم هو منافسة التجارة البريطانية، مما أدى إلى خوفها من اتّساع نفوذ روسيا في الدولة العثمانية⁵.

تصاعد قلق بريطانيا جرّاء الامتداد الروسي نحو الدولة العثمانية، حيث ضمت روسيا منطقة القرم عام 1783، وبعد عام اعترفت الدولة العثمانية رسميا بذلك⁶، كما اتخذت كقاعدتين للأسطول الروسي كل من خرسون khrsoon على البحر الأسود وسيفاستوبول Sébastopol في

1- خوري، أميل وآخرون، المصدر السابق، ص35.

2- رشاد، علي، وآخرون، تاريخ عثماني، إسطنبول، 1327هـ، ص92

3- بولارد، المصدر السابق، ص30.

4- العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص62.

5- شطب، المصدر السابق، ص14-15.

6- Marriott, Op. Cit, P. 157.

منطقة القرم، واعتمادا على القنصليات الروسية المتواجدة في الأقاليم العثمانية نتيجة لمعاهدة كوجك كينارجي¹، حرّض عملاؤها ضد الحكم العثماني² بعد أن قامت بنشرهم في البلقان، وشجعت القراصنة اليونان على مهاجمة السفن التجارية العثمانية³، كما نالت السفن اليونانية امتياز المتاجرة عام 1783 من طرف روسيا التي عبّرت بهذا عن حقها الجديد في البحر الأسود، وهكذا كان للسياسة الروسية أنصارا جدد من مسيحي البلقان⁴.

وبسبب تلك التطورات أحسّت بريطانيا بأنه يجب عليها مواجهة المد الروسي بما تملك، وذلك عن طريق اندلاع الحرب بين روسيا والنمسا من جهة والدولة العثمانية من جهة أخرى⁵.

1- Shaw, Op, Cit, Vol. I, P 258.

2- حسون، علي، العثمانيون والبلقان، ط2، بيروت، 1986، ص159، 167.

3- العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص66.

4- Anderson, **The Eastern Question**, P 8.

5- Marriott, Op. Cit. P 158.

المبحث الرابع: الموقف البريطاني من الحملة الفرنسية على مصر

تجلى خوف فرنسا على مصالحها¹ بسبب السيطرة المتوقعة لبريطانيا أو غيرها على مصر نتيجة للسقوط الذي ستؤول إليه الدولة العثمانية، إذ يظن البعض أنّ فرنسا فكرت بالسبق لذلك طمعا في اكتساب قوة تقاضي بها بريطانيا مستقبلا على مسائل خلافية بينهما²، بينما يرى البعض الآخر أن تعزيز تواجد الاستعماري في المحيط الهندي هدف أساسي لها وذلك بغية القضاء على الوجود البريطاني في الهند³ خصوصا وأن بريطانيا تطمح لوقف النفوذ الفرنسي هناك بتقوية علاقاتها بالماليك⁴.

وبغض النظر عن كل ذلك أقنع القنصل الفرنسي شارل مكالون فرنسا أنّ مصر ثمرة ناضجة يصعب للماليك حمايتها وكذا السلطان العثماني الغارق بمشاكله⁵.

في 1797 ولمدة شهرين حدثت مفاوضات للصلح بين فرنسا وبريطانيا، وذلك بين اللورد ملمسبري Melmaspre رئيس الوزراء البريطاني وليم بت ونظيره الفرنسي ليل Lell، لكن باءت تلك المفاوضات بالفشل، لأنّ بريطانيا لم ترغب في التخلي عن مستعمرة الكاب، والنتيجة كانت ضرب فرنسا لبريطانيا⁶.

كانت قضية شن فرنسا هجوما عسكريا على المملكة المتحدة في بلدها قضية صعبة في ذلك الوقت، وكانت المشكلة الرئيسية هي عدم القدرة على تجهيز أسطول بحري ينافس الأسطول البريطاني أو يفوقه، خاصة إذا اعتبرنا الذات البريطانية منذ عام 1796، ركزت على التحصينات على أرضه⁷. لهذا السبب، قاموا أيضًا بسحب أسطولهم المتمركز في البحر الأبيض المتوسط في

1- Jonquier, **Histoire De L' Empire Ottoman**, Paris, 1914, P 322.

2- الطائي، المصدر السابق، ص 34

3- Chretien, **Histoire De L' Egypt Modern**, Paris, 1951, P 14.

4- Vatikiotis, Op. Cit, P 31- 35.

5- Vatikiotis, Op. Cit. P 38.

6- شكري فؤاد، الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2013، ص 62.

7- Harold. J. C. , **The Age of Napoleon**, New york, 1963, P67.

نفس العام¹، وبسبب مشكلة مهاجمة بريطانيا عبر إيرلندا، حوكموا من قبل الفرنسيين عام 1796 وفشلوا² في ذلك الوقت، اعتقد الفرنسيون أن الغزو من مصر كان لا مفر منه. هذا ما قاله نابليون لتاليران³ Talleyrand ويعني أننا لن نبقي لفترة طويلة حتى ندرك أنه من أجل تدمير إنجلترا يجب أن يكون لدينا مصر⁴، لأنه في رأيه يجب أن نذهب إلى الشر، لأن أوروبا ليس لديها الكثير لتقدمه والمجد العظيم الذي يمكن أن تفوز به فرنسا موجود⁵.

غضبت بريطانيا من هذه الحملة، وأصبحت لها مخاوف حقيقية بسبب المصالح التي ستمسها بها تلك الحملة في الدولة العثمانية في الهند، ومما زاد رهبهم أن التهديد الفرنسي كان في أوروبا واقترب من المداخل البحرية للخليج العربي والبحر الأحمر والحدود الدولية لفارس وأفغانستان⁶.

عندما احتلت فرنسا مصر، بدأت بريطانيا بإجراء تدابير عسكرية في كل البلدان الواقعة على طريق الهند بالدولة العثمانية وبالمناطق المجاورة⁷.

1- البيضاني إبراهيم سعيد، العلاقات البريطانية-الفرنسية 1798-1815 وتأثيرها في الولايات المتحدة، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، ع 6، بغداد، 2001، ص 98.

2- الربيعي، هيفاء شاكر، التطورات السياسية في إيرلندا 1789-1868، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، 2000، ص 43.

3- تاليران: 1754-1838 سياسي وأسقف فرنسي، بعد تأسيس حكومة الإدارة أصبح وزيراً للخارجية خلال العامين 1797-1799، ثم ساعد نابليون في انقلاب برومير فأصبح وزيراً للخارجية مرة ثانية من أوائل سنة 1799-1807، مثل فرنسا في مؤتمر فيينا، وأعتزل السياسة منذ سبتمبر 1815. ينظر: بالمر، موسوعة التاريخ الحديث، ج 2، تر: سوسن فيصل، بغداد، 1992، ص 318-320.

4- Hoskins, Op. Cit, p55.

5- Harold, Op. Cit, p68.

6- المشهداني خليل إبراهيم صالح، موقف بريطانيا من نشاط القوى المحلية والإقليمية والدولية في الخليج العربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية العشرين، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع 54، بغداد، 2001، ص 311.

7- عبد الوهاب عبدالستار القصاب، مراجعة وتقديم محمود على الداود، منشورات بيت الحكمة، بغداد، 2001، ص 345-347.

فتحت بريطانية قنصلية في الدولة العثمانية في 05 جويلية 1798¹ كنوع من التدابير الاحترازية، حيث تمّ تنصيب هارفورد جونز H. Jonz الوكيل التجاري المساعد للشركة في البصرة وإرساله إلى بغداد لتسلم مهامه، والغاية كانت السيطرة على والي بغداد، وتوقيف فرنسا من التوسع نحو الشرق².

في الوقت نفسه، كتب السفير البريطاني في إسطنبول سبنسر سميث إلى صمويل مانيسي المقيم بالشركة في البصرة، يحثه على لفت انتباه الحكومة الهندية إلى المخاطر التي يشكلها الاحتلال الفرنسي لمصر واتخاذ الإجراءات الوقائية لمنعها. هدد بونابرت المصالح البريطانية في الهند لأنه أوضح أن الدولة العثمانية نفسها صرحت بأن لديها مثل هذه الرغبة في 28 يوليو 1798³. وتحت تأثير الإقامة البريطانية في البصرة، قام ممثل الإمبراطورية العثمانية، عبد الله آغا، باعتقال الفرنسيين. وأرسل ممثلين إلى بغداد مع رعايا فرنسيين في البصرة⁴.

تمّ إرسال القنصل الفرنسي إلى بغداد من قبل الحاكم العثماني العام سليمان باشا وتم اعتقال عماله وإرسالهم جميعاً إلى إسطنبول. بإستثناء السكرتير القنصلي، الذي تمكن من الفرار من المركز الفرنسي حيث تم تفتيش مقر إقامة القنصل الفرنسي ومصادرة أملاكه ومصادرة السجلات والوثائق الرسمية للقنصلية. وراجعها محافظ هارفورد جونز وحصل على موافقتها⁵.

وبسبب هذا الاعتراف بادرت الحكومة الهندية بتوفير السلاح والذخيرة لمحافظ بغداد، كما أرسلت عددًا من الضباط والمدفعية الهنود-أوروبية إلى البصرة⁶ لتجاوز المواجهة المتأخرة. وفقا

1- الدليمي، سحر أحمد، السياسة البريطانية في الخليج العربي خلال الحرب العالمية الأولى 1914-1918، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، 2001، ص3.

2- لوريمر، المصدر السابق، ج1، ص296.

3- فؤاد شكري، المصدر السابق، ص 395.

4- Wood, op, cit, P. 187.

5- عبد العزيز نوار، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة، 1968، ص32.

6- ج ج لوريمر، المصدر السابق، ج4، ص 1909.

لتكهنات هارفورد جونز، فإن النفوذ الفرنسي، وهو هدف استراتيجي آخر، هو في الأساس وضع العراق تحت السيطرة المباشرة لبريطانيا كخطوة تمهيدية في عملية السيطرة البريطانية، وهذا أمر لا مفر منه¹.

ونتيجة لذلك وبعد المفاوضات، تم توقيع معاهدة تحالف بين وزير الخارجية العثمانية أحمد عاطف مع سديني سميث وأخيه سبنسر في 05 ديسمبر 1799 دامت ثماني سنوات، تمثلت أهم نقاطها في ضمان بريطانيا لأملاك الدولة العثمانية كحالتها قبيل الغزو الفرنسي، والحفاظ على المصالح البريطانية كتعهد من السلطان العثماني وذلك في كل الولايات الخاضعة للسيادة العثمانية².

وفور وقوع المعاهدة، بدأ السلطان سليم الثالث في التخطيط لمهاجمة الفرنسيين في مصر، وذلك بإرسال جيشين مهاجمين لسواحل مصر الشمالية³، أحدهما منطلقاً من رودس، والثاني زاحفاً عبر سوريا، مع تيقنه بأنه لن يستطيع تحمل كل أعباء هذا المشروع الضخم بمفرده بالرغم من كل إصلاحاته لقواته البحرية والبرية⁴، بسبب قوة إمكانيات الجيش الفرنسي بالمقارنة مع الإمكانيات العثمانية، ونتيجة لهذا استنجد السلطان بالسفير سديني سميث بعد أن أدرك أنه لن يستطيع الاستغناء عن جهوده والذي بدوره كان على علم بصعوبة هذا الأمر على العثمانيين دون مساعدة خارجية فعوّل على ذلك.

ثار قلق الحكومة البريطانية بعد علم نابليون أنه من الضروري تأمين الحدود الشمالية الشرقية لمصر، وذلك لاستحالة استقرار وأمان الحكومة التي ستقوم في القاهرة، فقام بحملته على سوريا

1- العامر يقظان سعدون، المصدر السابق، ص75.

2- Ghorbal. M. S. **The Beginning of the Egyptian Questions and the Rise of Mohemet AliA Study in the Diplomacy of the Napoleonic Era based on Research in the British and French Archives**, London, 1928, pp53- 56.

3- الطعمة، المصدر السابق، ص95.

4- الأموي، مجّد عصفور سلمان، حركة الإصلاح في الدولة العثمانية وأثرها في المشرق العربي 1839- 1908، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2005، ص11-15.

للسيطرة على الشام¹ ومنع الموانئ السورية على الأسطول البريطاني².

في أواخر ديسمبر 1799 أمر نابليون بالتقدم نحو العريش ليستحوذوا عليها في العشرين من فيفري، ثم استولوا على يافا في السابع من مارس وحاصروا عكا في الثامن عشر من نفس الشهر³. وبسبب الطاعون الوبائي الذي فتك بالجنود الفرنسيين وأضر بمعنويات القيادة⁴، صُعب على نابليون حصار عكا، كما علم بالاستحواذ على جزيرة كورفو من طرف الأسطولين الروسي والعثماني وأنّ هذا الأخير في طريقه لمصر أيضا، كذلك استفاد السير سدني سميث من أعداء نابليون ومنهم الضابط الدفاعي الكولونيل فيليبو الذي انتقل لصفوف أعداء الثورة الفرنسية عام 1792 وكان له دور في وضع الخطط العسكرية التي منعت نابليون من اقتحام عكا في كل محاولاته الثلاثة في الرابع والثامن والعاشر من ماي 1799⁵.

وصلا لأسطول البريطاني للأدميرال جون بلانكت إلى البحر الأحمر معززا له في منتصف أبريل 1799 ومحاصرا للسويس، وفي الرابع من ماي 1799⁶ جعل يدك بمدافعه ميناء القصير، كما استولى المقدم موري على جزيرة بريم في الثالث من ماي 1799⁷، وهذا كله كان سببا في رفع حصار نابليون على عكا وسحب قواته مغادرا مصر نحو أوروبا بعد أن كان فارضا حصاره هناك.

كان رد فعل العثمانيين متعجرف مهين جدا كما قال كيبلر، إذ أن كبرياءها هذا كان نتيجة ظنّها بضعف فرنسا بعد مغادرة نابليون ورغبة كيبلر بالصلح، مما ساعدها في طرد

1- سعيد، أمين، تاريخ الاستعمار الأوربي في بلاد العرب، مطبعة عيسى البابي وشركاه، القاهرة، (د.ت)، ص83.

2- فؤاد شكري، المصدر السابق، ص126.

3- Ghorbal, op, cit, pp 79-83.

4- Jonquier, Op. Cit. , P. 324.

5- فؤاد شكري، المصدر السابق، ص130.

6- صالح مجّد، المصدر السابق، ص91.

7- هارولد ف. يعقوب ك. س. آي، ملوك شبه الجزيرة العربية، تر: أحمد الضواحي، ط2، دار العودة، بيروت، 1988، ص21-22.

الفرنسيين من مصر¹، وظنّها لم يكن في محلّه حيث ساقها إلى هزيمة شنعاء بعد مهاجمتها للقوات الفرنسية في الثامن من نوفمبر 1799 في دمياط والتي جعلتها ترضخ للمفاوضات والتي كانت فيها بريطانيا طرفاً ثالثاً.

نتج عن المفاوضات توقيع معاهدة العريش في الرابع والعشرين من ديسمبر 1800، اتفقوا فيها على جلاء الفرنسيين من مصر مع ممتلكاتهم وسفنهم الخاصة في مدة لا تزيد عن الثلاثة أشهر مع إمكانية تمديدتها إن اضطروا لذلك².

رفضت الحكومة البريطانية تنفيذ الاتفاق بزعمها أن الحرب ضد فرنسا لم تنته بعد ولا بد من تسليم القوات العائدة عبر البحر كأسرى وذلك دون أية اعتبارات لموقف سدني سميث أو العثمانيين، لكنها تراجعت عن موقفها ذلك بما أن تحالفها مع العثمانيين لن يتضرر وأنّ الاسترجاع العثماني لمصر سيمكنها من استخدام الموانئ هناك وهذه بلا شك من إيجابيات المعاهدة³.

لينتقل الرفض بعد ذلك إلى الفرنسيين حيث اعتبر الجنرال كيبيلر كل ذلك خطة من بريطانيا لاعتقال جنوده كأسرى حرب، معتقداً أنّ قرار المبادرة بيدهم بسبب هزيمة الجيش العثماني على يدهم في معركة هيلوبوليس "عين شمس" في العشرين من مارس 1800⁴، وكذا تحكّمهم في الأوضاع الداخلية لاتفاق نهاية الصراع في الخامس من أبريل 1800 الذي تمّ مع المماليك حيث تعهدوا بمساعدة الجيش الفرنسي عند الحاجة⁵.

1- الطعمة، المصدر السابق، ص 98

2- للتفاصيل حول مفاوضات اتفاقية العريش يراجع: علي مُجّد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، القاهرة، 2004، ص 307.

3- شكري، المصدر السابق، ص 202.

4- Renouf. V. A, **Outlines of General History**, London, 1910, P. 372.

5- عبد الرحمن بن حسن برهان الدين الجبّري، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1998، ج 4، ص 449-452.

ونتيجة لذلك علمت بريطانيا أنّ قيام الصلح الفرنسي-البريطاني مرتبط بنتائج امتحان قوتها في الشرق المتوسط، خصوصا أنّ تغيّرات الموقف الدولي هو الآخر جعل بريطانيا تعمل على تعديل خطتها مع صراع العثمانيين والفرنسيين، ومن ثم إجراء اتفاقيات مع العثمانيين.

الفصل الثالث

أثر العلاقات العثمانية - الأوروبية على الجزائر

في القرن الثامن عشر

- ❖ المبحث الأول: آثار تجديد الاتفاقية المئوية بين الجزائر وفرنسا.
- ❖ المبحث الثاني: الموقف الجزائري من الثورة الفرنسية.
- ❖ المبحث الثالث: الموقف الجزائري من الغزو الفرنسي لمصر.
- ❖ المبحث الرابع: المخططات الفرنسية لاحتلال الجزائر.

انعكست علاقات الدولة العثمانية مع كل من فرنسا وبريطانية على إيالة الجزائر بدرجات متفاوتة خلال الفترة المدروسة، وكان انعكاس العلاقات الفرنسية العثمانية أكثر وضوحا وتأثيرا على الجزائر من العلاقات البريطانية العثمانية ولعل ذلك يعود إلى طبيعة الأحداث التي شهدتها تلك الفترة ونقصد بها الثورة الفرنسية.

بدأ تأثير العلاقات الفرنسية العثمانية على الجزائر في موضوعين الأول كان بشكل سطحي ولم يبدوا أثره بارزا ونقصد به محاولة فرنسا تجديد المعاهدة المتوية مع الجزائر ولجئها لطلب مساعدة الدولة العثمانية للضغط على الجزائر بعد رفض الأخيرة تجديد الاتفاقية قبل تسوية القضايا العالقة بينهما والقضية الثانية كانت أكثر تأثير وهي محاولة الدولة العثمانية إقحام الجزائر في حربها ضد فرنسا بعد قيام الأخيرة بغزو مصر وسنحاول في هذا الفصل التطرق للقضيتين من ناحية طبيعتهما وتطوراهما وإنعكاساتهما على الجزائر.

المبحث الأول: أثار تجديد الاتفاقية المتوية بين الجزائر وفرنسا:

رغم وجود اتفاقية سنة 1689 إلا أنه وقعت عدة انتهاكات التي كانت السلطات الجزائرية تعاقب المتسببين فيها من الجزائريين حتى كان القناصل الفرنسيين أنفسهم يتدخلون للعفو عنهم وقد كان التماس العفو عرف لدى هؤلاء القناصل الأوروبيين فبدون هذه الوساطة لن ينجو من العقاب الذي كان في الغالب هو الإعدام مهما كانت رتبته ومكانته في سلم المسؤولية لكن الطرف الفرنسي كان الوضع لديه مختلفا حيث تأكد في العديد من المرات تلاعب السلطات الفرنسية بمنح جوازات فرنسية لسفن بلدان معادية للجزائر ويعتبر البند التاسع من معاهدة 1689 عاملا للوقوع في هذه التجاوزات لأنه حدد نطاق المياه الإقليمية الفرنسية بعشرة فراسخ (حوالي 40 كلم)¹، وبذلك لا يحق للسفن الجزائرية مهاجمة سفن الأعداء في هذه المنطقة مقابل التمتع بالحماية الكاملة لها ولغنائمها لأن فرنسا ملزمة بدفع التعويضات عن الخسائر الواقعة داخل هذا النطاق.

1- جمال قنان، المرجع السابق، ص 310.

وهذه التجاوزات في الغالب كان يقترفها الطرف الفرنسي، لكن انتهاك هذه المعاهدة لا يعتبر السبب الوحيد للتوتر لأنّ المصالح الشخصية التي يعمل لقناصل على تأمينها بالاعتماد على مناصبهم أو دوافعهم الذاتية التي تجعلهم يخلطون بين المصالح الشخصية ومصالح الدولة التي يمثلونها والتي كانت في كثير من الأحيان السبب في إثارة التوتر بين الطرفين¹.

سعت فرنسا سنة 1786 إلى تجديد الاتفاقية المئوية² المبرمة بينها وبين الجزائر قبل انقضاء مدتها التي كانت مقررة سنة 1789، ولم تعترض الجزائر على ذلك وطالبت فقط بتعديل بعض بنود اتفاقية سنة 1789 خاصة التي البند التاسع منها والخاص بتحديد المياه الإقليمية الفرنسية والتي حددتها اتفاقية 1789 بعشرة فراسخ وحسب الجانب الجزائري فإن الدول المعادية للجزائر استغلت ذلك البند وأخذت في الهروب نحو المياه الإقليمية الفرنسية كلما هوجمت من طرف السفن الجزائرية، وتسبب ذلك في ضياع عدة غنائم بحرية على الجزائر.

حدثت سنة 1786 وبشكل مفاجئ مشكلة بسبب البند التاسع من الاتفاقية المذكورة وترت العلاقة بين الطرفين وجعلت الجانب الجزائري يمتنع عن تجديد الاتفاقية وحكاية ذلك أنه في سنة 1786 تمكنت سفينة جزائرية من الاستلاء على مركبين يعودان لمملكة جنوة وتوجهت بهما نحو جزيرة هير الفرنسية³ باعتبار فرنسا مرتبطة باتفاقية 1689 مع الجزائر ويجوز للبحارة الجزائريين الرسو في موانئها، لكن الذي حدث هو قيام سفن حربية فرنسية بمهاجمة السفينة الجزائرية وإغراقها وإطلاق صراح الأسرى الجنوبيين واقتياد البحارة الجزائريين نحو الحجر الصحي حيث مكثوا هنالك إلى أن قامت فرنسا بترحيلهم إلى الجزائر أواخر سنة 1786⁴.

1- Watebled, E (1873), *Expédition du duc de beaufort contre djedjelil 1664*, in R A (N° 17). 1874. Pp 102- 114.

2- للاطلاع على نص الاتفاقية ينظر: جمال قنان، *معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619- 1830*، المؤسسة الوطنية للطبع والإشهار، الجزائر، 2007، ص 317.

3- جزيرة واقعة عند مدخل خليج ليون قرب مدينة طولون الفرنسية

4- جمال قنان، *العلاقات الفرنسية الجزائرية*، المرجع السابق، ص 21

احتجت الجزائر على ذلك وطالبت فرنسا بتقديم عدت تعويضات عن السفينة الجزائرية الغارقة وتعويضات للبحارة الجزائريون الذين ماتوا وللذين جرحوا وتعويضات عن الغنيمة الجنوية التي أفسدتها فرنسا، لكن فرنسا قبلت فقط بتعويض السفينة الجزائرية الغارقة لأنها غرقت في المياه الإقليمية الفرنسية وذلك وفق بنود اتفاقية 1689 التي مازالت سارية المفعول بينما رفضت تقديم التعويضات الأخرى ومبررة ذلك بأن السفن التي هاجمت السفينة الجزائرية لم تكن فرنسية بل سفن تعود سفن تعود لمملكة جنوة، كما أن السفينة الجزائرية هاجمت سفينتي جنوة داخل المياه الإقليمية الفرنسية وهذا مخالف للبند التاسع من اتفاقية 1689 وعليه فإن الجانب الجزائر هو من عليه أن يدفع التعويضات لفرنسا¹.

رفضت الجزائر الرواية الفرنسية وأصرت على ضرورة تقديم فرنسا للتعويضات الثلاثة - تعويض السفينة الغارقة تعويض الغنائم التي ضاعت من الجزائريين دفع فدية البحارة الجزائريين الذين ماتوا في الحادث، وقد أعطى الداوي مُجَّد بن عثمان خوجة لفرنسا مهلة أربعين يوماً لتلبية مطالبه قبل إلغاء اتفاقية 1689 ومعاملة فرنسا على أنها عدوة، وقبل أن يحل شكل التعويضات حدثت حادثة أخرى زادت من توتر الوضع وقصة ذلك أن سفينة حربية جزائرية أوقفت سفينة تحمل جوازات سفر فرنسية وعند تفتيشها تبين أنها سفينة تعود لدولة جنوة وهي دولة عدوة للجزائر وهي في حرب معها وكان هذا يمثل خرق فرنسي لمعاهدة² 1689 فقامت السفينة الجزائرية بحجز السفينة الجنوية ببهارتها.

اندلعت الثورة في فرنسا سنة 1789 وتأزمت الأوضاع بها وتدهورت علاقاتها مع جيرانها الأوروبيين وخافت فرنسا من أن تلغي الجزائر الاتفاقية المثوية معها وتعلن الحرب عليها وهي بحاجة ماسة للجزائر في تلك الظروف الحرجة³، أظهر كاتب الدولة الفرنسي رغبة بلاده عقد صلح جديد لتمديد حدود المياه الإقليمية أكثر دقة تجنباً للنزاعات والمشاكل واقترح أن يتم التنصيص في هذا

1- جمال قنان، المرجع السابق، ص22.

2- Nettement. Alfred, *Histoire de la conquête d'Alger*, librairie jacques lecoffre lecoffre fils et successeurs. 1867, p121.

3- للتوسع في ذلك ينظر: مُجَّد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، دار الشرق العربي، بيروت، 1969، ص134-140.

الاتفاق الجديد على بدء سريان مفعول المعاهدة المئوية بسنة 1719 بدل 1689، والقنصل دو كورسي هو الذي أثار هذه المسألة وأقنع حكومة بلاده بتبنيها حتى أصبحت تشكل أحد مطالبها والواقع أن ما وقع سنة 1719 هو إقرار لمعاهدة 1689 مع إضافة ثلاث بنود لها. إن السلطات الجزائرية لم تهتم هذه المقترحات وتجنبت الدخول في نقاش قبل تقديم الترضيات بخصوص التعويضات فلجأت إلى السلطان العثماني للتوسط بينها وبين الجزائر ولإصدار أمر من السلطان ينصح الجزائر بعدم التسرع في قطع علاقاتها مع فرنسا وضرورة إيجاد تسوية بين الطرفين.

أرسل السلطان العثماني سنة 1790 حسين أفندي زادة حاملا فرمان يحث الجزائر على عدم التسرع في قطع علاقاتها مع فرنسا والعمل على إيجاد تسوية سلمية معها وزوده في نفس الوقت بتعليمات تقضي بدعم ومساندة المبعوث الفرنسي عند بداية المفاوضات الفرنسية الجزائرية.¹

أثار فرمان السلطان العثماني حفيظة داي الجزائر وطلب من رئيس الوفد الفرنسي الذي وصل للجزائر من أجل المفاوضات تقديم توضيحات بخصوص لجوء فرنسا لتوسيط الدولة العثمانية فيما يحدث بينهما.²

وحتى يبين له عدم رضاه بذلك طلب منه إخبار القنصل الفرنسي بالجزائر ضرورة تسديد نفقات إقامته بالجزائر لأنّ الجزائر لا تتحمل نفقات إقامته لمدة طويلة ولم يترك الداوي للوفد الفرنسي الفرصة للتفاوض إذ أعلن له أن أي تفاوض لن تكون قبل قيام فرنسا بتقديم التعويضات التي طالب بها الداوي، وليس لنا من الوثائق أو من المصادر ما نخبرنا عن ردت فعل الدولة العثمانية على تجرؤ الداوي محمد بن عثمان خوجة رفض وساطتها وإصراره على موقفه المعادي لفرنسا.

1- خط هاميون، العلية 19، ع 12615، سنة 1204هـ/1790م، تع: فكري طونة، الوثيقة موجودة في ملحقات مقالة فاطمة درعي، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال الثورة الفرنسية (1789-1815م)، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة الجليلي اليابس، قسنطينة ع 34، 2012، ص64.

2- فاطمة درعي، المرجع السابق، ص64.

كانت الأوضاع تزداد تدهورا في فرنسا خاصة مع إعلان الدول الأوروبية الحرب عليها فأرسلت مرة أخرى وفدا للتفاوض مع الداوي وهذه المرة دون طلب المساعدة العثمانية ففي 26 فبراير 1790 وصل مبعوث من الحكومة الفرنسية إلى الجزائر¹ وعرض على الداوي قبول فرنسا لكل مطالب الداوي المتمثلة في تعويض السفينة الجزائرية المفقودة بسفينة أخرى وتعويض الغنيمة التي فقدتها البحارة الجزائريون ودفع فدية القتلى وتعويض الجرحى من البحارة الجزائريين في مقابل أن تجدد الجزائر اتفاقية 1689 مع إدخال تعديلات على البند التاسع منها والخاص بتحديد المياه الإقليمية والذي سبب وقوع الحوادث بين الطرفين².

في 29 مارس 1790 تمكن الطرفان من تمديد اتفاقية 1689 مع إدخال تعديلات على البند التاسع منها³ حيث حددت المياه الإقليمية الفرنسية بمدى مرمى المدفعية وليس بمدى عشرة فراسخ كما كان معمول به كما تمّ الاتفاق على تغيير فرنسا لجوزات سفرها وأن لا تمنحها لغير الفرنسيين ولأعداء الجزائر على الخصوص⁴، وتم في نفس اليوم تثبيت وإقرار المعاهدات القديمة مع التعديلات التي أدخلت على البند التاسع من معاهدة 1689 حيث حدد مجال المياه الإقليمية الفرنسية بمدى مرمى المدفعية وليس بعشرة فراسخ كما كان من قبل ويحق لفرنسا تغيير شكل جوازاتها لكن لا تمنحها لغير الفرنسيين، وخاصة لأعداء الجزائر وسريان هذه المعاهدة يبدأ من تاريخ 29 مارس 1790 لمدة مائة سنة أخرى وفي أبريل 1790 غادر دو سالفيل الجزائر عائدا إلى بلاده ومعه رسالتين موجهتين من الداوي إلى الملك وكاتب الدولة للبحرية.

في 12 جويلية 1791 توفي الداوي مُجّد عثمان وخلفه الخزندار حسن⁵ وطلب هذا الأخير من القنصل الفرنسي أن يتصل بحكومته لاختيار سفينة فرنسية لتحمل هدية الداوي الجديد للسلطان

1- جمال قنان العلاقات الفرنسية الجزائرية، المرجع السابق، ص 27.

2- Eugène Plantet. **correspondances des deys d'Alger avec la cour de France 1579- 1833**, t2, Félix. Alcan paris, 1889, pp 392- 397

3- للاطلاع على الاتفاقية المعدلة ينظر: جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا...، المرجع السابق، ص 336.

4 جمال قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية...، المرجع السابق، ص 29.

5- عرف بعدة أسماء مثل حسن باشا وبابا حسن باشا وداوي حسن وحسين الثالث.

العثماني وجلب فرمان التولية والخلعة قبلت فرنسا الطلب الجزائري واعتبرته تشريفا لها وكان مثل هذا الطلب الجزائري يعتبر منذ القرن 16م تشريف للدولة الأوروبية التي ستقوم به.

تأخرت فرنسا في إرسال السفينة المتفق عليها مما أغضب الداوي حسن فاستغلت إسبانيا الفرصة وعرضت على الداوي القيام بالمهمة بل فرنسا فقبل الداوي حسن العرض الإسباني دون مناقشة. أعدت إسبانيا سفينة حربية كبيرة للمهمة أبحرت نحو إسطنبول يوم 14 أكتوبر 1791.

انزعجت فرنسا عند وصول الخبر لمسامعها وأرسلت مبعوث إلى الداوي يبرر سبب تأخر السفينة الفرنسية فقد كانت السفينة الفرنسية حسيبه على أهبة الاستعداد للإبحار إلى الجزائر لكن الظروف الصعبة التي تعيشها فرنسا هي من أخرتها وبين المبعوث للداوي أن الفرنسيون مستأؤون من تفضيل الداوي لإسبانيا عليهم. استطاع المبعوث الفرنسي امتصاص غضب الداوي، حيث تمكن من جعله يقبل بفكرة إرسال السفينة الفرنسية إلى إسطنبول لجلب فرمان التولية والقفطان مع الهدايا السلطانية بدل السفينة الإسبانية¹.

1 جمال قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية، المرجع السابق، ص39.

المبحث الثاني: الموقف الجزائري من الثورة الفرنسية:

بعد قيام الثورة الفرنسية تدخلت بريطانيا لدى السلطات الجزائرية لإقناعهم بعدم تزويد الفرنسيين بالمواد الغذائية الضرورية، وكان الهدف من ذلك هو تجويع الشعب الفرنسي والضغط عليه كي ينقلب على النظام الجديد الذي جاءت به الثورة لكن اليهود ساهموا في إفشال المخطط الإنجليزي من خلال تموين فرنسا خاصة بالحبوب ولذلك رأى القنصل الإنجليزي أن يتصل ببيكري وبوشناق ليقنعهما أن الثورة الفرنسية إنما هي حدث عابر لا يلبث أن يزول وأن الأنظمة الملكية الأوروبية سوف تنتصر لا محالة ورغم أن اليهوديين قللوا من التصدير باتجاه فرنسا خاص بعد أن فتح الإنجليز أمامهم جبل طارق إغراء لهم فإنهم لم يسايروا الخطة الإنجليزية إلى النهاية لا سيما بعد أن حقق نابليون بونابرت انتصارات كبرى في حروبه التوسعية.¹

طلبت لجنة الأمن العام من القنصل فالير القيام بمفاوضات مع الجزائر من أجل عدم التعرض لأي سفينة محملة بالحبوب نتجه إلى فرنسا بسبب الأزمة الغذائية التي تعانيها المناطق الجنوبية بسبب انخفاض الإنتاج الزراعي مهما كانت جنسية هذه السفينة وقد اعتبر القنصل هذا الطلب مستحيلا لأنه لا يمكن أن تنهي الجزائر الحرب مع كل أعدائها دون أية ضمانات لها لذلك غير الطلب يطلبه ثلاثين جواز سفر جزائري لاستعماله من قبل السفن الفرنسية ورغم إدراكه أنه لا يمكن تلبيته كاملا، إلا أنه يمكن الحصول على البعض منه، وكان رد الداى أن هذا كثيرا جدا لا يستطيع القيام به لأنه إذا قبله سيؤدي لثورة البحرية ضده، فاستمر القنصل في الإلحاح مما اضطر الداى إلى منحه جوازين.

لقد أثرت ظروف الثورة الفرنسية والضائقة المالية على عدة مناطق تعرضت إلى المجاعات فاضطرت للاستنجاد بالجزائر للحصول على المساعدة التي قدمت فرضا ماليا بتسميته 250 ألف فرنك بدون فوائد²، ورغم المحاولات التي بذلتها إنجلترا لدى الداى لمنعه من تقديم المساعدة إلى

1- سلوان رشيد رمضان، إشكالية العلاقات البريطانية الجزائرية 1580-1816، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج 23،

ع 1، 2016، ص 128.

2- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت، 1999، ص 276

فرنسا إلا أنه رفض ذلك وتعهد لفرنسا بتموينها وإمدادها بكل ما تحتاجه من محاصيل من الجزائر والمواد الغذائية الضروري 1899 وكرد على هذه المساعدات التي قدمها الداوي حسن طلب القنصل فالبير من اللجنة الأمن العام أن توجه للداوي رسالة شكر واعتراف على الخدمات التي أسداها لبلادها في الظروف الصعبة التي تمر بها، وقد طلبت الحكومة الفرنسية من الداوي حسن إقامة اتصال منتظم ودائم بين الجزائر وفرنسا، كما كلف القنصل بدراسة مقترح أن تصبح الجزائر مركز للاتصالات الفرنسية أثناء الحرب خاصة في منطقة المغرب والمشرق¹.

إن رفض فرنسا تقديم الهدايا القنصلية واستيلاء البحرية الفرنسية على سفينة دنامركية تحمل بضائع موجهة للجزائر جزء منها ملك للداوي والباقي بضاعة مستوردة من التجارين اليهوديين بكري وأبوقية بغرض التجارة وهو يمثل خرقا صريحا للمعاهدات الموقعة بين البلدين، إلى جانب تماطل فرنسا في تسديد ديون التجارين بكري وبوشناق، وطالب الداوي كذلك تسديد مستحقات الرعايا الجزائريين الذين صدروا لهم القمح ولم يتقاضوا ثمنه واستولت البحرية الفرنسية على سفينة مشحونة بالقمح أرسلت لمرسيليا، فطلب الداوي تسوية هذه المسائل لأهميتها، وقد ماطلت فرنسا في الرد على مطالب الداوي، لكن عند التحضير للحملة على مصر عملت على مسالمتها وأصبحت ضرورة في طريق احتلالها. بالسيطرة على جزيرة مالطا من فرسان القديس يوحنا في 12 جوان 1798 وضمها لفرنسا وكانت مالطا تتمون غذائيا من إيطاليا ونظرا لرفض نابولي احتلال فرنسا لمالطا².

توقعت فرنسا أنها ستعرقل وصول هذه المواد الغذائية لها لذلك حاولت تعويض ذلك بالتوجه إلى دول المغرب وطلبت من القنصل موليتدو العمل في هذا الاتجاه، لكن ظهر سلوك القنصل كأن فرنسا تتجه نحو القطيعة خاصة وأن القنصل قدم مطالب فرنسا بحدة فتدخل الخزناسي وطلب من فرنسا الاستجابة لمطالب الجزائر لكنه فشل أيضا، فأرسل الداوي إلى فرنسا وطلب منها تسديد الديون بسرعة لكن فرنسا لم ترد على مطالب الداوي، وعند وصول المبعوث العثماني ومعه فرمان

1- Esquer, G. *Le commencement d'une empire 1830*, Paris, La rose, 1929, p18

2- Plantet, E. *Les consuls de France à Alger avant la conquête 1579- 1830*, Paris, 1930, p 514, Esquer, G. *Le commencement*, op. cit, p37

يطلب من الداي إعلان القطيعة مع فرنسا والدخول في حرب ضدها أعلنت الجزائر الحرب ضد فرنسا رسميا في 23 ديسمبر 1798 واعتقل القنصل ومعه 16 فرنسيا مقيمين بالجزائر وأرسلت تعليمات لباي قسنطينة لإغلاق مراكز الوكالة الإفريقية بعد عودة نابليون من حروبه حاول أن يقيم توازنا بين مصالح النمسا وفرنسا لعزل النمسا عن إنجلترا وكسبها إلى جانب فرنسا من خلال ما منح في المعاهدة الموقعة بين الطرفين فبقيت إنجلترا لوحدها في مواجهة فرنسا وهو ما أقلق فرنسا التي اعتمدت على أسلوب التوسع والتخلص منها فتقرر تكوين جيش لغزوها بقيادة نابليون بونابرت الذي حذر من خطورة ذلك واقترح إمكانية مهاجمتها بإرسال حملة إلى الشرق في ظل ضعف الدولة العثمانية واختار نابليون مصر لضعف دولة المماليك ولزعزعة النفوذ الإنجليزي في البحر الأبيض المتوسط وإضعاف نفوذها في الهند بالسيطرة على مصر¹.

لقد تأرجحت العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال فترة الثورة الفرنسية بين التحالف والسلم أحيانا والتوتر والاضطراب أحيانا أخرى بتأثير الظروف الداخلية لكلا البلدين والعلاقات الدولية وتعتبر مسألة الحملة الفرنسية على مصر 1798 وقضية الديون من أكثر المسائل التي أثرت على علاقات البلدين في هذه الفترة إلى جانب اعتداءات الطرفين على بعضها البعض وقد ظهرت في هذه المرحلة المخططات الاستعمارية الفرنسية لاحتلال الجزائر والتي أظهرت مدى الاهتمام الذي أولته فرنسا للجزائر، إذ كانت تبحث باستمرار عن مختلف الوسائل الكفيلة لتحطيم الجزائر والاستيلاء عليه واستعمارها، وبالرجوع إلى المخططات والأحداث التاريخية فإن هذه الرسائل تمثلت في اللجوء إلى الباب العالي، وعرض عليه التجاوزات التي ارتكبتها رياس البحر في حقها، وتبني سياسة التهديد والوعيد، ومصادرة أملاك اليهود في فرنسا لنفوذهم الكبير في الجزائر.

1- فاطمة درعي، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال الثورة الفرنسية (1789-1815)، الحوار المتوسطي، جامعة الجيلالي

المبحث الثالث: الموقف الجزائري من الغزو الفرنسي لمصر:

بعد قيام نابليون بونابرت بغزو مصر في جويلية 1798 أعلنت الدولة العثمانية الحرب على فرنسا في 09 سبتمبر 1798، وفي 19 أكتوبر 1798¹ وصل مبعوث الدولة العثمانية للجزائر يحمل فرمان أهم ما جاء فيه أن الدولة العثمانية قد أعلنت الحرب على فرنسا بسبب غزوها لمصر وعليه فإنه يطلب من إيالة الجزائر أن تلتزم باليقظة ولا تتأثر بالدعاية الفرنسية الرامية إلى بعث البلبلة والفوضى في الولايات العثمانية كما كشف له عن خطة فرنسا الاستعمارية الرامية لاحتلال الجزائر² وللتصدي لذلك أمره بتعزيز تحصينات الجزائر وتقوية البلاد إرسال السفن الحربية إلى عرض البحر لاعتراض السفن الفرنسية وطلب فرمان من مصطفى باشا أن يرسل للحكومة العثمانية تقريرا عن الإيالة ومدى استعدادها للحرب³.

حسب فرمان السلطان العثماني فإن الدولة العثمانية كانت تخشى من الدعاية الفرنسية التي كانت نشطة إذ قد تؤدي إلى توتر علاقاتها مع الإيالات المغربية الثلاثة ومعلوم أن نابليون بونابرت شن حملة دعائية لتحديد الإيالات العثمانية في صراعه مع الدولة العثمانية وكان من تلك الدعاية إعلانه اعتناق الإسلام وأنه صديق المسلمين وحاميا للسلام وأنه صديق للسلطان العثماني وأنه قدم إلى مصر للقضاء على المماليك أعداء السلطان، وأعداء الشعب المصري. وهذه مقتطفات من البيان الذي وزعه على المصريين عشية نزوله جيشه مصر.

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لا اله إلا الله لا ولد له ولا شريك له في ملكه..."

أيها المشايخ والأئمة..

1- قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية..، المرجع السابق، ص96.

2- نص الرسالة مترجم إلى الإنجليزية موجود في لندن دار المحفوظات البريطانية F. O. 78، مج 21، و296-298. نقلا عن، خليفة إبراهيم حاش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798-1830، رسالة ماجستير في التاريخ

الحديث والمعاصر جامعة الإسكندرية كلية الآداب، 1988، ص ص 203-204

3- خليفة إبراهيم، المرجع السابق، ص 204.

قولوا لأمتكم إن فرنساوية هم أيضا مسلمون مخلصون وإثبات ذلك أنهم قد نزلوا في روما الكبرى وخربوا فيها كرسي البابا الذي كان دائما يَحْتِثُ النصارى على محاربة الإسلام، ثم قصدوا جزيرة مالطا وطردها منها الكواليرية الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين، ومع ذلك فإن فرنساوية في كل وقت من الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثماني... أدام الله ملكه...

أدام الله جلالة السلطان العثماني. أدام الله جلال العسكر فرنساوي

لعن الله المماليك وأصلح حال الأمة المصرية¹.

بعد تدمير الأسطول الفرنسي في معركة أبي قير في أوت 1798² ومحاصرة بريطانيا لنابليون بونابرت بمصر فكرت فرنسا في استمالة دول المغرب لفك الحصار عن نابليون بمصر فقامت بدة خطوات منها تكليف قنصلها موليتدو بتطبيع العلاقة مع الجزائر لكن الجزائر رفضت التطبيع وطالبت فرنسا بضرورة تسوية المسائل العالقة بينهما أولا³.

في بداية الأمر لم تتخذ الجزائر أي إجراء ضد فرنسا ليس بفعل الدعاية الفرنسي التي كانت تخشاه الدولة العثمانية بل بسبب تدخل اليهود إذ وقفوا إلى جانب الثورة الفرنسية وكان داي الجزائر حسن باشا (1791-1798) صديقا مقربا لليهود مدعما لهم لهذا استغلوه لدعم إخوانهم في فرنسا⁴.

1- نقولا الترك، ذكر تملك جمهور فرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية، تح: ياسين سويد، دار الفارابي بيروت، 1990، ص 18-19.

2- أبي قير: هو خليج مصري يطل على البحر المتوسط يقع بالقرب من الإسكندرية حدثت به. معركة بحرية بين الأسطول الفرنسي بقيادة نابليون بونابرت والأسطول البريطاني بقيادة نيلسون. للتوسع أكثر ينظر: أحمد حافظ عوض، نابليون بونابرت في مصر، كتاب نات، 2012.

3- Plantet, E. *correspondances des deys d'Alger avec la cour de France 1579- 1833*, T2(170-1833) Paris, 1889, p 482.

4- يري جون وولف أن بكري وبوشناق نصحا الداوي حسن بالوقوف على الحياد في الصراع الفرنسي الإنجليزي بعد قيام الثورة 1789 نقلا عن كمال بن صحراوي، الدور الدبلوماسية ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، معهد العلوم الاجتماعية الإنسانية، المركز الجامعي مصطفى إسطمبولي معسكر، 2007-2008، ص 108.

كما سبق وأن قلنا كان ليهود نفوذ كبير بالجزائر إذ كانوا يتحدثون مع قناصل الدول الأوروبية باسم الداى، ويتفاوضون ويعقدون الاتفاقيات والمعاهدات، بهدف تحقيق مكاسب تجارية تسمح لهم باحتكار تصدير واستيراد السلع من وإلى أوروبا. كان بكري جوزيف وصهره بوشناق يبرمان الصفقات التجارية ويتوليان أعمال التفاوض وتسيير خزنة الإيالة.

وسيطر بكري وبوشناق لوحدهما على منتوجات الجزائر من "الشموع والجلود والأصواف والحبوب في القرن الثامن عشر" وتكون لديهما رأس مال ضخم استغل في احتكار التجارة الخارجية للجزائر، خاصة بعد تأسيس شركة بكري- بوشناق عام 1793 التي حصلت على عقد لتموين فرنسا بالحبوب الجزائرية لمدة خمس سنوات، وتوسطت في تلقي فرنسا ديون من داي الجزائر بقيمة خمسة ملايين فرنك..¹

كتب القنصل الفرنسي بيير دوفال إلى وزير خارجية بلاده تاليران، الذي هيمن على السياسة الخارجية لفرنسا نهاية القرن الثامن عشر والرابع الأول من التاسع عشر، يقول: "إذا كانت الحكومة مهتمة بإبرام معاهدة سلام مع الجزائر، فلن يكلفها ذلك أكثر من تدخل سري من طرف بكري".²

حاولت بريطانيا إقناع الجانب الجزائري بقطع تموين فرنسا بالمواد الغذائية لكن اليهود أفضلوا المساعي البريطانية لذلك رأى القنصل الإنجليزي أن يتصل ببكري وبوشناق مباشرة ليقنعهما أن الثورة الفرنسية إنما هي حدث عابر لا يلبث أن يزول وأن الأنظمة الملكية الأوروبية سوف تنتصر لا محالة ورغم أن اليهوديين قللا من التصدير باتجاه فرنسا خاص بعد أن فتح الإنجليز أمامهم جبل طارق إغراء لهم فإنهم لم يسايروا الخطة الإنجليزية إلى النهاية لا سيما بعد أن حقق نابليون بونابرت انتصارات كبرى في حروبه التوسعية.³

1- للتوسع في ذلك ينظر: فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2004 ص117-272

2- عفرون محرز، آل روتشيلد وآل بكري وتاليران، الملفات السرية في تاريخ الشعوب، تر: مسعود الحاج مسعود، دار هومه للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص143.

3- كمال بن صحراوي، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، معهد العلوم الاجتماعية الإنسانية، المركز الجامعي مصطفى إسطمبولي معسكر، 2007-2008، ص108.

كما عمل يهود الجزائر تزويد الجيش الفرنسي في إيطاليا بشحنات من القمح والمواد الضرورية ولما وصلت الجيوش الفرنسية إلى مصر بعث يهود الجزائر بمليون زجاجة خمر وبكميات من المنتجات جزائرية أخرى بل وتم تزويدهم بالأسلحة والذخيرة¹.

ويقول في ذلك المؤرخ جمال قنان: "... فإن الموقف الجزائري كان وسطا فلم يكن هنالك رفض قطعي ولا استجابة آنية ويحتمل أن الداى قد وضع بعض الشروط لتلبية الطلب العثماني ولكننا لا نعرف طبيعتها فهناك ما يشير إلى هذا الاحتمال لقد كان هنالك ذهاب وغياب وجيئة بين القسطنطينية والجزائر قام بها المبعوثون العثمانيون خلال الشهور الثلاثة التي سبقت إعلان القطيعة مع فرنسا في أكتوبر ديسمبر 1798..."².

أدركت فرنسا خطورة مساعي الدولة العثمانية في جر دول المغرب إلى صفها فدخل دول المغرب الحرب إلى صف الدولة العثمانية يعني غلق المتنفس الوحيد لفرنسا بعد قيام الدول الأوروبية بإعلان الحرب عليها لهذا عملت على عرقلت المساعي. في 19 ديسمبر طلبت وزارة الخارجية الفرنسية من قناصلها في الإيالات الثلاث العمل على إفشال المخططات العثمانية وتوضيح لولاة الولايات أن إعلان الحرب على فرنسا إلى جانب الدولة العثمانية سيجرهم إلى التحالف مع بريطانيا وروسيا اللتين تسعيان للسيطرة على البحر المتوسط مما يقلص نفوذ الإيالات المغربية ويجرمها من مصادر دخل غنية وفي مقدمتها القرصنة وأن حيادهم سيؤدى حتما إلى تحويل القسم الأكبر من تجارة البحر المتوسط إلى الموانئ المغربية لأنّ الحرب مع الدولة العثمانية ستقضى على نشاط اليونانيين التجاري وتحوّله إلى رعايا الإيالات الثلاث³ ومعلوم أن بعد إعلان الدولة العثمانية الحرب على فرنسا دخلت في حلف مع روسيا في ديسمبر 1798 تقوم روسيا بموجه بمد الدولة العثمانية بالسفن والأسلحة وفي مقابل ذلك تعهد الدولة العثمانية بمنح روسيا الحق في استعمال مضيق

1- كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص110.

2- جمال قنان، العلاقات بين فرنسا والجزائر، المرجع السابق، ص97.

3- أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية، (c. p. /turquie)، مج 199، و42. نقلا عن خليفة إبراهيم حماش، المرجع السابق، ص 205-206.

البوسفور والدردييل وانضمت بريطانيا إلى هذا التحالف مع إضافة بند عاشر ينص على قيام الدولتين العثمانية والبريطانية بعمليات مشتركة ضد الفرنسيين في مصر¹.

في 16 أكتوبر 1798 لجأت الدولة العثمانية لدفع الجزائر إلى إعلان الحرب على فرنسا إلى حيلة إرسال فرمان تولية مصطفى باشا والقفطان مع هدية كبيرة وكانت العادة أن يبادر الداوي الجديد بإرسال هدية للسلطان الجديد لجلب قرمان التولية والقفطان² وأرقت ذلك مع أمر السلطان العثماني سليم الثالث للداوي بإعلان الحرب على فرنسا³ والقبض على قناصلها والرعايا الفرنسيين ومطاردة السفن الفرنسية في البحر المتوسط⁴.

رغم أن العلاقات بين الجزائر وحكومة الثورة الفرنسية كانت متوترة بسبب رفض فرنسا تقديم الهدايا القنصلية واستيلاء البحرية الفرنسية على سفينة دنامركية تحمل بضائع موجهة للجزائر وسفينة أخرى جزائرية كانت تنقل شحنة قمح إلى مرسيليا إلى جنب تماطل فرنسا تسديد ديون التجارين بكري وبوشناق⁵. إلا أن الجزائر لم تعلن الحرب على فرنسا ولعل عدم إعلان الحرب كان بضغط من بكري وبوشناق اللذان مارسا ضغطا على الداوي حتى جعلاه يتلكأ في إعلان الحرب⁶ والدليل على ذلك أنه في أواخر أكتوبر تمكنت سفينة فرنسية من الفرار من قبضة السفن البريطانية والتجأت إلى ميناء عنابة فوضعها قائد الميناء تحت حراسة مشددة ومنع حتى نائب القنصل الفرنسي من الصعود

1- السيدس عبد الرحمان بن علي بن عبد الله، مراحل العلاقات العثمانية الفرنسية 1522-1535، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القسيم، مج 9، ع 1، 2015، ص 355.

2- فاطمة درعي المرجع السابق، ص 66.

3- نص فرمان السلطان العثماني موجود في كتاب، دوفول ألبير، الرئيس حميدو، تر: العربي الزيري، ص 32-34.

4- فرمان بالمكتبة الوطنية الجزائرية المحفوظة بقسم المخطوطات ضمن المجموعة 3190 الملف الأول، تحت رقم 62 وهي مترجمة عن الوثيقة الأصلية، نقلا عن خليدة بليدي، الحملة الفرنسية على مصر وموقف الجزائر منها من خلال بعض وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع 12، 2016، ص 44.

5- فاطمة درعي، المرجع السابق، ص 65.

6- مُجد العربي الزيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص 225.

إليها لعلمه أي قائد الميناء بتوتر العلاقة بين فرنسا والدولة العثمانية¹ ولما أخبر القنصل الفرنسي موليتدو الباشا بالحادث أرسل الأخير أوامر قائد الميناء بعدم التعرض للفرنسيين وإعطائهم حرية التنقل العادية في عنابة وفي نفس الوقت أرسل يخبر موليتدو بأن الإيالة لن تعلن الحرب على بلاده ما لم تتعرض لها بسوء² كما راسل نابليون بونابرت ليعدل عن غزو مصر لكن دون فائدة³، وقد جاءه الأمر ثانية من السلطان في 22 نوفمبر 1798 بضرورة قطع العلاقات مع فرنسا.

عند مناقشة الديوان لطلب الدولة العثمانية اقترح الخزانجي ووالي وكيل حرج إتباع سياسة الحياد غير أن مبعوث العثماني وجه إليهم اللوم وهدد بنقل خبرهم إلى السلطان العثماني باعتبارهم خونة وعقب هذه الوقفة المتشددة من المبعوث العثماني أعلن مصطفى باشا الحرب على فرنسا في ديسمبر 1798⁴ متحديا الإنذار الفرنسي الذي أرسلته لإيالات المغرب الثلاثة في 19 ديسمبر 1798 تحذره فيه من مغبة الاستجابة للدولة العثمانية وإعلان الحرب عليها⁵.

ففي 21 ديسمبر 1799 أمر الداوي بإلقاء القبض على القنصل الفرنسي وعلى كل الفرنسيين المقيمين بالجزائر وكان عددهم 98 فرنسي كما أغلقت بالمؤسسات الفرنسية وهدمت بعضها ونُهبت. أثر قرار الداوي بإغلاق المؤسسات الفرنسية بالجزائر تأثيرا بالغا على الاقتصاد الفرنسي إذ حرم وسط فرنسا من التموين بالحبوب الجزائرية كما وجد آلاف العمال الفرنسيين أنفسهم في بطالة⁶.

في 25 ديسمبر خرجت ست سفن من ميناء الجزائر للبحث عن السفن الفرنسية في عرض البحر المتوسط كما وجه مصطفى باشا رسائل إلى كل من والي تونس وطرابلس وسلطان المغرب

1- رسالة من القنصل الفرنسي في 28 أكتوبر 1798 في (Alger /c. c. c)، مج 34، و243-44 نقلا عن خليفة إبراهيم حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798-1830، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة الإسكندرية كلية الآداب، 1988، ص-205.

2- نفس الرسالة.

3- مُجَّد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص225.

4- جمال قنان، العلاقات بين فرنسا والجزائر، ص97.

5- حنفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر 2007، ص143.

6- مُجَّد العربي الزبيري المرجع السابق، ص227.

يطلب فيها التضامن مع الدولة العثمانية ضد فرنسا... وأثار خبر إعلان الجزائر الحرب ضد فرنسا في مدينة مرسيليا الذعر بين التجار وأصبح من المتعذر على السفن الفرنسية الخروج من الميناء مرسيليا خوفا من السفن الجزائرية التي أصبحت تغير على السواحل الفرنسية¹... وفي أبريل 1799 اعترضت السفن الجزائرية سفينة فرنسية كانت قادمة من جزيرة كورفو الواقعة غربي المورة نحو ميناء تولون وعلى متنها عدد من الضباط والجنود الفرنسيين وعائلاتهم واقتيدت بمن عليها إلى تونس ومنها إلى الجزائر².

وردت فرنسا على ذلك بإعلان الحرب على الجزائر وقامت بإيقاف الرعايا الجزائريين بفرنسا ومصادرة أملاكهم ومطاردة السفن التي تحمل العلم الجزائري³، ولم تستمر الحرب بين الجزائر وفرنسا إلا فترة وجيزة ولعدة أسباب أوقفت الجزائر الحرب على فرنسا ويمكن إيجاز هذه الأسباب في النقاط التالية:

- تدخل كل من بكري وبوشناق⁴ لوقف الحرب إذ بفضلهما تم إطلاق سراح الفرنسيين المحتجزين في الجزائر يوم 02 فيفري 1799 وقد تدخل اليهوديان بكري وبوشناق لحماية مصالح شركتهما المتمثلة في استرجاع الديون المترتبة على الحكومة الفرنسية نتيجة تزويدها بالحبوب من جهة وفي العمل على صفقات تجارية جديدة لتزويد جيوش حملات نابليون بونابرت⁵.
- محاولة فرنسا التفاوض مع الجزائر لتوقيف الحرب إذ أرسلت ديبو تانفيل إلى الجزائر للتفاوض مع الداوي لكن لم يوفق في البداية⁶.

1- رسالة من الوكيل التجاري لمدينة مرسيليا 31 يناير 1799 (ccc/ Alger) مج 34، و309-319، و42، نقلا عن خليفة إبراهيم حماش، المرجع السابق، ص 208.

2- رسالة من القنصل الفرنسي في تونس 30 أبريل 1799 للمزيد ينظر:

- Plantet Eugene, **Correspondance des beys de Tunis TIII**, doc 730. p387

3- خليفة بليدي المرجع السابق، ص44.

4- للتوسع أكثر حور دور اليهود ينظر: مُجَّد بوشناق، الداوي مصطفى باشا وعصره، مجلة عصور جديدة، ع 7-8، جامعة وهران السانوية، 2013. ص

5- مُجَّد العربي الزبيري المرجع السابق، ص225.

6- نفسه، ص227.

- مطالبة الدولة العثمانية للداي مصطفى بإطلاق سراح سفن يونانية كانت محجوزة في الجزائر¹.

عمل وزير خارجية فرنسا على إعادة العلاقات الفرنسية الجزائرية إلى حالة السلم وقدم مبررات لحكومته مفادها أن الجزائر أهلنت الحرب على فرنسا مرغمة والدليل على ذلك أنها لم تعلن الحرب ضد فرنسا عند غزوها لمصر ولم تعلنها إلا بعد أشهر نتيجة ضغط الجيش عليها. كما عمل القنصل الفرنسي ديبو تانفيل على دفع حكومته للتفاوض مع الجزائر وإنهاء حالة الحرب وقد اقتنعت فرنسا بضرورة المفاوضات مع الجزائر فكلفت لهذا الغرض كلف ديبو تانفيل بالتفاوض مع الداى والديوان مع منحه مطلق الصلاحية للتوصل إلى اتفاق يرضي الطرفين.

انطلقت المفاوضات بين الطرفين يوم 15 جويلية 1800 شارك فيها اليهودي بكري وخلالها قدم تانفيل تعهدات من الحكومة الفرنسية بتسديد ما عليها من ديون للجزائر وفي 19 جويلية 1800 عقدت الهدنة بين الطرفين وقد احتوت على خمسة بنود:

- **البند الأول:** يجب إنهاء جميع العمليات الحربية التي كانت سائدة بين أوجاق الجزائر ولبين الجمهورية الفرنسية اعتبارا من تاريخ إبرام معاهدة المباركة اللاحقة بين الطرفين.

- **المادة الثانية:** بموجب ومقتضى هذه المباركة المبرمة بين الطرفين بقولي حضرة الباشا الموصي إليه بمهمة تنبيه القراصنة الجزائريين إلى ضرورة رعاية العلم الفرنسي وعدم التعرض إليه كما تتولى الجمهورية الفرنسية بنفس المهمة بالنسبة للقراصنة الفرنسيين كي يحترموا العلم الجزائري ولا يتعرضوا له بأذى.

- **المادة الثالثة:** تبدأ عملية تسليم واستيراد السفن المأخوذة من جانب الطرفين أثناء الحرب التي كانت قائمة بينهما مع حمولتها وأنفارها وذلك ابتداء من تاريخ المعاهدة.

- **المادة الرابعة:** المصالحة التامة والشاملة بين الطرفين في الميدان يقبل الطرفان أن ترسي السفن الجزائرية بموانئ الجمهورية الفرنسية وكذلك إرساء السفن الفرنسية بموانئ جزائرية.

1- فاطمة درعي، المرجع السابق، ص71.

- **المادة الخامسة:** في الحي الذي ينقضي الأمر إلى نسخ هذه المشاركة المباركة بين الطرفين والرجوع إلى الحرب من جديد يجب على كل واحد من الطرفين أن يقدم بإبلاغ الطرف الثاني بذلك قبل ثلاثين يوماً¹.

عادت العلاقات بين فرنسا والجزائر² لكن ذلك أثار السلطات العثمانية وغضبت على الداوي الذي حاول ترضيتها فقد فأرسل هدية له على ظهر سفينة أمريكية. في 01 نوفمبر رست السفينة الأمريكية³ عليها وفد جزائري برئاسة حاجي يوسف محملة بهدايا الداوي مصطفى للسلطان العثماني في القرن الذهبي إلا أنها لم تستقبل رسمياً واحتجرت هنالك⁴ وبين القبودان داريا (كجوك حسين باشا) لحاجي يوسف غضب السلطان العثماني على داي الجزائر بسبب توقيفه الحرب على فرنسا والذي يعد منافيا لروح الروابط العقائدية التي تربط الجزائر بالدولة العثمانية.

حاول حاجي يوسف أن يبيّن للقبودان داريا (كجوك حسين باشا) أن ما عقدته الإيالة مع فرنسا لم يكن معاهدة بل مجرد هدنة وأن سفارته تعد أصدق دليل على تعلق الإيالة بالدولة العثمانية وحفاظها على علاقتها التاريخية معها⁵.

لم يقتنع القبودان داريا بحجج حاجي يوسف واتخذ عدت إجراءات ضد الوفد الجزائري منها:

- إنزال الراية الجزائرية من السفينة الأمريكية ويرفع بدلها الراية الأمريكية⁶.

1- خط همايون، ع 21، و5825، تاريخ 1225هـ/1800م، تعر: فكري طونه، الأرشيف الوطني، بئر خادم، الجزائر.

2- Dehran, H. **La mission du commissaire générale du Bois-tain ville auprès du dey d'Alger R. historique et de colonies**, (1926), pp 90- 102.

3- كانت الهدايا ترسل على متن سفن حربية أجنبية حتى لا تتعرض لهجمات أعداء الجزائر خاصة فرسان القديس يوحنا وكانت الدولة التي تحضي بحمل الهدية تعتبر ذلك شرفاً لها.

4- تقرير من ريان السفينة إلى حكومته 22 ديسمبر 1800 في: 78. (F. O) مج 31، و90-91 نقلا عن نقلا عن خليفة إبراهيم حماش، المرجع السابق، ص 161.

5- نص الحوار مترجم إلى الإنجليزية وملحق برسالة السفير البريطاني، 29 نوفمبر 1800 في (F. O) مج 30، و258. نقلا عن خليفة إبراهيم حماش، المرجع السابق، ص 161.

6- تقرير من ريان السفينة إلى حكومته 22 ديسمبر 1800 في: 78. (F. O) مج 31، و90-91 نقلا عن خليفة إبراهيم حماش، المرجع السابق، ص 162.

- وضع الوفد الجزائري تحت الإقامة الجبرية.
- احتجاز أموال التجار الجزائريين وطردهم من محلاتهم ووضع الأختام على أبوابها لمنعهم من العودة إليها¹.
- منع سفن إيالات كل من تونس والجزائر وطرابلس من دخول الموانئ التركية وفي حالة قيامهم بذلك يتم القبض علي رؤسائهم وسجنهم².
- إعطاء مهلة شهرين لحاجي يوسف يخبر خلالها مصطفى باشا بما حدث ويطلب منه إلغاء اتفاقية السلم مع فرنسا وإعلان الحرب عليها ويطلب منه كذلك إطلاق سراح الأسرى البريطانيين والنمساويين واليونانيين في الجزائر وتعويضهم عن الخسائر التي لحقتهم من جراء احتجاز سفنهم ومصادرة بضائعهم وإذا لم تستجب الجزائر لذلك ستقوم السلطة العثمانية ب منع الإيالة من القيام بعمليات التجنيد في الأناضول والتهديد بإعدام كل من يتطوع من أوجاق الجزائر من الرعايا العثمانيين³.
- أرسل حاجي يوسف نائبه مصطفى علي إلى الجزائر لاطلاع الداوي مصطفى علي ما حدث وعلى مطالب السلطة العثمانية منه⁴. وصل مصطفى علي على الجزائر في 21 جانفي 1801 ولحقه مبعوث عثماني ومعه فرمان من القبودان داريا إلى الداوي مصطفى يطلب منه الامتثال لأوامر السلطان وإلا سيعاقب الجزائر بطرد وكلائها من كل مناطق التجنيد بالأراضي العثمانية⁵.

1- أحمد الشريف الزهار، ص72، نقلا عن تقرير من ربان السفينة إلى حكومته 22 ديسمبر 1800 في: 78. (F. O). مج 31، و90-91 نقلا عن خليفة إبراهيم حماش، المرجع السابق، ص 162

2- مُجَّد بوشناني، المرجع السابق، ص169.

3- التقرير الأمريكي نقلا عن تقرير من ربان السفينة إلى حكومته 22 ديسمبر 1800 في: 78. (F. O). مج 31، و90-91. نقلا عن خليفة إبراهيم حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798-1830، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة الإسكندرية كلية الآداب، 1988، ص162.

4- التقرير الأمريكي نقلا عن تقرير من ربان السفينة إلى حكومته 22 ديسمبر 1800 في: 78. (F. O). مج 31، و90-91. المرجع السابق، ص 162.

5- فرمان المكتبة الوطنية الجزائرية المحفوظة بقسم المخطوطات ضمن المجموعة 3190 الملف الأول، تحت رقم 65 نقلا عن خليفة بليدي، المرجع السابق، ص44.

اجتمع الديوان واستمع إلى المبعوثان وبعد مناقشات أصدر قرار بنقض معاهدة الصلح مع فرنسا وقطع علاقات الجزائر معها وتبع ذلك إطلاق صراح 400 أسير من جنسيات مختلفة تلبية لأمر السلطان¹ ثم أرسل مصطفى باشا إلى القنصل البريطاني يطلب منه أن يكتب إلى القبودان داريا في إسطنبول ليخبره بتنفيذ أوامره في الجزائر، ويلتمس منه استقبال وفد الإيالة وتسهيل مهمته²، كما أرسل مبعوثا آخر إلى إسطنبول لنفس المهمة³.

رضيت الدولة العثمانية بنقض الجزائر للهدنة مع فرنسا فاستقبلت هدية الداى مصطفى وردت عليها بهدية ضخمة تمثلت في خمسة وسبعين جنديا وأربعين مدفعا من النحاس وخمسمئة برميل من البارود والفرقنطار من الكبريت وأربعة آلاف قذيفة وخمسمئة رزمة من الأشرطة وألف برميل من القطران وأجهزة أخرى مختلفة خاصة بالسفن علاوة عن هدايا أخرى كالفطاطين...⁴.

أعلن الداى مصطفى الحرب ثانية على نابليون بونابرت في 25 جانفي 1801 لكن دون تجسيد ذلك على أرض الواقع فعليا بل عمد إلى استقبال للقنصل الفرنسي ديو تانفيل والإفصاح له عن مشاعره الخالصة تجاه الرعايا الفرنسيين، وعرض عليه الخسائر الكبيرة التي تكبدها التجار الجزائريون الذين قامت السلطات العثمانية بتشميع محلاتهم بسبب الهدنة التي عقدتها الجزائر مع فرنسا واتفق مع القنصل الفرنسي على أن تقوم فرنسا بتعويض تلك الخسائر وتم التفاهم على مبلغ

1- رسالة من القنصل الفرنسي، فبراير 1801 في (C.C.C/ ALGER) مج 35، و203. نقلا عن نقلا عن خليفة إبراهيم حماش، المرجع السابق، ص 162.

2- رسالة من القنصل البريطاني في الجزائر 30 يناير 1801 في (F. O. 3) مج 9، و2-4 نقلا عن نقلا عن خليفة إبراهيم حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798-1830، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة الإسكندرية كلية الآداب، 1988، ص-163

3- نفس الرسالة.

4- رسالة من القنصل الأمريكي نوفمبر 1801، ينظر في:

Swanson Claude, **Naval documents**, vol. 1. p 617

- ينظر، خليفة إبراهيم حماش المرجع السابق، ص 166.

200 ألف قرش إسباني¹ لكن نابليون رفض فكرة التعويض وهدد الداوي بغزو الجزائر إذا لم يعدل عن المطالبة بهذا المبلغ.

أجاب الداوي مصطفى نابليون برسالة كلها ضعف قال فيها: لما رفضتم أن ترسلوا لإلي المائتي الف قرش التي كنت طلبتها تعويض عن الخسائر التي تكبتها بسببكم وفقا لما تعهد به القائم بالأعمال باسمكم وسواء دفعتم لي هذا المبلغ أم لم تدفعوه فإننا سنبقى مع ذلك أصدقاء² فأرسل نابليون برسالة أخرى بتاريخ 24 نوفمبر 1801 قال فيها:

"... لقد أرغمتكم أسباب سياسية على إعلان الحرب ضد فرنسا لكن الرسالة التي بعثتموها إلى تعاملكم مند مغادرة القنصل تانفيل جعلتني أتفهم الأسباب التي دفعتمكم إلى تلك التصرفات ولكن الماضي مضي وانقضى³..."

كانت بريطانيا تراقب المشهد في الجزائر ولم يعجبها تصرف الداوي فحاولت تدبير عملية اغتياله ففي تقرير⁴ بعث به القنصل الفرنسي بالجزائر إلى حكومته جاء فيه نتيجة لموقف الداوي المتخاذل من الحملة الفرنسية على مصر حرض القنصل البريطاني فالكون (Falcom) ومواطنه كايت (Keith) بعض أفراد الجيش الانكشاري ضد الداوي فتعرض لمحاولة اغتيال في 18 سبتمبر 1800 حينما كان في المسجد يصلي الجمعة إذ أقتحم القصر تركي يدعى بالي خوجة ومعه اثنتا عشر شخصا وجلس على

1- Nettement, **Histoire de la conquête d'Alger**, Paris: Librairie Jacques Le coffre, 1867. P125

- نقلا عن كمال بن صحراوي، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، معهد العلوم الاجتماعية الإنسانية، المركز الجامعي مصطفى إسطمبولي معسكر، 2007-2008، ص 113-125.

2- جمال قنان المعاهدات الجزائرية الفرنسية، ص 200.

3- Ch, Feraud, **Histoire des villes de la province de Constantine**, Alger, l'Association Ouvrière V. Aillaud et Cie, 1877, p 564

- كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 113

4- نص التقرير موجود في الأرشيف الوطني، كمال بن صحراوي، ص

العرش وأعلن أن المكانة التي يتمتع بها اليهود هي التي دفعته إلى اتخاذ هذه الخطوة¹ لكن هؤلاء الثوار قتلوا ووزع الداي على المدافعين عن عرشه 30000 قرش ذهبي.²

تطورت الأحداث في مصر على النحو التالي اتفق الجنرال "مينو" بعد سفر قائدها نابليون ثم مقتل نائبه "كليب"، مع "هتشنسن" قائدا للحملة الإنجليزية العثمانية على اتفاقية جلاء الفرنسيين عن مصر في 31 أوت 1801.

نصت الاتفاقية على ما يلي مغادرة الجيش الفرنسي مصر بأسلحته الخفيفة مع واحد عشر مدفعا فقط من مدافع الميدان إلى فرنسا، وتسليم الإسكندرية خلال عشرة أيام ومنع أعضاء لجنة العلوم والفنون من نقل قطع أثرية القديمة، أو خطوات عربية أو الرسوم والمصورات أو المذكرات أو المجموعات الفنية والعلمية، بل ويترك ذلك كله تحت تصرف القوات البريطانية³.

وبوقف الحرب بين الدولة العثمانية وفرنسا عادت العلاقات الجزائرية الفرنسية إلى الهدوء من جديد إلى حين تمّ عقد اتفاقية سلام وتعاون بين فرنسا والجزائر في 17 ديسمبر 1801 التي تضمنت 19 بندا⁴ سمحت للفرنسيين بالعودة لممارسة نشاطاتهم وإعادة الاعتبار للقنصل الفرنسي في الجزائر⁵.

إضافة إلى الدعم الجزائري والذي كان نتيجة إصدار السلطان سليم الثالث فرمانا يقتر فيه تنصيب مصطفى باشا دايا جديدا على الجزائر والذي كان له موقف عدائي من فرنسا حيث أسر

1- أبو العيد دوود، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855م)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989م. ص 40 نقلا عن كمال بن صحراوي، الدور الدبلوماسي لليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، معهد العلوم الاجتماعية الإنسانية، المركز الجامعي مصطفى إسطمبولي معسكر، 2007-2008، ص 114.

2- نفسه.

3- مُجَّد فؤاد شكري، الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2013، ص 600.

4- جمال قنان معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، المرجع السابق، ص 340-344.

5- خليفة بلدي، الحملة الفرنسية على مصر وموقف الجزائر منها من خلال بعض وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع 12، 2016، ص 45.

القناصل الفرنسيين في الجزائر ووضع الحديد في أرجلهم كرد فعل على حملة نابليون على مصر¹. وكرد فعل قامت الجزائر بإرسال سفنها الحربية إلى البحر المتوسط لمشاركة الأسطول العثماني في حربه على فرنسا وقطعت علاقتها مع فرنسا إضافة إلى إرسال تعليمات إلى باي قسنطينة بإيقاف الأعوان الفرنسيين في القل وعنابة وحجز ممتلكاتهم.

بالرغم من محاولة نابليون استمالة الداوي مصطفى عن طريق إرسال رسالة إليه لإعادة العلاقات مع الجزائر مع المبعوث الخاص ديو تانفيل²، والذي أكد للداوي مصطفى أن نابليون قد أطلق أكثر من ألفي مسلم كانوا محتجزين في جزيرة مالطا التي استولت عليها القوات الفرنسية 13 أوت 1798³.

أمام مساعي نابليون لاستمالة الداوي مصطفى استطاع عقد هدنة في 31 أوت 1800 والتي كانت عبارة عن صلح بين الطرفين عادت من خلاله الشركات الفرنسية ومراكزها التجارية لممارسة نشاطها بصفة رسمية إضافة إلى إيقاف العمليات العسكرية ضدها ولكن الضغط العثماني على الجزائر أدى إلى قطع هذه المصالح وعاد الدعم الجزائري للدولة العثمانية إلى غاية جلاء الفرنسيين عن مصر وإبرام الصلح مع فرنسا والدولة العثمانية في 18 أكتوبر 1801 والذي على أساسه عادت العلاقات الفرنسية الجزائرية إلى سابق عهدها من خلال معاهدة ديسمبر 1801، والتي جاءت نتيجة محاصرة نابليون الذي خرج بجيوشه من مصر لمواجهة الحلف الدفاعي بالرغم من معرفته بانقطاع الدعم من فرنسا فتوجه إلى بلاد الشام وأستطاع هزيمة الجيش العثماني 1799 إلا أنه بقي محاصراً⁴.

1- أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، تق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1974، ص121.

2- مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، ج1، ط2 دار الأمة الجزائر 2007، ص 166-167

3- حنيقي هلايلي، الجيش، الجزائر خلال العهد العثماني، ط1، دار الهدى الجزائر 2007، ص 125.

4- M. J. J. Marcel, **legyptedepuislaconquet de arabes jusqui a la domination francais sous la domination, firmin didot frerse diteurs**, Paris1848, p89.

المبحث الرابع: الخطط الفرنسية لاحتلال الجزائر:

لقد عاد نابليون إلى مخططه الاستعماري بعد صلح أميان خاصة بعد عودة التوتر إلى العلاقات بين الجزائر وفرنسا رغم معاهدة الصلح من البلدين وظهر ذلك في عدة مواقف حيث طلب من قيادته البحرية القيام بمظاهرات استعراضية دورية على السواحل الجزائرية خاصة بمدينة الجزائر لترهيب الجزائريين، كما أثار مشكلة حول معاهدة 1801 التي رفض اعتماد ترجمتها فعرض القنصل الفرنسي الأمر على التاجرين اليهوديين اللذين تحوفا من موقف الداوي فطرح القنصل الموضوع بنفسه أمام الداوي الغاضب من تحركات فرنسا في السواحل الجزائرية، وتأخر وصول الهدايا القنصلية فوجد القنصل في ذلك فرصة لطرح الموضوع الذي جاء من أجله وأن الترجمة كانت سيئة وأن الفصل الأول طلب الحصول على ترجمة دقيقة فرد الداوي معبرا عما قامت به الجزائر من إطلاق سراح الأسرى ودفع مبالغ لإطلاق سراح الرعايا الجزائريين، فرد تانفيل أن بلاده قوية ولن ترضخ لما يراد فرضه، وهو ما أثار غضب الداوي وأنهى المقابلة غاضبا فتولى الخزناسي ترجمة المعاهدة، فتم إرضاء فرنسا حول مطالبها وأضيف إلى المعاهدة اكتساب حق الحصانة المنزل القنصل الفرنسي¹.

ورغم حل هذه الأزمة إلا أن العلاقات بين البلدين لم تستقر من خلال تأكيد القنصل الفرنسي أن بلاده لن تلتزم بدفع الإنارة والهدايا القنصلية وهو محاولة لزيادة التوتر بين البلدين وقد حاول نابليون الاستفادة من تحرشات ديبو تانفيل لتصعيد الوضع وتفجير أزمة وبدأت فرنسا تنهياً لإرسال الحملة وطلبت من قنصلها السابق جانبيون سانت أندري الإجابة عن أسئلة تتعلق بالوضع العسكري والحالة السياسية للجزائر وتحصيناتها والطريقة الكفيلة لإلحاق الضرر بالجزائر وطلبت معلومات عن الجيش وشخصية الداوي ومدى تأثيره في حالة التهديد بالحرب².

1- فاطمة درعي، المرجع السابق، ص 68.

2- جمال قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية...، المرجع السابق، ص 216.

حاول القنصل السابق إعطاء وصف عن تحصينات الجزائر وقدم التدابير للبحرية الفرنسية لمنع اقتراب البحرية الجزائرية وقدم لمحة عن طباع الداى الذي قال عنه أنه رجل أحمق عنيد وطاغية، حاشيته جماعة من المتملقين في مقدمتهم الخزناسي والتاجر يهوديين¹.

ظهر تغيير في موقف الجزائر حول غنائم القرصنة وذلك لأسباب عملية حيث أقامت الجزائر مصنعا لصناعة البارود، وكانت في حاجة إلى المواد وأحد التقنيين لتشغيله، وتجهيزات عسكرية ونظرا لتأثرها من سياسة الحصار القاري وكون الإنجليز لم يعودوا يوفرون لها هذه المواد فالخ تانفيل على ضرورة الاستجابة لمطالب الجزائر لتأثيره الإيجابي لوضع مكانة فرنسا في الجزائر على حسابه غير أن فرنسا لم تبدي استعدادا للاستجابة على المستوى الذي تتمناه الجزائر حيث رخصت تصدير بعض المواد العسكرية إلى الجزائر لكنها محدودة لكنها تراجعت وحجزت السفينة التي شحنتها لهذا الغرض.

وفي بداية سنة 1814 طلبت من القنصل تانفيل الإجابة على أسئلة تستفسر عن إمكانية تسوية المنازعات القائمة بالتراضي، ووضع تقدير للخسائر التي ستتكبدها فرنسا في حالة حدوث القطيعة ومقارنتها مع الخسائر التي تكبدها البحرية الفرنسيين في موانئ الجزائر في السنوات الأخيرة وضرورة تحديد الإجراءات التي يجب اتخاذها لسلامة القنصل والمواطنين الفرنسيين المقيمين بالجزائر في حالة حدوث القطيعة.

وقد كانت مسألة العلاقات الفرنسية الجزائرية من أكثر المسائل التي تشغل الدبلوماسية الفرنسية عشية سقوط نابليون وعودة أسرة آل بوربون إلى العرش².

اعترفت الجزائر بالنظام الجديد الذي قام بفرنسا، حيث ردّ الداى على رسالة لويس الثامن مؤكدا استعداد الجزائر على العمل بصدق لدوام الصداقة بين البلدين وأحد القنصل ديبو تانفيل أن السبب في اضطراب علاقات البلدين وعدم استقرارها يعود إلى المعوقات التي وضعتها الإدارة

1- فاطمة درعي، المرجع السابق، ص 68.

2- Plantet, op, cit, p 514.

السابقة في طريق التجارة، والعودة إلى إتباع مبادئ العدل يسمح بحل النزاعات مع الجزائر، لكن ذلك لم يمنع ديبو تانفيل من الاستمرار في ممارساته القديمة لذلك قامت سلطات الجزائر بطرده في أكتوبر 1814 وكتب الداوي رسالة إلى الملك الفرنسي شرح له فيها الأسباب التي دفعته لطرد القنصل من البلاد، وعند عودته إلى الجزائر في جوان 1815 معتمدا من طرف نابليون خلال فترة حكم "المئة يوم" وجد الأبواب مقفلة في وجهه، حيث اعتذر الداوي لنابليون عن عدم قبوله اعتماد القنصل تانفيل من جديد في الجزائر.

عين بيير دوفال في منصب القنصل العام بالجزائر خلفا لتانفيل وأوكلت له مهمة دراسة ملف علاقات البلدين ووضع مذكرات حول المسائل التي هي محل نزاع بين البلدين، كما طلب منه التأكيد على تنازل فرنسا على مطالبها في حصيلة الغنائم التي إقتادها القراصنة الفرنسيون على موانئ الجزائر والتي اعتبرها ديوان البحرية في الجزائر غير شرعية، كما رخص القنصل التفاوض حول إمكانية استرجاع الامتيازات الإفريقية وفي حالة تعذر التفاهم فعل القنصل إبلاغ حكومته حتى تتمكن من اتخاذ إجراءات عسكرية مناسبة ضد موقف الجزائر السلمي وذلك رغم الظروف الصعبة التي كانت تمر بها في ظل تحالف الدول الأوروبية ضدها وهو ما سيعرقل عليها التحرك منفردة ضد الجزائر¹.

بعد التحاقه بمنصبه استدعى القنصل الفرنسي الحضور جلسة ديوان البحرية المخصصة لمناقشة شكاوي الطرفين فتمت تسوية المنازعات المالية دون صعوبة، حيث قبلت الجزائر تخفيض مطالبها المالية بنسبة معتبرة ولم يسجل أي خلاف حول الطريقة التي اقترحتها فرنسا لتسديد المبلغ وخلال هذه الفترة التي بدأت قبيل سقوط نابليون إلى غاية 1819 عملت دبلوماسية فرنسا على تحسين وضعها في الجزائر وذلك بترضيتها حول مطالبها، وإظهار استعدادها لتسوية ديون التاجرين التي أصبحت عقبة في طريق محاولة تحسين علاقات البلدين، واسترجاع الامتيازات الإفريقية من أيدي الإنجليز بعد ظهور تحركات إنجليزية لتحقيق مكاسب في الجزائر.

1- Esquer, G, op, cit, p 37.

إن الاحتلال الفرنسي لم يكن بسبب خلاف أو حادث معين بل كان ميتا له منذ أمد بعيد خاصة في سنوات 1802 - 1808، وكان نتاجا لسياسة استعمارية اختمرت في أذهان ملوك وأباطرة فرنسا، وهذا الاحتلال يدخل في إطار استراتيجية ونظرة سياسة بعيدة المدى عكستها الخطط العسكرية الفرنسية التي جاءت في شكل مذكرات ومشاريع وتقارير ورسائل رسمية ويتضح من خلال المخططات عدم تطرق أصحاب المشاريع لمسألة ديون الجزائر على فرنسا مما يفسر عدم استعداد فرنسا لتسديدها، وقد كان أهم مخطط عسكري على الإطلاق هو ذلك الذي أعده بوتان سنة 1808، ذلك لأنّ نجاح الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830 مرتبطا ارتباطا وثيقا بمشروع هذا الجاسوس. وعلى ذلك فإنّ حادثة المروحة لم تكن سوى مسرحية أتقن القنصل العام "بيير دو فال" تمثيلها والقضاء على القرصنة، وتأديب الداوي حسين والمحافظة على شرف فرنسا ما هي إلا حجج واهية تذرعت بها فرنسا لتبرير عدوانها على الجزائر سنة 1830، ويبدو أن من الأسباب الهامة للغزو هو السيطرة على الخزينة التي ظهرت من خلال المخططات العسكرية التي اتفقت على ضرورة الاستيلاء عليه¹.

1- فاطمة درعي، المرجع السابق، ص 69.

الباب الثاني

أطوار العلاقات العثمانية - الأوروبية في القرن التاسع عشر

وانعكاساتها على الجزائر

- الفصل الأول: العلاقات العثمانية- الفرنسية خلال القرن التاسع عشر وموقف القوى الأوروبية منها.
- الفصل الثاني: العلاقات العثمانية- البريطانية في القرن التاسع عشر وموقف القوى الأوروبية منها.
- الفصل الثالث: العلاقات البريطانية الفرنسية مع الدولة العثمانية في ظل الأزمات الدولية - المسألة الشرقية-.
- الفصل الرابع: انعكاسات العلاقات العثمانية - الأوروبية (البريطانية والفرنسية) على الجزائر في بداية القرن التاسع عشر.

الفصل الأول

العلاقات العثمانية - الفرنسية خلال القرن التاسع عشر

وموقف القوى الأوروبية منها

- ❖ المبحث الأول: الإصلاحات العثمانية والتأثير الفرنسي.
- ❖ المبحث الثاني: العلاقات العثمانية - الفرنسية خلال حكم نابليون بونابرت.
- ❖ المبحث الثالث: توتر العلاقات الفرنسية - الروسية وأثرها على الدولة العثمانية.

المبحث الأول: الإصلاحات العثمانية والتأثير الفرنسي:

تمثل الوضع المتردي الذي مرت به الدولة العثمانية خلال القرن الثامن عشر بعدم استتباب الوضع الداخلي وذلك بزيادة تمرد الانكشاريين والولاء على الحكومات المركزية، وسوء الأحوال الاقتصادية، والانكسارات العثمانية أمام القوى الخارجية، الأمر الذي دفع بالسلطين العثمانيين إلى الإسراع في عملية الإصلاح، ورغم الحماس الفياض الذي أبداه السلطين العثمانيون وفي مقدمتهم سليم الثالث ومحمود الثاني¹ للسير قدما بسياسة الإصلاح، في محاولة منهما لترويض الإمبراطورية لمدة تزيد عن ثلاثة قرون، إلا أن ظروف الدولة العثمانية كانت أقوى، فليس من السهل القضاء على جوهر العقلية القديمة التي ظلت ممسكة بزمام أمور للدولة ولعهود طويلة، والدول الأوروبية تتربص للانقضاض.

فرغم النجاح والاختراق اللذان اتسمت بهما سياستهما، إلا أن إصلاحاتهما كانت المقدمة والقذوة التي أنارت طريق السلطين الذين تابعوا إجراءات التحديث من بعدهما، لتدخل بذلك الدولة آخر مرحلة من عمر حركة الإصلاح العثماني، فرضتها عليها الدول الأوروبية وباتفاقيات دولية انتهت بالإمبراطورية إلى حالة الاستلام الحضاري للغرب.

تبلورت فكرة الإصلاح وبداية تنفيذها في الدولة العثمانية مع بدايات القرن التاسع عشر وفي ظل تسرب الثقافة الأوروبية إلى الداخل العثماني، لاحظ السلطان سليم الثالث تولية عرش السلطنة 1789م، الفساد المستشري في البلاد فأدرك أن خلل الدولة يكمن في السياسة التقليدية والمؤسسات العاجزة عن القضاء على هذا الفساد وإصلاح الخلل، فتكونت في ذهنه فكرة ثابتة هي ضرورة إجراء برنامج إصلاحي شامل، يستهدف مؤسسات الدولة ولا سيما المؤسسة العسكرية، فبادر إلى العمل في سبيل هذا الإصلاح الهام، فكانت أبرز خطوة أقدم عليها السلطان

1- محمود الثاني: تولى مقاليد الحكم سنة 1808 وفي عمره 24 سنة كانت له رغبة في الإصلاح والنهوض بالدولة رأى ان الإصلاح يجب ان يكون شاملا لكل النظم العثمانية ولا يقتصر على الجانب العسكري فقط قام بإزالة النظم التقليدية القديمة توفي 1839، انظر غانية بعيو، التنظيمات العثمانية واثرها على الولايات العربية، الشام، العراق نموذجا 1839-1876، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية 2008-2009، ص 23.

والتي سيدفع ثمنها غالبا فيما بعد هو إصلاح الجيش إصلاحا كاملا وشاملا، وذلك بالاعتماد علي الأساليب والنظم العسكرية الغربية.¹

ولما أدرك السلطان صعوبة إصلاح الإنكشارية، تركهم جانبا وبادر بنفسه إلى عملية تشكيل جيش جديد سنة 1973م سَمَّاه "نظام جديد" تجد فيه الدولة أداة حكم قوي يمكنها من القضاء علي العصابات المسلحة، ومواجهة الدول الأوروبية المتربصة بها في هذه الفترة. ويتكون هذا الجيش من اثني عشر ألف جندي يتدربون علي أيدي ضباط وخبراء أوروبيين فرنسيين علي وجه الخصوص ويعملون وفق النظم الأوروبية، ثم شيد ثكنة خاصة بهذا الجيش الجديد، وفضلا عن ذلك أدخل السلطان إصلاحات لتزويد الجيش بالأسلحة الحديثة، فأنشأ مدارس لتلقين علوم الغرب ومعارفه.²

وقد تزامن مع وصول محمود الثاني إلى الحكم أن أخذ تأثير الفكر الأوروبي يتأكد بشكل ثابت في الدولة العثمانية، إذ تركت المحاولة الإصلاحية التي بدأها سلفه سليم الثالث أثرا عميقا في سياسة محمود الثاني، إلا أن ظروفًا عدة حالت دون مواصلة الإصلاح العسكري إلا بعد مضي حوالي ثمانية عشر سنة تقريبا، منها تلك الحرب التي خاضتها الدول العثمانية ضد جارتها الشمالية روسيا وانتهت بانحزامها وإنحزام دعائم بحريتها بانتهاء أسطولها سنة 1827م، ناهيك عن تلك التحديات الداخلية التي واجهها السلطان كالحركة الوهابية في الحجاز وتمرد مُحمَّد علي باشا في عام 1931م واجتياحه لبلاد الشام، إلا أن هذه الظروف الجسيمة التي كانت تجتازها الدولة شكلت حافزا قويا دفعت بالسلطان إلى انتهاج سياسة إصلاحية لتوفير أسباب القوة العسكرية والاقتصادية والعلمية للدولة لتمكن من مواجهة كل التحديات الداخلية والخارجية التي تتعرض لها.³

1- سيد مُحمَّد سيد، دراسات في التاريخ العثماني، ط1، دار الصحوة للتوزيع والنشر، القاهرة، 1996، ص 280.

2- مصطفى السيد، نقد حاله الفن العسكري والهندسة والعلوم في القسطنطينية 1803، تح: خالد زياد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979، ص24.

3- خالد زياد، اكتشاف التقدم الاوروي، دراسة في المؤثرات على العثمانيين في القرن الثامن عشر، ط1، دار الطليعة للطباعة، بيروت، 1968، ص110

حيث كان نشاط محمود الثاني 1808-1939 المتأثر بالثقافة الأوروبية والأدب الفرنسي فنشط حركة الترجمة وأنشأ مكاتب لها وحاول فصل الدبلوماسية عن العسكريين واهتم بالاطلاع على تقارير الرحالة عن أوروبا ونشاطهم الاقتصادي والعسكري ساعيا إلى تطوير دولته بالرغم من فترة الصراع الداخلي التي شهدتها عهده،¹ وقد سعى محمود الثاني إلى تطوير الإصلاحات المدنية والمتعلقة ينظم الخدمات والشؤون المالية وإلزام الفلاحين بالعودة إلى قراهم ومراعاة التقاليد فيما يتعلق بارتداء اللباس الشرعي بالنسبة لمختلف الرعايا.²

وعليه جاءت التنظيمات العثمانية في ظروف عصيبة لا تخلو من الضغوط الأوروبية للسيطرة علي الدولة العثمانية، ويمكن رصد مظاهر هذه الضغوط مع تراجع السادة العثمانية في الداخل والخارج، على عدة مستويات أهمها المستوى الاقتصادي عبر ضغط الامتيازات الأجنبية، وسياسيا عبر إثارة الأزمات الداخلية ودفع البنى الداخلية العثمانية لمزيد من التصادم والانفجار، تمهيدا لإدخال مشاريعها الإصلاحية (التنظيمات) التي حولت السلطنة العثمانية تابعة بالقوى الغربية وحضارتها كالأزمة السورية وأزمة القرم.

1. ماهية التنظيمات "الإصلاحات":

أ. ماهية التنظيمات والإصلاحات العثمانية:

تعرف وفقا لدائرة المعارف الإسلامية: "إنها اصطلاح مأخوذ من قانون تنظيم إتمك"، ويقصد بالتنظيمات الإصلاحات التي أدخلت أداة للحكم والإدارة في الدولة العثمانية من مطلع عهد السلطان عبد الحميد الأول. وقد استهلته بالقانون المعروف بصفة عامة باسم خط شريف كلخانة، وورد اصطلاح تنظيمات خيرية لأول مرة في السنوات الأخيرة من حكم السلطان محمود الثاني، أما نهاية عهدها فكانت حوالي عام 1876م، عندما تولى الحكم عبد الحميد الثاني، وفي

1- وليد العريضي، تاريخ الامتيازات في الدولة العثمانية وآثارها، مجلة الدراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 4، ع 1، الكويت، 1997، ص148.

2- روبير مانتران مرجع سابق ج1، ص14.

تعريف آخر للتنظيمات: أنها عبارة عن إصلاحات تستوحي التجربة الأوروبية إلى حدّ بعيد، تهدف لتغيير نظام الإمبراطورية العسكري والإداري، وإرسائها على أسس فكرية وقانونية جديدة¹.

أشرف على إدارة مشروع التنظيمات العثمانية، بعض الرموز الإصلاحية العثمانية السياسية، الذين تبوأوا أرفع المناصب في الدولة، وتخرج أغلبهم من المدارس الأوروبية، وحملوا أفكار ما يسمى بعصر النهضة والثورة الفرنسية وقيمها، من أمثال: مصطفى رشيد باشا، وفؤاد باشا، وعالي باشا، ومدحت باشا، وهم الذين كانوا وراء حركة التنظيمات التي بدأت رسمياً سنة 1839م².

ب. أهداف التنظيمات؛

- حدثت هذه التنظيمات نتيجة للعمل المشترك بين سلطان يرغب في الإصلاح وجماعة من كبار الموظفين كان لهم علم وخبرة مباشرة بأوروبا³، هدف السلطان من وراء إصدارها إلى النظر في الأحوال السائدة في الدولة وتنظيم أمورها وفقاً للنظم المرعية في الدول الأوروبية، بغرض إعادة اللحمة إلى المجتمع العثماني، على أسس اجتماعية واقتصادية وسياسية جديدة تحت شعار ما عرف بالعثمنة، وإلغاء التناقض بين جميع طوائف السلطنة وقومياتها.

- استحداث الإدارة، والبدء بسياسة مركزية من شأنها ربط الولايات جميعها بالمركز والقضاء على كل أشكال الاستقلال الأجنبي، ونفوذ العصبية المحلية الموروثة في السلطنة،⁴ بقصد توطيد الثقة بحكومة البلاد، واسترضاء الدول الأوروبية التي زاد مع الأيام تدخلها في شؤون البلاد تحت ذرائع حماية المسيحيين من رعايا الدولة،⁵ بغية خلق دولة حديثة يكون الحاكم فيها حاكماً لا

1- دائرة المعارف الإسلامية، مادة تنظيمات، بيروت، 1933، مج 7، ص 36، 42.

2- دائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق، ص 79.

3- ألبرت حوراني. الأسس العثمانية للشرق الأوسط الحديث، تاريخ العرب والعالم، ع15، كانون الثاني، يناير، 1980، ص29.

4- وجيه كوثراني. السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ ولاية العثمانية في بلاد الشام، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، تشرين الأول 1988، ص82.

5- ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، دار العلم للملايين، بيروت، 1960، ص69.

بحسب الأهواء والميول الخاصة، ولكن بناء على العدالة الطبيعية المنصوص عليها في القوانين، بحيث تكون هذه العدالة وهذه القوانين مقيدة بنظام إداري بيروقراطي.

- كان اقرار التنظيمات للأمنية الكاملة وعهد الأمان ومجلس شورى النواب، أولى المظاهر المستوحاة من التجربة الغربية، فقد فتحت الطريق لطبقة من التجار الغربيين والمبشرين لإلحاق المجتمع العثماني بقوانين السوق الغربية من ناحية، وبمعايير الفكر التبشيري من ناحية ثانية.

- لقد تكلم خط كلخانة وهمايون بدستور مدحت باشا 1876م، ولأول مرة في تاريخ الإسلام يجري العمل بدستور مأخوذ عن الدستور الفرنسي والبلجيكي والسويسري، وهي دساتير وضعية علمانية، وقد تمت التنظيمات في مرحلتين:

- المرحلة الأولى: التنظيمات الخيرية، وبدأت من سنة 1839م إلى سنة 1876م، وتشمل عصري السلطان عبد الحميد الأول والسلطان عبد العزيز الأول.

- المرحلة الثانية: تعرف بالمشروطة وتشمل عصر عبد الحميد الثاني، من عام 1876 إلى 1908.

2. مظاهر التنظيمات العثمانية؛

تجسدت مظاهر التنظيمات العثمانية في سلسلة طويلة من القوانين والنظم الإصلاحية، وعدد كبير من الخطوط الهمايونية صدرت بين وفاة السلطان محمود الثاني سنة 1839م، وإلغاء عبد الحميد الثاني الدستور سنة 1876م، واستهدفت تنظيم مختلف إدارات وأجهزة الدولة، وأهمها ثلاثة قوانين إصلاحية عُدت في التاريخ العثماني من أبرز مظاهر التنظيمات التي لفتت أنظار أوروبا. وهذه القوانين هي: خط شريف كلخانة سنة 1839م، وخط همايون سنة 1856م، وصدرت عند تولية عبد الحميد الأول الحكم، والدستور الذي أصدره السلطان عبد الحميد الأول سنة 1876م.

أ. مرسوم كلخانة؛

يعتبر خط شريف كلخانة مرحلة هامة من مراحل التحديث شهدتها الدولة العثمانية منذ القرن الثامن عشر، وبالرغم أنه لم يكن بداية التحديث حسب ما يذهب إليه بعض الكتائب

بالنظر إلى محتوى هذا الذي كان بمثابة الاعتراف القانوني والسياسي بالتغيير البنوي والإداري التي جرت في عهد سليم الثالث، إلا أن الخصائص الرئيسية لهذا الخط تكمن في ملامحه التي كانت صورة للدساتير شهدتها أوروبا خلال الثلاثينيات من القرن التاسع عشر. وقد اصطنعت المهارة في دمج هذا الملامح في النظم التقليدية العثمانية، بالإضافة إلى المبادئ الأخرى التي أملتتها الضروريات العملية، ولم يكن مستمدا من الشريعة بل استهدف مصلحة الدولة مثله في ذلك مثل كثير من القوانين التي أصدرها السلاطين السابقون.¹

عين رشيد باشا²، الذي كان قد كلفه محمود الثاني قبل موته بإعداد نص يعلن فيه الإصلاحات المستهدفة (الخط الشريف)³. وفي 03 نوفمبر 1839 نصبت خيام كثيرة في حدائق قصر طوب قاي⁴ المعروف باسم جولخانه (قصر الزهور)، حيث اجتمع حشد كبير من كبار موظفي الدولة وممثلي الدول الأجنبية⁵، وتمت تلاوة فرمان التنظيمات، لذلك فإنه يطلق عليه اسم كلجانه خط الهمايوني ويطلق عليه الأوروبيون خط الشريف. قرأ مصطفى رشيد باشا خط كلجانه على مسمع من السلطان وأمام جموع المدعويين، وكان هذا الخط معنوناً باسم التنظيمات. وهو بمثابة الدستور الذي يوضح الحقوق الرئيسية وبياعلانه أصبحت إصلاحات السلطان محمود الثاني

1- أحمد عبد الرحيم مصطفى. في أصول التاريخ العثماني، ط1، دار الشرق القاهرة، 1982، ص199.

2- رشيد باشا: ولد في إسطنبول بتاريخ 18 شوال 1214هـ/ 1800م، عين سفيراً في باريس 1250هـ/ 1834م ولندن 1252هـ/ 1836م. عين وزيراً للخارجية سنة 1253هـ/ 1837م، استلم منصب الصدر الأعظم ست مرات ففضى مدة مجموعها ست سنوات أدار فيها الدولة العثمانية رئيساً للوزراء توفي في عهد السلطان عبد الحميد الأول سنة 1858م. للمزيد ينظر: سعيد أوزتورك وأحمد اق كوندز: الدولة العثمانية المجهولة، وقف البحوث العثمانية، (د. ب)، 2008، ص 414.

3- خط الشريف: اصطلاح شائع من العهد العثماني معناه المرسوم الملكي أو السلطاني للمزيد ينظر: الخطيب، المرجع السابق، ص163، وأنظر أيضا المحامي، المرجع سابق، ص 223.

4- طوب قاي: صمم على شكل أجنحة بحيث يتسع لأربعين ألف شخص ففيه المدارس السلطانية التي تعد العلماء والضباط... وفيه مكتبة (الآن) دولية (الشهيرة بمخطوطاتها العربية والفارسية والتركية النادرة). للمزيد ينظر: مُجدد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات، القاهرة 1994م، ص304.

5- أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ط1، دار الشروق، القاهرة 1982م، ص 202.

قانونية وموثقة، ثم سلم رشيد باشا الخط الشريف، إلى الصدر الأعظم ودعا له شيخ الإسلام، وأطلقت المدفعية طلقات تحية في جميع الأستانة. وقد عبر سليمان البستاني في كتابه عبرة وذكرى عن خط كلخانة بقوله: "... وما كاد يجلس السلطان عبد المجيد على سرير السلطنة حتى أذاع خط الكلخانة المشهور سنة 1839م، في شعبان سنة 1255هـ فكانت له ضجة اهتزت لها أوروبا..."¹ ومما تجدر ملاحظته في هذا المجال أن هذا الخط صدر في فترة اشتد فيها العداء بين السلطان عبد المجيد وواليه القوي في مصر. مُجّد علي باشا حول احتلال الأخير لبلاد الشام. لذلك تضمن الخط وعد السلطان بتنفيذ الإصلاحات التي يروم إجراؤها في الدولة العثمانية كي يضمن مساندة الدول الأوروبية في نزاعه الحاسم مع مُجّد علي.

وأهم ما جاء في خط كلخانة:

- 1- منح السلطان الرعاية أمنية الروح والعرض والناموس والمال.
- 2- وعد السلطان بإصلاح الإدارة والقضاء حيث انتزع هذا الخط من نفوس الولاة الجرأة على القتل والمصادرة
- 3- أمر السلطان بأجراء القرعة العسكرية الشرعية شرط ألا يترتب على ذلك الخلل في منافع مواد الزراعة والتجارة أمر السلطان بجباية الأموال وتوزيعها بمقتضى أحكام الشرع والغاء أصول الالتزامات من آلات الخراب ولم يجن منها ثمر نافع في وقت من الأوقات».
- 4- القضاء على الرشوة التي كانت سائدة في الدولة نتيجة قلة الرواتب أو انعدامها والتي كانت أحد أسباب فساد جهاز الحكم.
- 5- وعد السلطان باستمرار الإصلاح في الدولة العثمانية عن طريق إصدار التنظيمات والقوانين المتعلقة بأمنية الأنفس والأموال، وتعيين الجزية والتنظيمات العسكرية. كما وعد أيضاً باحترام هذه

1- سليمان البستاني، عبرة وذكرى أو تاريخ الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، مطبعة الأخبار للنشر والتوزيع، د ب، 1908، ص 12.

القوانين وأعطى العهد والميثاق بعدم مخالفتها، وبذلك تنازل السلطان عن جزء من سلطته لمجلس الأحكام العدلية الذي أصبح من حقه سن القوانين على أن يصدق عليها السلطان.

6- طلب السلطان من الصدر الأعظم تعميم خط كلخانة على جميع الولايات وإبلاغه لسفراء الدول الأجنبية رسمياً، وهذا يدل بلا شك على اهتمام الدول الكبرى بشؤون الدولة العثمانية الداخلية.

ويتميز هذا الدستور بتعدد سماته فهو ميثاق حقوقي ومالي وإداري وعسكري¹، كما أكد هذا الخط أن عدم الانقياد إلى الشرع الشريف كان السبب فيما أصاب الدولة خلال القرون الماضية من تدهور وضعف، وأن المقصود منه هو إحياء الدين والدولة والملة، ومع هذا كان الخط هو الخطوة الكبيرة نحو الأخذ بالقوانين الوضعية حين قرر المساواة بين المسلم وغير المسلم.²

والواقع أن هذه الوثيقة خلت من أيما فكرة جديدة لم يسعى السلطان محمود جهده إلى تطبيقها عملياً، ولقد كان للاعتبار المزدوج القاضي باسترضاء مشاعر الأمة الإسلامية واكتساب عطف النصارى أثره في ما انساق إليه واضع الوثيقة من تناقض يتمثل في تمجيده السنن الإسلامية القديمة وبوصفها السبيل الصحيح إلى إنقاذ الدولة ثم في إشارته بضرورة الأخذ بالدساتير الحديثة ابتغاء القضاء على المساوى الناشئة عن مخالفة تلك السنن والإخلال بها.

قد كان واضح التأثير الأوروبي على خط كلخانة حتى شبهه كينروس Kinross بأنه ماجناكرنا³ Magna Carta الرعايا الدولة العثمانية بعد أن ضمن الحرية والأمن والاحترام والملكية وتطبيق القانون، واعتبر شو Shaw أنه شمل الكثير من الأفكار التي احتواها الإعلان الفرنسي لحقوق الإنسان والمواطن الصادر (1204هـ / 1789م) أثناء الثورة الفرنسية، ورأى يلماز أنه يعد

1- روبر منتزان، المرجع السابق، ص 60.

2- عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت)، ص 161.

3- الماجناكارنا: الميثاق الأعظم الذي منحه الملك جون النورماني الذي اضطر للتوقيع عليه من جانب النبلاء الإنجليز سنة 1215م، وهي وثيقة تتكون من (63) مادة معظمها يهتم بضمان امتيازات النبلاء. للمزيد ينظر: سلوى سعد الغالي، العلاقات العثمانية الأمريكية (1246-1337هـ / 1830-1918م)، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2002، ص 88.

بمثابة الدستور الذي يوضح الحقوق الرئيسية¹.

ب. مجموعة قوانين تنظيمية 1840-1874م؛

أصدرت الدولة العثمانية في أعقاب فرمان كلخانة مجموعة من قوانين تنظيمية جديدة لتنفيذ توصيات هذا فرمان أدت إلى حدوث تغيرات كبيرة شملت مختلف مجالات الحياة في:

وفي 06 ديسمبر 1843م صدر قانون خاص بالمجندين في الجيش وتنظيم الخدمة العسكرية فقسم الجيش العثماني على إثره إلى خمس فيالق وحددت مدة الخدمة العسكرية بخمس سنوات للعامل في الجيش وحددت مدة سبع سنوات أخرى للجندي الاحتياطي رديف وفي مارس 1845م بعد عودة مصطفى رشيد باشا إلى الصدارة العظمى فأصدر خط همايون يشمل التعليم في جميع مراحلها وجعل التعليم إجباريا في المدارس الأولية ومجانيا لمدة أربع سنوات دون تفرقة بين الذكور والإناث وتمييز بين المسلمين وغيرهم.

وفي أوت 1846م بموجب قانون إصلاح نظام التعليم تولت الحكومة الإشراف على التعليم بدلاً من العلماء (رجال الدين)، ثم وسع نطاق إصلاح التعليم فأنشئت وزارة المعارف العثمانية 1866م ذات الصيغة العلمانية، ووضع في عام 1869م قانون شامل لإعادة تنظيم المدارس الحكومية هو ينطوي على تأكيد العثمانية مع التحديث².

ج. الخط الهمايوني (التنظيمات الخيرية)؛

تبيّن أن خط كلخانة لم يكن كافيا في نظر الدول الأوروبية التي تطمح إلى عمليات "إصلاح" أوسع، تقدم لها ضمانات الاختلاف الكامل والفصل العلمي بين الإسلام والمؤسسات العثمانية، لذلك عادت الدول الأوروبية لممارسة ضغوطها على الدولة العثمانية، فأصدر السلطان عبد المجيد

1- يلماز اوزتونا، المرجع السابق، ص 32

2- غانية بعبو، التنظيمات العثمانية وآثارها على الولايات العربية الشام والعراق نموذجا 1839-1876، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009م، ص 26.

الأول في 18 شباط/ فبراير 1856م. خط همايون حرب القرم (1853-1854م)، فكان هذا الخط بمثابة هدية إلى إنجلترا وفرنسا اللتين وقفتا ضد تقسيم السلطنة في أعقاب حرب القرم¹.

وقد اتخذت الدولة العثمانية في هذا الخط خطوات إصلاحية إيجابية لخير رعاياها فأقر السلطان كافة المبادئ والضمانات التي وردت في خط كلخانة، فكلاهما صدر بمرسوم سلطاني حاد اللهجة. وإن تكن ثمة اختلافات فخط همايون سنة 1856م كان أكثر دقة في تحديد التغييرات الواجب إجراؤها، ولم يبد فيه انقسام الشخصية الذي اتضح في خط كلخانة، كما كان أكثر اتساعاً ودقة من خط كلخانة² لذلك زاد فيه عدة امتيازات وحصانات لرعايا الدولة غير المسلمين، وعلى هذا الأساس صدر الخط الهمايوني الذي كان أكثر جرأة من الأول وأكثر اندفاعاً نحو الاقتباس من الغرب وبصورة لم تعهد من قبل في الوثائق العثمانية، فهو لم يستشهد بأية قرآنية واحدة أو بقوانين الدولة القديمة وأمجادها³.

وهذا الفرمان من صنع عالي باشا⁴، وقد نشر بقصد كسب الرأي العام الأوروبي والخروج بربح من معاهدة باريس⁵ واكساب الدولة العثمانية طابع الدولة الأوروبية⁶ للسير حسب البرامج

1- قيس جواد الغزاوي، الدولة العثمانية، قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، ط1، مركز دراسات الاسلام والعالم تامبا، فلوريدا الولايات المتحدة الأمريكية، 1994، ص 110.

2- بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس، ط. دار العلم للملايين، بيروت، 1968م، 591.

3- عصمت برهان الدين عبد القادر، تغلغل الماسونية في الدولة العثمانية 1839-1918، مجلة المؤرخ العربي، ع11، العراق 1981م، ص 216

4- عالي باشا: (1815/03/05م-1871/09/07م) تتلمذ على يد رشيد باشا وكذلك تأثر بالرائد الثاني للحركة التجديدية والتنظيمات الصدر الأعظم كيجه جي زاده بيوك دكتور محمود فؤاد باشا، وجميعهم تلاميذ رشيد باشا كان على باشا من خريجي غرفة الترجمة، عمل بالسلك الدبلوماسي شغل منصب وزير الخارجية والصدر الأعظم. المزيد أنظر: أوزتونا تاريخ الدولة... ص ص 30-31. وأنظر أيضاً: الشناوي، المرجع السابق، ص 56

5- معاهدة باريس: هي المعاهدة التي عقدت في باريس في الفترة من 25 شباط 1856م وإلى 30 مارس 1856م وأنبت الحرب القائمة بين الدولة العثمانية وروسيا التي استمرت (1853-1856م) اشتملت على 34 مادة، وتتناول العلاقات بين الدولة العثمانية وروسيا. للمزيد ينظر: صابان، المرجع السابق، ص 211

6- أوزتونا، المرجع السابق، ص 54.

الحديثة لإصلاح الدولة والبلاد بقيت فيه ثغرات استغلها المنتقدون وبعض رجال الدين ولاسيما في الولايات الشرقية حيث يتمتع الزعماء ورؤساء العشائر بالسيطرة والنفوذ في مناطقهم الذاتية البعيدة عن سيطرة الدولة المركزية¹، ونجمل فيما يلي أهم النقاط التي جاءت في خط همايون:

1- إقرار امتيازات الطوائف غير الإسلامية بعد إعادة النظر في تنظيماتها من قبل الطوائف على أن تتقدم كل طائفة إلى الباب العالي بمقترحات الإصلاح التي تتفق مع ما طرأ على الدولة العثمانية من رقي وتقدم.

2- السماح للطوائف غير الإسلامية بالحرية في ممارسة شعائرها الدينية وبناء معابدها بشروط يتوافر فيها التسامح.

3- إعلان المساواة في المعاملة بين جميع الطوائف ومنع استعمال الألفاظ التي تحط من قيمة غير المسلمين وتأمين الحرية الدينية لأهل كل مذهب وينبغي أن تؤخذ التدابير اللازمة القوية لأجل تأمين من كانوا أهل مذهب واحد مهما بلغ عددهم ليجروا مذهبهم بكل حرية ثم تمحى وتزال مؤبدا من المحررات الديوانية جميع التعابير والألفاظ والتمييزات التي تتضمن تديني.

4- فسح المجال أمام كافة رعايا السلطان للمساهمة في خدمة الدولة من طريق تعيينهم في الوظائف واستفادتهم من خدمات الدولة التعليمية وبما أن جميع تابعون لدولتي العلية من أية ملة كانوا سوف يقبلون في خدمة الدولة ومأمورياتها فيستخدمون في مأموريات امتثالا إلى النظمات المرعية الإجراء في حق العموم بحسب أهليتهم وقابليتهم².

5- نص الخط على إنشاء محاكم مختلطة للفصل في القضايا المدنية والجنائية أما الدعاوي الخاصة بالأحوال الشخصية والإرث فتحال إلى المحاكم الشرعية بالنسبة للمسلمين وإلى المحاكم الطائفية بالنسبة لغير المسلمين. كما وعد السلطان بإصدار قانون الجزاء الهمايوني في وقت

1- مُجَّد فؤاد عنتابى ونجوى عثمان، حلب في مئة عام (1850-1950)، ج 1 (1850-1900)، مكتبة رأس رحمو، حلب، 1992م، ص 29.

2- عوض مُجَّد الإدارة العثمانية والبلاد العربية في ولاية سورية 1864-1914م، دار المعارف، مصر، 1969، ص 27.

قريب أما جميع الدعاوى التي تحدث بين أهل الإسلام والمسيحيين وباقي التبعة غير المسلمة تجارية كانت أو جنائية فتحال إلى دواوين مختلطة، أما الدعاوى العائدة إلى الحقوق العادية فينبغي أن ترى شرعاً أو نظاماً بحضور الوالي وقاضي البلدة في مجالس الإيالات والألوية المختلطة أيضاً وتجري المحاكمات في هذه المحاكم والمجالس علناً¹.

6- المساواة بين جميع رعايا الدولة في الحقوق والواجبات... أما الوبركو والتكاليف التي تطرح على جميع تبعة سلطنتي السنية فيما أنها تؤخذ بصورة واحدة غير منظور فيها إلى الصنف والمذهب فينبغي أن تحصل المطالعة والمذاكرة بالتدابير السريعة فصلاح سوء الاستعمالات المتوقعة في أخذ استيفاء الأعشار خاصة... وكما أن مساواة الويركو توجب مساواة باقي التكاليف كذلك المساواة في الوظائف أيضاً فينبغي أن يكون المسيحيون وباقي التبعة غير المسلمة مجبورين أن ينقادوا إلى القرار المعطى أخيراً بحق إعطاء الحصاة العسكرية مثل أهل الإسلام وتجري في هذا الخصوص أصول المعافية من الخدمة الفعلية إما بإعطاء البدل واما بإعطاء دراهم نقدية.

د . قانون الولايات 1864م؛

صدر هذا النظام في عهد السلطان عبد العزيز الثاني (1861-1864م) في نوفمبر 1864م واشترك في وضعه فؤاد باشا ومدحت باشا الذي تولى إدارة ولاية الطونة في سنة 1864م، وتم نشره على نطاق واسع في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وصيغ هذا النظام في 78 مادة، ومادة مخصوصة وقسمت هذه على أبواب وفصول أهمها المواد الخمس الأولى التي لها علاقة بالتقسيمات الإدارية.

وتواصلت سلسلة من التقنيات في الدولة العثمانية ولعبت دور كبير في تعميم القانون وفي تصنيف مجال الممارسة التحكومية للسلطة من جانب القضاة والموظفين وتشكلت لجنة لتقنين

1- السيد مصطفى، الإصلاح العثماني في القرن الثامن عشر نقد حالة الفن العسكري والهندسة والعلوم في القسطنطينية 1803، تح: خالد زيادة المؤسسة العربية، ط1، بيروت، 1979، ص 76.

القانون المدني للإمبراطورية مع مراعاة احتياجات العصر، انتهت من وضع تقريرها في أول نسيان 1869م، وأصبح ما توصلت إليه أساسا المجموعة قوانين مدنية جديدة تسمى "مجلة الأحكام العدلية" التي نشر الجزء الأول منها سنة 1870م، صدرت في 16 عشر كتابا تضم 1851 مادة. وقد وصفها البستاني بأنها أعظم الأعمال شأنًا لأنها وضعت مأخذ سهل يستند إليه في الأحكام فنظموها في كتاب أصدره السلطان عبد العزيز¹.

هـ. خط الإصلاحات والتنظيمات الجديدة 1874م

صدر هذا الخط في آخر عهد السلطان عبد العزيز الثاني في 13 كانون الأول/ ديسمبر 1874م. وتضمن حاجة الدولة إلى الإصلاح، والتأكيد على ما جاء في خطي كلخانة والتنظيمات الخيرية، وضرورة تأمين حقوق الأهالي والتزام العدل في معاملة جميع الرعايا بدون استثناء وتنظيم إدارة الحكومة جاء فيه ما يلي:

- 1- الفصل بين السلطتين التنفيذية والتشريعية وصيانة الأحكام القانونية من كافة أنواع سوء الاستعمال لأنّ في ذلك صيانة لحقوق الرعايا.
- 2- نظرا لما للمحاكم من أهمية كمظهر للأمنية العامة لذلك يجب أن يكون أعضاؤها من ذوي الأهلية المتحلين بصفات العفة والاستقامة، وأن تكون أفعالهم وتصرفاتهم مقرونة بالحق والعدل.
- 3- بما أن الغاية من تشكيل ديوان الأحكام العدلية أن يكون مرجعا عادلا وموافقا وصفه وتعريفه فلذلك يجب تنظيم هيئة محاكمة وتنسيق وظائف مأموريتهما وإجراء الإصلاحات الصحيحة في متفرعاتها على اختلاف درجاتها.
- 4- منح السلطان عموم الرعايا حق انتخاب مميزين وأعضاء المحاكم النظامية، ومميزين وأعضاء مجلس الإدارة، وتعيينهم سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين، كي تكون أصول التشكيلات وانتخابات هذه المحاكم موضع ثقة الرعايا واعتمادهم، وكي لا تكون تحت تأثير نفوذ الحكومة.

1- البستاني، المرجع السابق، ص 12.

- 5- التحري عن أسباب زيادة الإيرادات لأنه كلما استفادت البلاد من منابع ثروتها زادت مدينة وعمرانا.
- 6- اعترف السلطان بسوء توزيع وتحصيل التكاليف المالية من الرعايا أو طلب وضع الأنظمة الكفيلة بتخليص الأهالي من الإزعاجات الناجمة عن سوء التفصيل فورا كي تستفيد خزينة الدولة استفادة مشروعة، مع التزام الاعتدال في فرض الضرائب¹.
- 7- ألغى السلطان ربع العشر الذي كان قد ضمّ على الإيرادات العشرية بواسطة الملتزمين ومنع الخسائر التي تحصل للمزارعين والخبزينة عن طريق محصلين موثوق بهم ومعتمد عليهم منتخبين من قبل الأهالي.
- 8- كرر السلطان الوعد بالمحافظة على أموال وأنفس جميع رعايا الدولة العثمانية وعلى أمنيتهم وناموسهم وأعراضهم واعتبر ذلك من أقدم مقاصده السنوية، ولما كان العساكر الضابطة إحدى وسائل الحصول على هذا المطلب المهم لذلك أمر السلطان بسن القوانين المتعلقة بالضابطة.
- 9- أكد السلطان على المساواة بين جميع أصناف رعايا الدولة مع استمرار الامتيازات للطوائف غير الإسلامية.
- 10- السماح لغير المسلمين بالاستخدام في أجهزة الدولة.
- 11- تنظيم استيفاء البدلات الإعانات العسكرية من غير المسلمين والتي فرضت عليهم مقابل إعفائهم من الخدمة العسكرية التي يقوم بها المسلمون واعترف السلطان بعدم مراعاة القاعدة المتعلقة بأسنان المكلفين وبعدم العدالة في توزيع وتحصيل البدل والإعانة من الطوائف غير المسلمين على أن يستثنى منهم من كان دون سن العشرين ومن تجاوز الأربعين والعاجز عن العمل وأن يجري استيفاء البدل الموضوع حسب عدد النفوس، أما الثاني فهو تأمين واردات خزينة الدولة².

1- عوض، المرجع السابق، ص 124

2- نفسه، ص ص 125-126.

و. المشروعية الأولى إعلان الدستور 1876م

تولى السلطان عبد الحميد الثاني عرش السلطنة، خلفاً لأخيه مراد الخامس، وعهد بالصدارة العظمى إلى مدحت باشا، وأمره بتشكيل لجنة لوضع مشروع دستور. وبعد جلسات عديدة ومناقشات حامية انتهت اللجنة إلى وضع هيكل برلماني يقوم على مجلسين، هما مجلس الأعيان ومجلس المبعوثان، وبانتهاء اللجنة من مهمتها أعلن الدستور يوم 23 كانون الأول/ ديسمبر 1876م. وفي مراسم خاصة أقيمت في الباب العالي المصادف لليوم الأول لافتتاح مؤتمر السفراء الدولي في إسطنبول. وقد هدف السلطان من وراء إصدار الدستور إلى وقف تدخل الدبلوماسية الأوروبية في شؤون البلاد الداخلية، ووقف التطلعات الانفصالية لشعوب الدولة من المسيحيين، والتنويه بأن الدولة العثمانية قادرة على إصلاح نفسها دون تدخل أجنبي.

وقد أثرت هذه الأفكار على بنية المجتمع العثماني وانحصر دور طبقة العلماء في الحياة السياسية إضافة إلى ترسيخ الامتيازات الأجنبية المتعلقة بالرعايا وهذا ما أدى إلى تسرب الفكر والثقافة الأوروبية الفرنسية إلى الداخل العثماني ضمن ما يعرف بسياسة التبشير وحرية الدين فاتخذت الأفكار الغربية في التغلب على حواجز الرفض الإسلامي مما كان يمهد لعلمنة الدولة.¹

3. مظاهر التأثير الفرنسي في الإصلاحات العثمانية:

وصل سليم الثالث إلى سدة الحكم في عام الثورة الفرنسية 1789، لكن هذا الحدث لم يغير من أفكاره حول التحالف العثماني الفرنسي وإمكانية التحديث المعتمد على المساعدة الفرنسية التي جمعت في جميع توجهاتها الأساسية أغلب البنود التي احتواها الإعلان الفرنسي لحقوق الإنسان في عام 1789م، فقد اشتمل خط كلخانة على "الأمنية الكاملة بمقتضى الحكم الشرعي لجميع أهالي ممالكنا المحروسة على نفوسهم وأعراضهم وناموسهم وتكثير أعضاء مجلس الأحكام العدلية بقدر اللزوم... وأن يجتمع أيضاً هناك وكلاء ورجال دولتنا العلية. في بعض أيام يصير تعيينها،

1- غابية بعيو، مرجع سابق، ص 138-139.

ويتكلموا جميعا بحرية غير متأخرين عن إيذاء آرائهم ومطالعتهم، ويتذكروا من جهة القوانين المقتضية فيما يخص هذه الأمنية على الأنفس والأموال".

- كانت أولى الوثائق الرسمية التي لم تستمد مصدرها من الشرعية الإسلامية، بل اعتمدت مصدرا وضعيا للتشريع مستوحى من التجربة الدستورية الأوروبية، وقد احتوت على مفاهيم غربية مثل "وطن" التي تضمنها خط كلخانة بدلا من "الأمة"، فكانت الحالة هذه أولى الخطوات نحو فصل الدين عن الدولة وإرساء النظام العلماني.¹

ويمكننا ان نشهد النشاط الدبلوماسي في الفترات الأخيرة من عمر الدولة العثمانية والذي يرجع المعاهدات الكثيرة التي تقرأها الدولة العثمانية مع الدول الأوروبية، خاصة في فترة تكالب الدول الأوروبية عليها والسعي للحصول على امتيازات واسعة إضافة إلى الظروف الداخلية التي ميزت الدولة العثمانية والتي جعلت السلطان محمود الثاني يقتنع ان نظام الإصلاح لا يمكن ان ينجح بدون تطوير الدبلوماسية وتوسيع العلاقات مع فرنسا وبريطانيا خاصة.²

وبالرغم من السلبيات التي خلفتها الامتيازات التي حصلت عليها الدول الأوروبية إلا أنه يمكن القول ان البعثات الدبلوماسية وتبادل السفراء كان لها دور فيما تعلق بالإصلاحات والتي اخرجت سقوط الدولة العثمانية ولو لفترة قصيرة فنشاط السفير العثماني مصطفى باشا في لندن والذي كان له الفضل في عمل إصلاحات على النمط الأوربي في مؤسسات الدولة.³

ويتجلى لنا الاهتمام بالبعثات الدبلوماسية من الطرف العثماني من خلال المكانة التي حظت بها البعثة وليم بوجيت والتي أسهمت في تقديم رؤية إصلاحية وكانت إلى جانب مصطفى باشا في توسيع الإصلاحات ومن بين اهم اعمالها إنشاء مجلس استشاري ضم رجال الدولة من المدنيين والعسكريين.

1- مُجد مخزوم، أزمة الفكر ومشكلات السلطة السياسية في المشرق الغربي في عصر النهضة، معهد الانماء العربي، بيروت، 1986، ص35.

2- نجم الدين بير قدار، العثمانيين حضارة وقانون، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2014 ص 142

3- نفسه، ص150.

أ- السفير سيبيستاني: Sébastiani؛

حضي السفير باستقبال رسمي حافل في الدولة العثمانية 1807 حيث قدم مذكرة للدولة يطلب فيها إغلاق مضيق البوسفور والدرديل بوجه السفن الروسية بعد تحالفه معه وطلب السلطان قطع علاقاته مع روسيا وإنجلترا.¹

كان تواجد سيبيستاني في إسطنبول بغرض قطع الطريق أمام روسيا وإنجلترا وتأييد السلطان ضدهم ولعله كان له الدور في عدم تقييد الدولة العثمانية لما جاء في معاهدة كوجك كينارجي التي على أساسها منحت الدولة العثمانية امتيازات لروسيا كما كان لوجود سيبيستاني يشكل عائقا للإنجليز مما كاد يوصل إلى الحرب بين بريطانيا والدولة العثمانية من إجراء أفكار سيبيستاني بطرد الرعايا الإنجليز وبالرغم من حصار الاسطول الإنجليزي ووجوده في المضائق إلا أن السلطان لم يطرد سيبيستاني وقام بتحسين العاصمة مما بعث نوعا من الخوف في الإنجليز فتراجعوا في 1807 كما ارسلوا حملة إلى مصر لكنها فشلت.²

ب - مصطفى باشا؛

ساهم مصطفى باشا في حل النزاع بين فرنسا والجزائر كما كان له دور في معاهدة إدارية التي قام بتحريرها 1829 ومعاهدة كوتاهية 1833 ساهم في اتساع الطباعة والترجمة كما أقنع السلطان بفتح مركز لتعليم الدبلوماسية بعيدا عن النصارى وأسهم في تطوير الدبلوماسية العثمانية ومراسيمها.³

ج - خليل رفعت باشا؛

اشتغل منصب سفير في عهد السلطان محمود الثاني في باريس ثم مستشارا لنظارة الخارجية 1837م، ثم أرجع إلى باريس حتى توفي سنة 1843، وكان قد لعب دورا في المحادثات مع محمد علي

1- E. de Mercier une ambassade aconstantimble. politique ouate de la révolution française

Tom2, Felix Alcan, Paris, 1927, p263

2- Coquelle. p. Napoléon et l'Angleterre 1803- 1813 plom Paris 1904. pp. 32- 33

3- صلي خليل، المراسيم والتشريعات الدبلوماسية، بحيث مستور على الانترنت p10 www.n- dawa. com

باشا خلال توسعته وساهم في محاولات الضغط على فرنسا من خلال بريطانيا للخروج من الجزائر.

والجدير بالذكر أن القرن التاسع عشر قد بدأ وأوروبا تتخبط ببعضها البعض نتيجة لما أفرزتها الحملة الفرنسية على مصر من تناقضات في العلاقات الأوروبية لما سببه نابليون الأول الإمبريالي في اختفاء حدود وقيام دول وتلاشي أخرى في خضم الحملات النابليونية وقد حاولت الدبلوماسية الفرنسية الاستفادة من الدول العثمانية في الصراع الأوربي-الأوربي وخصوصا عندما كان الأمر يتعلق بتقارب روسيا بفرنسا أو تباعدها عنها¹.

1- عبد الرؤف سنو، العلاقات الروسية العثمانية سياسة الاندفاع نحو المياه الدافئة، الحلقة الأولى، مجلة تاريخ العرب والعالم، ع 74 .73، بيروت، 1984م، ص 7.

المبحث الثاني: العلاقات الفرنسية- العثمانية خلال فترة حكم نابليون بونابرت:

كان إخراج فرنسا من مصر أمر يفوق طاقة الدولة العثمانية غير أن قيام فرنسا بالاستيلاء على قطر مهم مثل مصر يلزم الباب العالي إيجاد حلفاء أقوياء من الائتلاف الذي كان يكافح ضد فرنسا في القارة الأوروبية لذا جرى عقد تحالف ضد فرنسا مع الروس في 3 يناير 1799م وأخرى مع إنجلترا في الخامس من نفس الشهر وتحرك الأسطول الروسي العربي ليعبر أول مرة من المضائق ويجد الفرصة للدخول إلى البحر الأبيض المتوسط¹، ولا شك أن رغبة روسي في استغلال الفرصة التي حرصت عليها مؤقتا بمقتضى المعاهدة وتحويلها إلى حق دائم يمكنها من تحقيق مطامعها التاريخية، سوف تشكل أحد الأهداف في السياسة الروسية فيما بعد². كان إعلان الحرب على فرنسا وما نجم عنها من آثار كارثية بالنسبة للتجارة الفرنسية في المشرق وإحراق الهزيمة بجيش عثماني آخر في أبي قير وإجلاء حليفه بونابرت عن مصر في أول سبتمبر 1801م وتم توقيع الصلح في يونيو 1802م³.

بعد خروج الفرنسيين من مصر عمل نابليون جاهدا لعقد الصلح مع السلطان العثماني سليم الثالث إلا أن نظرة الدولة العثمانية تغيرت تجاه فرنسا بعد حملتها على مصر⁴ لكن التطورات التي عرفتها أوروبا وكذا بقاء الإنجليز في مصر سمح بظهور تقارب عثماني- فرنسي من جديد⁵ وكذا عودة السلام بين الدولتين وعقد صلح بينهما.

1- أكمل الدين إحسان أغلو، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تر: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول 1999، ص 84.

2- نفسه، ص 84.

3- روبير ما نتران، تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير السباعي، ط1، ج2، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، باريس 1989، ص 17.

4- مُجَّد فريد بك الحامي، المرجع السابق، ص 384.

5- نفسه، ص 386.

1. التقارب العثماني الفرنسي؛

بدأت العلاقات الفرنسية العثمانية تتحسن بعد خروج الفرنسيين من مصر خاصة وأن الإنجليز لم يغادروا الإسكندرية هذا ما أقلق سليم الثالث الذي اعتبر بقاء الإنجليز يشكل خطراً على الأراضي العثمانية¹. وكانت فرنسا تهدف لفسخ التحالف الثلاثي بين روسيا والدولة العثمانية وإنجلترا ومن جهة أخرى كانت تسعى للتحالف معهم، حيث راسل نابليون القيصر الروسي ألكسندر الأول منذ بداية سنة 1801م أبلغت بخطورة التخلي عن مصر لإنجلترا مشيراً إلى أهمية قناة السويس². كما توصل نابليون إلى عقد اتفاقية صلح بينه وبين إنجلترا واتفقوا على إبقاء مصر تحت سلطة الدولة العثمانية³ وأراد نابليون إعادة علاقات الصداقة مع الدولة العثمانية بعد فشل حملته وتم التوصل إلى اتفاقية مبدئية في 9 أكتوبر 1801م نصت على عودة السلم والصداقة بين الطرفين وإيقاف الحرب وإعادة مصر إلى سيادة الدولة العثمانية مع الحفاظ على حدودها، وإطلاق سراح كل الأسرى وتحديد المعاهدات السابقة⁴. وهكذا تخلت فرنسا بمقتضى هذه الاتفاقية عن مصر وبعد هذا عقد نابليون معاهدة مع الجزائر في 17 ديسمبر 1801 وأخرى مع تونس في 22 فيفري 1802 تقضيان باحترام سفن فرنسا التجارية⁵. على الرغم من أن السلطان العثماني رفض المصادقة على اتفاقية 09 أكتوبر 1801 إلا أنه واصل المفاوضات مع السلطات الفرنسية ودارت المفاوضات بين فرنسا وإنجلترا حتى توصلوا إلى صلح أميان⁶ وأرادت إنجلترا إدخال الدولة العثمانية لكنها رفضت، لكن بعد مدة قرر سليم الثالث الانضمام إلى الصلح في 13 ماي

1- كمال الدين حسان أوغلو، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تر: صالح سعداوي، (د.ط)، إسطنبول 1999، ص 82. 86.

2- نفسه، ص 95.

3- مُجَّد فريد بك الحامي، المرجع السابق، ص 204.

4- جلال يحيى، تاريخ العلاقات الدولية في العصور الحديثة، المرجع السابق، ص 389.

5- خليل إينا لجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإلحدار، تر: مُجَّد الأرنأؤوط، بيروت، 2002، ص 64.

6- صلح أميان: تم التوقيع عليه في مدينة اميان، وبموجب البنود المتفق عليها بين بريطانيا وفرنسا، أن هذا الصلح مؤقت لإيقاف العدائية بين البلدين خلال حروب الثورة الفرنسية إذ أصبحت بمثابة معاهدة سلام نهائية. للمزيد ينظر: مُجَّد فريد

بك الحامي، المرجع السابق، ص 380.

1802م¹ وبعودة السلام إلى أوروبا أعادت فرنسا ربط علاقاتها بالدولة العثمانية وعقدت معها معاهدة سلام في 25 جوان 1802م وركزت على موضوع المضائق وبهذا أصبح لفرنسا حق ممارسة تجارتها في البحر الأسود بكل حرية².

أدت هذه المعاهدة لفسخ التحالف العثماني الروسي، الإنجليزي وكانت طموحات نابليون الجديدة حيث تقارب نابليون والقيصر الروسي وعادا للتفكير في تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية حيث تحصل روسيا على المضائق وتترك مصر لفرنسا وكان ذلك أثناء الصراع الإنجليزي الروسي.

وقد رتبت معاهدة أميان أوضاع أوروبا بمعزل عن الباب العالي وعندما علم السلطان سليم الثالث أن المعاهدة بمنأى عن الدولة العثمانية أدرك أهداف الدول الكبرى في تقاسم مناطق النفوذ على حساب الدولة العثمانية³ بقي على الدولة العثمانية أن تنشغل بحلفائها فقد شاءت إنجلترا أن تظل في مصر وقام الروس بتحريض الرعايا المسيحيين في المورة وجزر البندقية القديمة المأخوذة من الفرنسيين ثم أرادوا تحويل حق العبور المؤقت من المضائق إلى حق دائم مما دفع الدولة العثمانية إلى الاقتراب من فرنسا ومحاولة عقد معاهدة الصلح معها في أسرع وقت فانعقدت بينها معاهدة باريس في 25 يوليو 1802م لتجديد امتيازات فرنسا في الشرق⁴، وسوف تستمر سياسة الصداقة بين الدولة العثمانية وفرنسا في ماعدا الفترة الممتدة بين 1804/1805م حيث فرض سليم الثالث الاعتراف باتخاذ نابليون الأول لقب الإمبراطور وقطعت العلاقات العثمانية الفرنسية مؤقتا لتتواصل فيما بعد وذلك على الرغم من محاولات روسيا وإنجلترا الرامية إلى مواجهة علاقات الصداقة هذه⁵.

1- ينظر: مُجَّد فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص 65.

2- عبد العزيز مُجَّد الشناوي، ج1، المرجع السابق، ص 54.

3- مُجَّد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس، المركز الإسلامي الثقافي، ص 317.

4- أكمل الدين إحسان أغلو، المرجع السابق، ص ص 84-85

5- مانتزان، المرجع السابق، ص 17.

أرسل بونابرت إلى بلاد الشرق الجنرال سيبستيان لتجديد رابط الاتحاد والود مع الدولة العلية حاملا من بونابرت إلى السدة السلطانية وفي أثناء إقامته بالآستانة تمكن مع مساعديه من عزل أمير الأفلاق والبغدان المنحازين لروسيا، فعزلا في 20 أوت 1806م وعين بداهما من المخلصين للدولة العثمانية فساء ذلك روسيا وخشيت من امتداد نفوذ فرنسا في الشرق فأرسلت جيوشها لاحتلال هاتين الولايتين بدون إعلان الحرب¹.

بلغت العلاقات العثمانية الروسية إلى حدّ التأزم وأدى إلى ضعف إنجلترا التي لم تؤيد روسيا في أن تأخذ هي الأخرى موقفا معاديا للدولة العثمانية مما أدى إلى اشتعال الحرب واستطاع الأسطول الإنجليزي مستغلا ضعف التدابير العسكرية التي أوصى بها الجنرال سيبستيان حتى يحول الأمر إلى مقاومة وعندما رأى الأسطول الإنجليزي أنه سوف ينحصر هناك اضطر للانسحاب دون تهديد في مارس 1807م أما الهجوم الذي شنّه الأسطول الإنجليزي على الإسكندرية فقد نجح مُجّد علي باشا في أن يرده على أعقابه².

وبعد تحرره من التهديد الإنجليزي تهيئا سليم الثالث لمواجهة الروس والصربيين وتسنى له الاعتماد على دعم فرنسا التي يتمتع سفيرها في إسطنبول سيبستيان بنفوذ كبير وعلى عون متمردي بلغاريا السابقين المنزعجين من اندفاع الروس صوب البلقان³.

نتيجة لذلك تحقق الانتصار نابليون بونابرت على روسيا وتقهقرت هذه الأخيرة وأخلت جيوشها ولاية البغدان وأعقب لذلك توقيع صلح الجانبين الفرنسي والروسي في تيليست 07 جويلية 1807م⁴.

1- فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص 388-387.

2- إحسان اغلو، المرجع السابق، ص 85-86.

3- روبر مانتران، المرجع السابق، ص 21.

4- مُجّد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 320.

وكانت فرنسا قد لعبت دورا بارزا في وضع النواة لتأسيس النظام الجديد، فلما سمع سليم الثالث نبأ إلحاق فرنسا هزيمة قاسية بروسيا في (أوسترليتز) عام 1220هـ/ 1805م عظم في عينه هذا النصر، وقام بالاعتراف بالجمهورية الفرنسية التي أعلنها (نابليون) حديثا، كيدا في روسيا وإنجلترا، وأرسل أحمد محب أفندي كسفير للدولة لدى فرنسا أما روسيا فقد رأت حادثة أدنة هذه إنما هي مظهر من مظاهر الانهيار في الدولة العثمانية من الداخل، بدأت تسعى لاستثمار هذا التطور لصالحها ومن ناحية أخرى قامت فرنسا بإرسال شخص يدعى (سيبستيان) إلى إسطنبول كسفير لها في الدولة العثمانية، وعن طريق هذا السفير بدأت فرنسا تبحث عن الطرق المناسبة لتحريض إسطنبول ودفعها لاتخاذ قرارات معادية لروسيا وكانت فرنسا ترغب في وضع نهر الدانوب الذي تزايدت أهميته التجارية تحت الحراسة حتى تتمكن من كسر النفوذ الروسي بين أهالي الصرب ومناطق الأفلاق والبغدان¹، وكعادة السلطان سليم الثالث واستجاب بسرعة لهذا التحريض وقام بعزل مؤيدي الروس من أمراء الأفلاق والبغدان وعين آخرين منهم ناقضا بذلك المعاهدات التي وقعها مع روسيا في عام 1217هـ/ 1802م ونتيجة لهذا الإجراء من جانب السلطان، بدأت كل من روسيا وإنجلترا في تهديد الحكومة العثمانية بإعلان الحرب عليها مستهدفة الضغط على الدولة لسحب قرارات التعيين الجديدة هذه، إلا أن الحكومة العثمانية لم تستجب لهذه التهديدات ولم تعدل عن قرارها، فانتهزت روسيا هذه الفرصة وقامت باحتلال القلاع الموجودة على طول (دنيستير)².

لم تستجب لهذه التهديدات، ولم تعدل عن قرارها، فانتهزت روسيا هذه الفرصة وقامت باحتلال القلاع الموجودة على طول (دنيستير)³. فيما بين رمضان وشوال/ نوفمبر وديسمبر 1806م وبتحريض من فرنسا، أعلنت إسطنبول الحرب على روسيا، وقبل إعلان الحرب على

1- علي سلطان، تاريخ الدولة العثمانية، (د.ط)، منشورات مكتبة طرابلس، (د.م)، ص 261.

2- دنيستير (Denitir): نهر يفصل بين اوكرانيا ومولدافيا ويصب في البحر الأسود. للمزيد ينظر: مُجد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، المرجع السابق، ص 335.

3- إيمان بنت علاء الدين إبراهيم صائغ، المرجع السابق، ص 54.

أعيان الروملي قد عقدوا اجتماعا للاتفاق على إعداد الخطة المناسبة لمواجهة الروس، وقد قاد الجيش على الجبهة الروسية علمدار مصطفى، الذي كان من أعيان رازجراد ولما كان لا يثق في الفرنسيين، وبالتالي لا يعتمد عليهم في مواجهته مع الروس، فقد خرج جيشه للحيلولة دون توطيد الوحدات الفرنسية العسكرية، أقدامها على طوال نهر الدانوب وإذا كان هدف الجيش الذي شكل الأعيان في الروميلي هو منع تقدم القوات الروسية في الأراضي العثمانية، إلا أنه تمكن من استعادة مركز والاشيا على نهر الدانوب، وبدأ يتأهب للتوجه صوب يوكرش أما الأسطول الإنجليزي الذي رسى أما إسطنبول، فلم يستطع القيام بأي عمل حربي، وتعرض لأضرار عظيمة في مضيق جناق مما اضطره إلى الانسحاب لبحر إيجه¹.

وكانت نتيجة تطور الأحداث تسير في غير صالح الدولة العثمانية، فقد هزم الجيش العثماني الذي كان مسيطر على الأفلاق أمام روسيا، وكان نابليون يعتبر حركة علمدار مصطفى حركة ضد التأثير الفرنسي على الدولة العثمانية، وذلك بعد أن تمكن نابليون من إلحاق هزيمة ثقيلة بالروس في (فريدلان) في 27 ربيع الأول 1221هـ/ 14 يونيو 1807م، اعرض تماما عن الدولة العثمانية، وبدأ يسلك سياسة أخرى تجاهها، وكان هدف نابليون من تقاربه للدولة العثمانية في الفترة الماضية هو محاولة استعمال الجيش العثماني لتعطيل الروس من ناحية المشرق، وذلك حتى يتمكن من استخدام قوته البحرية ضد إنجلترا والنمسا، ولما تمكن من تحقيق هذا النصر على الروس بدأ يغير سياسته تجاه الدولة العثمانية، كما أن كسب روسيا إلى جانبه ضد إنجلترا يكفل له النجاح في أن يجعل فرنسا سيدة أوروبا على الأقل.

من أهم الدوافع التقارب العثماني الفرنسي نجد التحالف الثلاثي بين روسيا وإنجلترا والنمسا ضد فرنسا حيث كانت روسيا وإنجلترا من أكبر معارضي سياسة نابليون التوسعية وعمل سفرائهم

1- علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت، 2002م، ص149.

على دفع سليم الثالث إلى عدم الاعتراف بالإمبراطور نابليون الأول¹ كانت النمسا تخشى من مناورات نابليون فعدت معاهدة التحالف دفاعية سرية مع القيصر الروسي ألكسندر الأول سنة 1804م ووعد النمسا بمساعدتها للدفاع عن ممتلكاتها في إيطاليا² ووقعت إنجلترا اتفاقية سان بطرسبورغ في 11 أبريل 1805 مع روسيا تحولت إلى تحالف انضم إليها الإمبراطور النمساوي في شهر أوت ورغم صلح الدولة العثمانية مع فرنسا إلا أنها مالت إلى جهة معارضي فرنسا وبهذا قرر سليم الثالث تجديد معاهدة التحالف الدفاعي مع روسيا في 23 سبتمبر 1805م بدعم من إنجلترا³. وبسبب التحالف ضد فرنسا سعى نابليون لاستمالة سليم الثالث وإثارته ضد روسيا ونظرا للانتصارات التي حققها نابليون في أوروبا عادت علاقات الصداقة والتقارب بينه وبين سليم الثالث، وفي أواخر سنة 1805 استطاع نابليون استعادة مكانة فرنسا في الدولة العثمانية بعد ذلك قرر سليم الثالث فسخ معاهدة التحالف مع روسيا إضافة إلى فسخ معاهدة التحالف مع إنجلترا في نفس اليوم في 14 نوفمبر 1805⁴. وفي 1806 حقق نابليون عدة انتصارات على الجيوش الروسية وفتحت المفاوضات بين الطرفين ووقعت معاهدة ضمان بقاء الدولة العثمانية في 20 أوت 1806، ونظرا للنشاط المكثف للسفير الفرنسي في إسطنبول قررت الدولة العثمانية قررت رفض التقيد بمعاهدة كوجك كينارجي وأعلنت حماية الأقليات في الدانوب ما دفع القوات الروسية للدخول إلى الأراضي العثمانية سنة 1806. ونجحت الدبلوماسية الفرنسية في إقناع سليم الثالث في إعلان الحرب على إنجلترا سنة 1807م رغم التعاون العثماني الفرنسي في نهاية عهد سليم الثالث إلا أن

1- عبد المنعم شعيب، المختصر في تاريخ مصر من أقدم العصور حتى الاحتلال البريطاني، ط1، دار للنشر والتوزيع، مصر، (د.ت)، ص 237.

2- عبد العزيز سليمان نوار، المرجع السابق، ص 50.

3- معاهدة التحالف الدفاعي: كانت هذه المعاهدة بين الدولة العثمانية وروسيا في 23 سبتمبر 1805 وذلك بدعم من إنجلترا حيث اشتملت على جزأين، جزء معلن في أربعة عشرة مادة وجزء سري شمل تسع مواد، نصت المادة الأولى منه أن يسمح السلطان العثماني للسفن الحربية الروسية وناقلات الجنود بدخول المضائق زمن الحرب. ينظر: على المولا، المرجع السابق، ص 65.

4- إسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، المرجع السابق، ص 209

كل من الدولة العثمانية وفرنسا لم يقدمتا على توقيع أية معاهدة التحالف وبعد عزل سليم الثالث في 29 ماي 1807 غير نابليون سياسته مع الدولة العثمانية واتفق مع القيصر الروسي ألكسندر الأول على تقسيم الدولة العثمانية وبعد انتصار نابليون على روسيا عقدت معاهدة تيليست بين 25 جوان و 07 جويلية 1807م، وبموجبها حصلت فرنسا على موافقة الروس للقيام بحملة جديدة على مصر¹.

2. التحالف الفرنسي - الروسي ضد الدولة العثمانية؛

بدأ يظهر تقارب روسي فرنسي جديد، حيث وقعا معاهدة سلام بينهما في 1222هـ/ 1807م في تيليست، وقد ركزت هذه المعاهدة على قيام فرنسا بالتوسط بين الدولة العثمانية وروسيا، وإذا لم تستطع فرنسا القيام بهذا الدور، يقوم الروس بالتوسط بين فرنسا وإنجلترا، وقد حملت هذه المعاهدة في طياتها الإشارة الخفية لإمكانية تقسيم الأراضي العثمانية في أوروبا، ومن ناحية أخرى احتوت معاهدة تيليست على بند يقضي بتوقيع هدنة بين الدولة العثمانية وروسيا مدتها ستة أشهر من 11 جمادى الثاني 1221هـ/ 26 جويلية 1806م الأمر الذي أوقف تقدم الجيش الروسي صوب بلد البلقان، وقد ازداد هذا التقارب الروسي الفرنسي، عقب قبول جار الروس الاشتراك في حملة فرنسية روسية تستهدف الهند، واستعداد نابليون في الوقت نفسه العمل على تقسيم أراضي الدولة العثمانية وفقا لرغبات روسيا بشرط تمكين فرنسا من المضائق وبموجب معاهدة (أرفورت) في 21 شعبان 1223هـ/ 12 أكتوبر 1808م، التي أكدت على قرارات معاهدة تيليست ارتضت فرنسا ترك الأفلاق والبغدان لروسيا معتقدة إمكانية قيامها بحملة ضد إسبانيا دون إثارة روسيا لأي مضايقات له².

اجتمع نابليون الأول وألكسندر الأول وأغلقتا عن نفسيهما داخل حجرة العمل أين انتشرت خرائط جغرافية عديدة تطلع نابليون خلالها إلى مواصلة محادثة ملزمة مع ألكسندر طلب من

1- جلال يحيى، مصر الحديثة، المرجع السابق، ص ص 386-388.

2- إيمان بنت علاء الدين إبراهيم صائغ، المرجع السابق، ص 56.

السيد مونوفال بطاقة لتركيا وضعت قيد الدراسات مع الحرص مع وضع القبضة على القسطنطينية حيث دونا هذه الخريطة عدة مرات دون القلق من سماع الوزير لحدِيثهما والذي لديه الثقة المطلقة وردد (القسطنطينية أبدا لن تكون إمبراطورية العالم)¹.

تضمن البند الثاني والعشرين من اتفاقية تيليس، وما بعدها أن تكف روسيا عن محاربة الدولة العثمانية حتى يتوسط نابليون الأول بين الطرفين، وانه بمجرد أن تمضى الهدنة الابتدائية نُحلي جيوش روسيا ولايتي الأفلاق والبغدان بدون أن تدخلها الجيوش العثمانية حتى يتم الصلح نهائيا، واتفق نابليون وألكسندر إن لم يقبل الباب العالي الوساطة الفرنسية، تتخذ فرنسا مع روسيا القضاء على جميع الولايات العثمانية بأوروبا ما عدا الآستانة وما حولها وتقسيمها في ما بينها، مع إرضاء النمسا بجزء يسير². على أن تكون لفرنسا بلاد البوسنة وألبانيا وبلاد اليونان ومقدونيا، وللنمسا بلاد الصرب ولروسيا الأفلاق والبغدانوالبلغار، والحقيقة أن ألكسندر الأول، طالب بكل من يسربيا، الأفلاق والبغدان وقلاع أيتكرمان وجزء من الساحل الغربي للبحر الأسود، وتأسيس إمارة صربية وسامو نابليون بونايرت القيصر على إخلاء الأفلاق والبغدان، مقابل جلاء فرنسي من أراضي بروسيا والتمسك بسليزيا³.

ومن خلال المباحثات تبين أن روسيا نازعها طموح التوسع على حساب الدولة العثمانية والإحاطة بأملاكها تمهيدا للانقضاض عليها، شاخصة ببصرها نحو العاصمة إسطنبول، وان نابليون أدرك هدف روسيا هذا، فأراد إبعادها عن ممتلكات الدولة العثمانية، وإن العاصمة العثمانية تشكل مع المضائق مفتاح السيطرة ليس على أوروبا فقط، بل على العالم كله⁴.

1- A de lamartine, **HISTOIRE DE LA TURQUE, rublication du constitionnel**, Tome 1, Paris 1855, pp 148-149

2- فريد بك الحامي، المرجع السابق، ص 395.

3- مُجَّد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 321.

4- نفسه، ص 321

مثلت هذه الاتفاقية ذروة قوة نابليون بونابرت، حيث أصبح بعد اتفائه مع قيصر روسيا وكسر شوكة كل من النمسا وبروسيا صاحب الكلمة العليا فلم يغلق كل أوروبا في وجه إنجلترا ليهدم التجارة، ومن هنا خرجت فلسفة "الحصار القاري"¹ والتي وافق قيصر روسيا على تطبيقها في اتفاقية تيليس². وكان غرض نابليون من معاهدة تيليس أن يضمن جناحه الشرقي وهكذا وجد تحالفه مع روسيا يحقق ذلك، بالإضافة إلى التعهد بضمان عدم قيام النمسا بحرب ضده، وبذلك يمكنه أن يتفرغ للغرب وإنجلترا بالذات³.

أضرت هذه المعاهدة بحقوق الدولة العثمانية، وتخلي فرنسا عنها في مواجهة روسيا، رغم وعود نابليون بونابرت بحماية الدولة العثمانية من الأطماع الروسية.

وتنفيذا لصلح تيليس، أرسل نابليون في 09 جويلية 1807م جنرالاً إلى القوات العثمانية الروسية المتحاربة لإبلاغهم نص معاهدة الصلح فقبل الطرفان ذلك، ووقعت الهدنة بينهما بحضور مندوب فرنسي إلا أن روسيا لم تنفذ كامل بنود المعاهدة، بدليل عدم انسحابها من الأفلاق والبعدان، مما جعل أسباب الصدام بين الدولتين العثمانية والروسية قائماً لا محالة⁴.

حدث هذا بالتزامن مع أحداث داخلية أدت إلى هدم كل ما أكسبه الموقف العثماني من تحسن دولي، فكان ألعوبة في يد من ولاه العرش، ثم عزل مصطفى الرابع وولي عرش السلطنة محمود الثاني، سنة 1808م⁵.

1- الحصار القاري: تمثل في استيلاء نابليون على الأراضي البروسية حتى برلين، وحاصر الجزر البريطانية، وتحريم التجارة معها ينظر: ميلاد المقرصي، المرجع السابق، ص 337.

2- عبد الفتاح أبو علي وإسماعيل أحمد ياغي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ط3، دار المريخ للنشر، الرياض، السعودية 1993م، ص 263.

3- شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة 2000م، ص 149.

4- نفسه، ص 149 - 150.

5- جميل عبيد، قصة احتلال محمد علي اليونان 1824-1827، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، 1990م، ص ص 36-37.

في هذه الأثناء كانت فرنسا البونابرتية تخوض صراعاً ناجماً عن التحالفات التي تشكلت ضدها ونجحت في إبعاد النمسا، واحتلت بروسيا وأجبرت روسيا على عقد الصلح (إيرفورت 12 أكتوبر 1808م) ولما وجدت إنجلترا نفسها وحيدة في مواجهة فرنسا، اضطرت للتصالح مع الدولة العثمانية حيث اتفق الطرفان على إنهاء حالة الحرب التي استمرت منذ عام 1807م وعقدت بينهما "معاهدة القلعة السلطانية" في 05 جانفي 1809م¹.

أما روسيا التي كانت تعاني من نابليون الأول، والتي وقعت هدنة مع الدولة العثمانية في عهد مصطفى الرابع (25-8-1807م)، وعندما اتفق القيصر بعد ذلك مع نابليون وأخذ موافقته على انتقال رومانيا إلى روسيا، بدأت الحرب مجدداً، وترك الجيش الروسي في البداية الساحة للدولة العثمانية التي فقدت 1000 شهيد (1809/10/24م) ثم تقدم الروس الذين أصبحوا يسيطرون على دلتا الطونة وعلى الأراضي الرومانية، وفي قفقاسيا على امتداد ساحل البحر الأسود².

أمر محمود الثاني باستمرار الحرب مع روسيا، وفي هذه الحرب التي امتدت من 1809م واستمرت حتى 1812م، أصيب الجيش العثماني بهزيمة قاسية، ولكن حتى تستطيع روسيا التصدي لحملة نابليون الذي استولى على قسم من أراضيها، رأت ضرورة وضع حدّ لهذه الحرب بينها وبين الدولة العثمانية³.

وأدت حملة نابليون على روسيا توقيع الصلح بين روسيا والدولة العثمانية حيث أبدت روسيا استعدادها للتخلي على رومانيا التي صممت على أخذها، وكان نابليون يعرض بصورة مستمرة على الدولة العثمانية الاتفاق ضد روسيا، ويؤكد أنه سوف يتمكن من القضاء على روسيا في الجهة،

1- إحسان أغلو، المرجع السابق، ص 90.

2- يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح: محمود الأنصاري، ط1، مج الأول، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، إسطنبول، تركيا، 1988م، ص 668.

3- سيد مُجّد السيد، دراسات في التاريخ العثماني، ط1، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1416هـ/ 1996م، ص 247.

لكن الباب العالي لم يعد يعتمد على السياسة النابليونية¹.

أنهت معاهدة بوخارست (1812/05/28م) المكونة من 16 مادة، الحرب الروسية العثمانية، وأهم بنودها:

- بقاء ولايتي الأفلاق والبغدان تابعتين للدولة العثمانية رجوع الصرب إلى حوزتها، مع بعض الامتيازات قليلة الأهمية، عديمة الجدوى، وحفظت روسيا لنفسها إقليم بساريا، وأحد مصبات الدانوب².

وأدت كذلك معاهدة بوخارست إلى إرجاع الصرب إلى سلطنة الدولة العلية بقيمة من الأموال والأرواح في سبيل إعطائهم الاستقلال الإداري، ووعود قيصر روسيا ألكسندر بما علم **فإحتدموا** غيظا ولم يقبلوا الرجوع إلى حالتهم الأصلية، فسيرت الدولة العثمانية إليهم الجيوش وأضفتهم إلى سلطنة قهرا³.

ثم قام قائد القوات الصربية "ميلوش أوبرنوفيتشي" بحركة عصيان ثانية، التي انقضت مرة أخرى في عام 1815م، وتظاهر قائدها بالخضوع للإدارة العثمانية، وتمكن بذلك من الحصول على العديد من الامتيازات من السلطان العثماني محمود الثاني، حيث منح حق تأسيس مجلس للجيش الصربي، وهكذا تكون بلاد الصرب قد أخذت شكل دولة مستقلة⁴.

3. توتر العلاقات الروسية-الفرنسية وأثرها على الموقف العثماني:

بدأ دور التراجع في اليوم الذي اصطدم فيه نابليون بصديقه القيصر إذ أن أسبابا كثيرة باعدت بين الصديقين حتى وجدا أخيرا أن لا بد من تحكيم السيف بينهما، أما أهم العوامل التي أدت إلى سوء التفاهم فهي:

1- يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص 688.

2- فريد بك الحامي، المرجع السابق، ص 401.

3- نفسه، ص 402.

4- سيد مُجَّد السيد، المرجع السابق، ص 248.

- النظام القاري الذي اضر بمصالح روسيا دون مقابل.
- خوف روسيا من أن يكون نابليون من بولندا دولة قوية متحدة فيهدد بذلك مصالحها¹.
- كان نابليون يعمل سرا لإحباط مشاريع ألاسكندر في ضمّ مقاطعات الدانوب وفنلندا إلى روسيا.
- تأثر الروس من تحالف نابليون مع النمسا واقتترانه بإبنة إمبراطورها بعد أن كانوا هم الحلفاء وبعد إن أعادوا النمسا من أجله.

لذلك أصبح الجانبان يستعدان للقتال، فما جاء عام 1812م يريد إخضاع المملكة الأوروبية الوحيدة التي لم تقع تحت يده وكان يتبعه في زحفه هذا نصف مليون محارب من شبان فرنسا وحلفائها، حيث وضع نابليون نصب عينه فتح المملكة في 3 سنوات ورأى أن لابد من الالتفاف بجيش الأعداء وتعطيله ولو مرة واحدة ولكن الروس اكتفوا بالتراجع إلى الوراء فلم يجد نابليون نفسه إلا وسط مجاهل موحشة مقفرة لا حدّ لها، وأخيرا قابلوه في بورودينو ففروا سريعا هارين، وتركوه يتقدم نحو موسكو فلما دخلها بعد ستة أسابيع هاله المشهد إذا وجد أن المدينة التي جاء يفتحها ليست سوى ركاما من الرماد إذ أن الروس أحرقوا عاصمتهم قبل وصوله فلم تترك فيها النار ما يمكن حصره، حيث حاول نابليون انتظار خضوع الروس، وعبثا بقى في موسكو يتجول بين خربات أكلها اللهب إذا أن القيصر كان مصمما على الصبر والمقاومة، وأخيرا أوشكت مؤونة الجيش أن تنتهي واقترب الشتاء فصار الثلج يغطي الأرض ويقطع الطريق وقرر قائدهم الرجوع والمرور بين فك الموت وأصبح الجيش يفتك به المرض ويردمه الثلج².

اختار نابليون بونابرت طريقا جديدا للعودة من موسكو، ولكنه فشل وناوشته هو وجنوده القوات الروسية، وقتلت الكثير منهم، في الوقت الذي نزل فيه الصقيع والثلج بشدة فتقهقر الجيش الفرنسي وهرب بونابرت حتى وصل إلى مدينة مولديتشون، وهناك أذاع نشرة في 03 ديسمبر

1- جفري برون، تاريخ أوروبا الحديث، تر: علي المرزوقي، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، 2006، ص 405.

2- جفري برون، المرجع السابق، ص 406-407.

المشهورة التي وصف فيها الكارثة التي وقعت على جيشه لأول مرة، وقرر العودة سرا ومتنكرا إلى فرنسا، ومن هذه المدينة خرج متوجها إلى وارسو التي وصلها في 10 ديسمبر، ثم واصل سيره متنكرا إلى فرنسا حتى وصل باريس في 18 ديسمبر 1812م¹ ولم يبق من نصف المليون إلا عشرون ألف بين محطم وهالك ومريض، حيث أسرع بونابرت بالعودة إلى باريس تاركا جيشه في منتصف الطريق وحاول تبرير عمله وشرحه على غير ما وقع، ثم أخذ يجمع جيشا جديدا بواسطة ضباطه، قد تمكن من ذلك في مدة وجيزة وبعد وقت من تجنيدهم عزم على إعادة الكرة ورغم الهزيمة التي تعرضت لها فرنسا، إلا أنها بقيت دولة محورية في العلاقات الدولية.

1- أمال السبكي، أوروبا في القرن التاسع عشر، فرنسا في مئة عام، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، 1985م، ص

الفصل الثاني

العلاقات العثمانية - البريطانية في القرن التاسع عشر

وموقف القوى الأوروبية منها

- ❖ المبحث الأول: التحالف العثمانية - البريطاني ضد فرنسا.
- ❖ المبحث الثاني: التنافس البريطاني - الفرنسي وعقد صلح أميان.
- ❖ المبحث الثالث: التقارب البريطاني - الروسي 1803-1807 وأثره على العلاقة مع الدولة العثمانية.
- ❖ المبحث الرابع: الصراع العثماني- البريطاني.

المبحث الأول: التحالف البريطاني العثماني ضد فرنسا:

سبقت الإشارة إلى أن الحكومة البريطانية قد أكدت على أن يترك للعثمانيين وحدهم مهمة تحطيم القوات الفرنسية المتواجدة في مصر، بينما يكرس البريطانيون جهودهم لتقديم مساعدات ثانوية لتخفيف بعض الضغط الذي قد يتعرض له الجيش العثماني، واستمر البريطانيون بهذه الفكرة التي دافع عنها رئيس الوزراء البريطاني وليم بت إلى ما بعيد معركة هيلوبوليس.

ومما يجدر ذكره أن هذه الفكرة بت قد جوهت بمعارضة شديدة من قبل بعض السياسيين والعسكريين الذين اعتقدوا بأنه من الخطأ ترك العثمانيين يواجهون لوحدهم حسم مسألة الوجود الفرنسي في مصر، واختلفوا مع بت في عدّ أمر الحملة منتهياً إثر الخسارة التي تعرض لها الأسطول الفرنسي في ابي قير عام 1798، أو حتى بتخلي نابليون عن حملته وعودته إلى باريس في عام 1799¹، فكتب هنري دونداس إلى بت في نوفمبر 1800 قائلاً: يتعذر عليّ اعتبار الحملة منتهية إذا كان الفرنسيون لا يزالون محتفظين بجيش كبير في مصر² أما سديني سميت فقد أكد أن نابليون لن يترك مصر وشأنها، وأنه سوف يرسل النجديات لها بكل السبل³.

والواقع فإن سديني سميت كان دقيقاً في تقديره للموقف، إذ قدّم إلى لندن في مطلع ديسمبر 1800 المندوب الفرنسي أوتو Otto للتفاوض نيابة عن نابليون مع الحكومة البريطانية، حاملاً معها أفكاراً لا تنم عن نية الفرنسيين بالتخلي عن المكاسب التي حصلوا عليها في مصر، وإذا ما حصل ذلك فالأمر مرهون بحصولهم على تعويضات مجزية، إذ اقترح ابو عقد هدنة بين الطرفين تتضمن حرية الملاحة للسفن التجارية والحربية، بهدف إتاحة الفرصة لنقل الإمدادات إلى مالطا والإسكندرية، تطبيقاً للقاعدة التي كان يجري العمل بها لتزويد المواقع التي كان يحاصرها الجيش الفرنسي في ألمانيا مثل فيليبسبورغ Philipsbourg وأولم Ulm وأنجلوشتاد Inglostad، غير أنه لم

1- المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...، المرجع السابق ص80.

2- العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي... المرجع السابق، ص91-92.

3- المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...، المرجع السابق ص80.

يكن من اليسير على الحكومة البريطانية القبول بوجهة النظر الفرنسية لما تنطوي عليه من دلائل عن مدى تشبث نابليون بمصر¹.

يتضح مما تقدم ان تعيين الجنرال مينو قد قطع اية فرصة لانسحاب فرنسي سريع من الأراضي المصرية، لاسيما بعد أن ترجم هذه العقائد الثابتة لديه بشكل عملي ورفض الدعوة التي تقدم بها البريطانيون للمفاوضات رفضاً قاطعاً² الأمر الذي حتم على اصحاب القرار السياسي في لندن مراجعة حساباتهم بخصوص فكرة بت.

عهدت الحكومة البريطانية إلى الجنرال رالف أبركرومي R. Abercrombie قيادة الحملة المتوجهة إلى مصر عن طريق البحر المتوسط، وقد تلقى الجنرال رالف أبركرومي تعليماته من وزير الحربية هنري دونداس في مطلع نوفمبر 1800 بالتوجه على رأس (15.000) مقاتل إلى أحد الموانئ المناسبة في قبرص أو كريت أو آسيا الصغرى، للتنسيق مع قيادة الجيش العثماني والهجوم على الإسكندرية، وقد قدر دونداس عدد القوات الفرنسية في مصر بنحو (13.000) مقاتل، منهم (3000) في الإسكندرية بينما ظلت بقية قواتهم موزعة على السواحل المصرية وعلى الحدود مع بلاد الشام³.

وفي السادس من فيفري 1801 وصلت الرسائل الرسمية من لندن إلى كلكتا معلنة عن تحرك أسطول السير رالف أبركرومي باتجاه المتوسط، ومطالبة الحاكم العام في الهند إرسال حملته إلى البحر الأحمر، وعلى إثر ذلك تقدمت القوة الهندية بقيادة الجنرال ديفيد بيرد D. Baird غير أن هذه القوة تأخر وصولها إلى مصر إلى ما بعد استسلام القاهرة بأربعين يوماً، فوقع عبء القتال على كاهل الجنرال رالف أبركرومي⁴.

1- شكري، الحملة الفرنسية...، المرجع السابق ص381.

2- نفسه، ص233.

3- Ghorbal, op, cit, p135.

4- Gavin, Op, Cit. , P. 22.

نتيجة لتخوف القائد الفرنسي العام الجنرال مينو، الذي وصل إلى الإسكندرية في العشرين من مارس من زحف العثمانيين من جهة الشرق، ووصول حملة الهند من جهة الجنوب، قبل أن يكون هو قد أجهز على قوة الجنرال رالف أبركرومبي، فقد قرر بعد اجتماعه بمجلسه الحربي، أخذ زمام المبادرة ومهاجمة البريطانيين، ففي الحادي والعشرين من مارس 1801 دارت المعركة الحاسمة قرب كانوب Canop وانتهت بانتصار البريطانيين ومحاصرتهم للإسكندرية¹.

وبعد أربعة أيام من هذا الانتصار أي في الخامس والعشرين من مارس، أنزل القبطان حسين باشا قوة عثمانية تقدر بستة آلاف انكشاري في أبي قير، سهلت على الجنرال هتشنسون Hutchinson أمر الزحف على رشيد والسيطرة عليها في الثاني من أبريل².

بدأت أولى خطوات هتشنسون بالتحرك على القاهرة، بقوة بريطانية-عثمانية مشتركة زحفت على الرحمانية في الرابع عشر من ماي، في خطوة قصد منها قطع الاتصالات بين الإسكندرية والقاهرة، وفي التاسع عشر من ماي، دخل الجنرال هتشنسون إلى الرحمانية بعد أن اخلاها الفرنسيون وانسحبوا إلى القاهرة، ثم أستأنف زحفه على الأخيرة عبر الضفة الغربية للنيل³، وفي غضون ذلك، فقد تمكن الجيش العثماني البالغ نحو (15000) مقاتل⁴، بقيادة الصدر الأعظم يوسف ضياء باشا من عبور الحدود السورية، والاستيلاء على دمياط في الثامن والعشرين من أبريل، والصالحية في الرابع عشر من ماي 1801، ثم طور هجومه بالزحف على القاهرة عبر الضفة الشرقية للنيل⁵.

وفي السادس عشر من ماي 1801 دارت رحى المعركة الفاصلة والتي عرفت بمعركة الزوامل، وتكبد فيها الفرنسيون خسائر كبيرة، اضطر معها القائد الفرنسي الجنرال بليار Belliar إلى

1- Ghorbal. Op. Cit. p136- 137; Vaujany, Op. Cit, p 373

2- كرسنوفر، المصدر السابق، ص392؛ يحيى، مصر الحديثة...، ص505.

3- Ghorbal, Op. Cit. , P. 137;

4- الجبرتي، عجائب الآثار...، ج4، المرجع السابق ص570-571.

5- يحيى، المجلد في تاريخ مصر...، المرجع السابق ص392.

الاستسلام¹، وأعلن عن نيته تسليم القاهرة لاسيما بعد أن تعزز الموقف العسكري لخصومه بانضمام جيش المماليك إلى القوات المشتركة².

وقد كان لاستسلام الجنرال بليار وتسليمه القاهرة، إنعكاسات خطيرة على الموقف العسكري للقوات الفرنسية المحاصرة في الإسكندرية بقيادة الجنرال مينو، إذ ساهم ذلك في تفرغ القوات البريطانية والعثمانية من القاهرة، وزجها في تعزيز قوات الجنرال كوت Koot التي تولت حصار الإسكندرية³، وان قوات البحر الأحمر إذا كان وصولها قد تأخر عن حصار القاهرة، فإنه جاء في الوقت المناسب لتشديد الضغط على الإسكندرية⁴، وان الإمدادات البريطانية التي توالى وصولها حينذاك أصبحت مركزة لإسناد محور واحد بدل تشتيتها على محاور متعددة، مما عزز الموقف العسكري للقوات المشتركة، ففي الخامس من جويلية وصلت الفرقاطة البريطانية ليدا Leda بالقرب من الإسكندرية محملة بالذخائر والجنود، أعقبها دخول الفرقاطة اكتيف Active في الثامن من جويلية إلى المياه المصرية حاملة عددًا إضافيًا من المقاتلين، وبعد مضي أسبوع فقط وصل اسطول من السفن المحملة بالسلح والذخائر والجنود من جزيرة مينورقة Minorca، وبحلول منتصف جويلية كان عدد القوات البريطانية التي حاصرت الإسكندرية نحو 16000 مقاتل⁵.

وعلى الرغم من كل هذه الاستعدادات البريطانية، إلا ان الجنرال مينو ظل رافضًا لمبدأ التسليم لاعتقاده المفرط بأن نابليون سوف يعمل جاهدًا من أجل إرسال الإمدادات والذخائر إليه، ولما لم يتحقق شيء من ذلك⁶ وبعد ان ضعفت قدرة الفرنسيين على المطاولة، اضطر الجنرال مينو إلى الاستسلام في الثلاثين من آب 1801، وبشروط لا ترقى إلى مثلتها التي وقعها الجنرال بليار، وتتمثل تلك الشروط بجلاء قوات الجنرال مينو في مدة اقصاها عشرة أيام من تاريخ التصديق

1- Ghorbal, Op. Cit, 137- 138; Vaujany, Op. Cit, p374.

2- Vaujany, Op. Cit, p374.

3- شكري، الحملة الفرنسية...، ص 511.

4- المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...، ص 85.

5- شكري، الحملة الفرنسية...، ص 527.

6- كرسنوفر، المصدر السابق...، ص 388-389.

على الاتفاق الذي حدد بالثاني من سبتمبر، فضلاً عن تسليم جميع السفن الفرنسية الموجودة في ميناء الإسكندرية، على ان يتم نقل الجيش الفرنسي على سفن بريطانية وعثمانية.

وفي الأول من أكتوبر 1801 وقعت في لندن مقدمات الصلح بين بريطانيا وفرنسا على أساس إرجاع مصر إلى الباب العالي، وضمان أملاك الدولة العثمانية وسلامة أراضيها، كما كانت قبل الغزو الفرنسي وفي التاسع من أكتوبر 1801 وقع كل من وزير الخارجية الفرنسي تاليران، والسفير العثماني في باريس علي افندي على معاهدة اعادت العلاقات بين البلدين إلى سابق عهدها¹.

بعد انتهاء العمليات الحربية، وجلاء الفرنسيين عن مصر، كان يتوجب على البريطانيين أيضاً سحب قواتهم من هناك لانتفاء مبررات وجودها، بيد أنهم أخذوا يماطلون في ذلك بذريعة أن اللورد الجين سفير بريطانيا في إسطنبول، كان قد أضاف شرطاً ملحقاً بمعاهدة التحالف البريطانية- العثمانية لعام 1799، نص على أن الجيش البريطاني لا يجلو عن مصر إلا بعد استتباب الأمن في ربوعها².

1- خوري، المصدر السابق، ص 266-267

2- الجبوري، أحمد عبد الله، الفكر السياسي في مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الأولى 1850-1914، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، 2001، ص 14.

المبحث الثاني: التنافس البريطاني-الفرنسي وعقد صلح أميان 1801-1803م؛

سبقت الإشارة إلى إن الحكومة البريطانية أخذت تماطل في سحب قواتها من مصر، بعد انتفاء اسباب وجودها بجلاء القوات الفرنسية، بل جعلت أمر ذلك الانسحاب رهناً باستتباب الأمن في تلك المنطقة، والواقع ان مجريات الصراع آنذاك قد افرزت عدد من المبررات التي حتمت على الحكومة البريطانية الابقاء على تواجدها العسكري في مصر.

كان في مقدمة تلك المبررات ما لمسَه القادة العسكريون البريطانيون من ضعف للمؤسسة العسكرية العثمانية عن مواجهة أي خطر فرنسي جديد يستهدف المنطقة، ورأى هتشنسون أيضاً ضرورة بقاء القوات البريطانية في الإسكندرية وبعض المواقع المهمة، حتى بعد استعادة العثمانيين لسيادتهم على مصر

أما المبرر الثاني فتمثل باحتفاظ البريطانيين بعلاقات جيدة مع بعض حكام المماليك، ورغبة الحكومة البريطانية في تثبيت حكومة منهم، تأخذ على عاتقها ضبط الأوضاع الداخلية، وتقضي على أية حالة فوضى يمكن ان تعرض البلاد إلى غزو فرنسي آخر، وأنها تكون رقيباً على المصالح البريطانية في المنطقة¹.

استند البريطانيون على مبرر ثالث قائم على أساس ان خطر الحرب في أوروبا لا يزال قائم، وان الضرورات العسكرية تحتم على الحكومة البريطانية ابقاء تواجدها العسكري، إذ أن ذلك يعطي لبريطانيا ميزة الرد السريع فيما لو ألقى الصراع الدائر في أوروبا بانعكاساته على المنطقة مرة أخرى وتعرضت مصر لتهديد جديد².

1- الرافي، عبد الرحمن، تأريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، ج2، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1958)، ص 55.

2- مُجّد، نجاح، من معطيات المسألة الشرقية العربية، التآمر البريطاني-العثماني والوجود المصري في شبه جزيرة العرب 1811-1840، دراسات تاريخية، بيت الحكمة السنة الحادية والعشرين، ع 71، 72، (بغداد، 2000)، ص 182.

أما المبرر الرابع فكان متصلاً بسعي نابليون لاستئناف العلاقات مع الحكومة العثمانية على وجه السرعة، فبعد التوقيع على معاهدة الصلح الفرنسية-العثمانية في التاسع من أكتوبر 1801، أوفد مندوب عنه إلى الباب العالي هو الكولونيل هوراس سبستياني H. Sebastiane، الذي وصل إلى إسطنبول في الخامس والعشرين من نوفمبر 1801¹ حاملاً معه رسالة شخصية من نابليون إلى السلطان عبر فيها الأول للثاني عن ترحيبه الشخصي بعودة العلاقات الفرنسية العثمانية لسابق عهدها².

كانت بعثة سبستياني بمثابة الصاعقة التي نزلت على البريطانيين، فأخذوا يقيدون تحركاته ويقاومون مساعيه واتصالاته مع المسؤولين العثمانيين³، واستطاع سبستياني أن يلمس مقدار القلق البريطاني حول زيارته، وحينما بدأت مفاوضات الصلح في أميان Amien بين اللورد كورنواليس Cornwallis رئيس الوفد البريطاني، وجوزيف بونابرت Josive Ponapert رئيس الوفد الفرنسي في مارس 1802، رفض الفرنسيون وجود ممثل عثماني يمثل دولته على طاولة المفاوضات، واصرروا على توقيع صلح منفرد معها وفي السابع والعشرين منه وقعت فرنسا وبريطانيا صلحاً ثنائياً بمنأى عن الدولة العثمانية⁴ واعترفت فيه فرنسا بعودة مصر للباب العالي، كما تعهدت بريطانيا بالانسحاب من مصر ومالطا⁵.

كانت فرنسا تبغي من وراء إهمالها وتذرعها بشتى السبل للحيلولة دون وجود ممثل عثماني إلى أحداث شرح في العلاقات البريطانية العثمانية، وقد نجحت في ذلك بالفعل إذ انزعج العثمانيون لقبول البريطانيين توقيع صلح منفرد مع فرنسا، التي استطاعت تحقيق كل ذلك بعد أن

1- جوان، المصدر السابق، ص 229.

2- خوري، المصدر السابق، ص 185.

3- للتفاصيل حول بعثة سبستياني وأتصالاته والأجراءات البريطانية المضادة لها يراجع: خوري، المصدر السابق، ص 185-189.

4- Williamson. A, James, **A Short History of British Expansion , The Modern Empire and Commonwealth**, Second Edition, (London. 1934), P. 32;

5- Cited in 'English Historical Document, Vol X1, pp 895- 901.

قدمت تسهيلات إلى بريطانيا في قضايا أخرى¹ ولما كان صلح أميان قد نص على تعهد بريطانيا بالانسحاب من مصر فقد لجأ نابليون إلى ممارسة الضغوط على الحكومة البريطانية لتنفيذ مضمون ذلك البند².

ويرى البعض إن ذلك الصلح لم يضيف شيئاً للعلاقات البريطانية-العثمانية سوى أنه وسع الفجوة الموجودة أصلاً فيها بسبب التواجد العسكري البريطاني على أراضي عثمانية مع انتفاء أسبابه، الأمر الذي قاد العثمانيون للتوجه إلى فرنسا، حيث تمّ التوقيع بين الطرفين على معاهدة باريس في الخامس والعشرين من جوان 1802، على الرغم من الجهود التي بذلتها إنكلترا وروسيا للحيلولة دون حصول مثل هذا التقارب بين الفرنسيين والعثمانيين³.

ولوضع حدٍ لهذا التقارب الفرنسي-العثماني فقد وجد البريطانيون أن من الحكمة سحب بعض قواتهم من مصر ارضاءً وتطميناً للباب العالي، فتم الإيعاز للجنرال بيرد بسحب قواته من مصر في جوان 1802⁴. وإثباتاً لحسن النوايا فقد قررت الحكومة البريطانية سحب الجنرال هتشنسون الذي اتهمه العثمانيون بالاستغراق في العلاقة مع المماليك والعمل لصالحهم⁵، إلا إن ذلك لم يخفف من قلق نابليون بسبب بقاء القسم الأعظم من الجيش البريطاني على الأراضي المصرية⁶.

وعليه أوفد الجنرال سبستياني في مهمة ثانية إلى الشرق، زار خلالها مصر والشام وأجزاء أخرى من الدولة العثمانية، وعلى الرغم من اتخاذ بعثة سبستياني صفة تجارية في ظاهرها، لكن

1- خوري، المصدر السابق، ص 193؛ طقوش، المرجع السابق، ص 320.

2- جرانت أ. ج. وآخرون، أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين 1789-1950، تر: أحمد عزت عبد الكريم وبهاء فهمي، (د.ط)، (د.د)، القاهرة، 1967، ص 204.

3- طقوش، المرجع السابق، ص 320.

4- جوان، المرجع السابق، ص 231.

5- الرافي، المرجع السابق، ج 2، ص 293.

6- شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، المرجع السابق ج 1، ص 30.

هدفها كان سياسياً تحدد ببذل جميع المساعي لجلاء البريطانيين عن مصر¹، ففي التعليمات التي صدرت إلى سبستيان في 05 من سبتمبر 1802 طُلب إليه فيها بمجرد أن يصل إلى الإسكندرية إن يدون فوراً تقريراً وافياً عما قد يجده من سفن بريطانية في مينائها، مع العدد الفعلي للقوات البريطانية وأماكن تواجدها وتحصيناتها، وكذلك الحال بالنسبة للقوات العثمانية² وأن يزود حكومته أيضاً بمعلومات دقيقة حول الأهمية الاستراتيجية لبعض المواقع العثمانية³.

إلتقى سبستيان حينما وصل إلى مصر في أكتوبر 1802 بالجنرال ستيوارت Stewart الذي اسندت إليه قيادة القوات البريطانية خلفاً للجنرال هتشنسونوايدى له استغراب الحكومة الفرنسية من عدم قيام الحكومة البريطانية بسحب قواتها من الأراضي المصرية، متساءلاً في الوقت ذاته عن الأسباب التي حالت على البريطانيين دون تنفيذ ما تمّ الاتفاق عليه في أميان⁴ وعلى الرغم من محاولة ستيوارت التغاضي عن ذلك بأجوبة مبهمة، لكنه إزاء إلحاح سبستيان أوضح بأن ليست لديه أية تعليمات بإخلاء الإسكندرية، وربما أمضى فيها فصل الشتاء⁵.

أحدثت جولة سبستيان في الدولة العثمانية ردود أفعال عثمانية وأوروبية معارضة، لاسيما بعد ان قدم في خاتمة مطافه تقريره الشامل إلى حكومته، وقيام صحيفة *Moniteur official* الرسمية بنشر ذلك التقرير، في عددها الصادر في الثلاثين من ديسمبر 1803⁶.

الأمر الذي أثار تعليقات سفراء الدول الكبرى وممثليها في إسطنبول، وكتب الجنرال برون في العاشر من مارس أن هؤلاء أتخذوا منه دليلاً لأقناع الباب العالي حول سوء نية فرنسا التي كشفها التقرير، أما الحكومة العثمانية فقد نفى وزير خارجيتها علمه حول المهمة الدبلوماسية التي جاء

1- Antoine, op, cit, p 106.

2- Ghorbal, op, cit, p178.

3- Miller, op, cit, p 31.

4- Ghorbal. op, cit. p 178- 179

5- الرافي، المصدر السابق، ج2، ص299-300.

6- Marriott, op, cit. p172; Miller, op, cit, p32

سبستياني من أجلها¹.

ولكن نابليون استطاع تبديد مخاوف العثمانيين برسالة شخصية بعث بها إلى السلطان سليم الثالث بواسطة مترجمة الخاص جوبير يبرئ فيها نفسه من كل ما اثار غضب الباب العالي ويؤكد حرصه على رضاه وصداقته وامتزاه على عدم القيام بأي عمل يكون فيه أقل دليل على عدم وفائه لهذه الصداقة².

كان رد فعل بريطانيا على التقرير سريعاً لأنها احست أنه موجه بالأساس ضد مصالحها في الدولة العثمانية، وذلك على الرغم من تبرير تاليران للسفير البريطاني في باريس اللورد هويتورث Lord Hwetorth، بأن حماسة الضابط الشاب الذي كتب التقرير - سبستياني - دفعته لتفسير وجود القوات البريطانية في الإسكندرية بمثابة تصميم بريطاني على مواصلة الحرب ضد فرنسا³ بيد ان هذا التبرير لم يكن ليقنع البريطانيين، فالتقرير تضمن دعوة صريحة للفرنسيين بإعادة احتلالهم لمصر وأنه يكفي اليوم لفتح مصر ستة آلاف فرنسي فحسب، وعلاوة على ما ورد في التقرير فقد لوح نابليون بما يشابهه إلى اللورد هويتورث عندما أشار له بأن مصر ستكون من نصيب فرنسا⁴.

ولما كانت كل من فرنسا وبريطانيا ليست لديهما الاستعداد للإيفاء بالالتزامات المتبادلة التي تمّ الاتفاق عليها بموجب صلح أميان، فإن مسألة الحرب بين الطرفين لم تكن سوى مسألة وقت⁵، وقد ادرك البريطانيون ضرورة تسوية الأمور مع الحكومة العثمانية التي أخذت تمارس ضغوطها على الحكومة البريطانية لسحب قواتها، ولكي لا تفقد بريطانيا حلفاءها العثمانيين في الحرب المحتملة

1- شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، المرجع السابق ج 1 ص 48.

2- خوري، المصدر السابق، ص 206.

3- شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، المرجع السابق ج 2، ص 588.

4- نفسه، ص 588.

5- بالمر، المصدر السابق، ص 249.

ضد فرنسا، لذلك اتخذت قرارًا بسحب قواتها من الأراضي المصرية في مارس 1803¹ في وقت بدأ فيه القادة العسكريون بوضع خطط الحرب التي اندلعت بعد شهرين فقط².

ومما تجدر الإشارة إليه إن تطلعات روسيا تجاه الدولة العثمانية مع بدايات القرن التاسع عشر قد اثارت هي الأخرى قلقًا لدى البريطانيين، إذ ركزت السياسة الخارجية الروسية على دبلوماسية التقارب مع الباب العالي خلافاً لما عهدته فيما مضى من سياسة هجومية، مع ثبات مقاصدها وغاياتها النهائية وهي التوسع على حساب الدولة العثمانية وبعبارة أخرى إن التغيير كان في الوسائل لا الأهداف³ ولم يكن بوسع بريطانيا أن تعمل بصورة مباشرة ضد روسيا بسبب حاجتها إلى الدعم الروسي ضد فرنسا في أوروبا، لكن ذلك لم يقف حائلاً أمام بريطانيا في العمل على إحباط الخطط الروسية في الدولة العثمانية بأساليب أخرى منها تشجيع العثمانيين على إدخال الإصلاحات في مختلف أنحاء الدولة العثماني⁴.

ورغم ادراك السلطان العثماني سليم الثالث لأطماع الروس، لكنه تجنب الصدام العلني معهم لئلا يؤثر ذلك على علاقته مع حلفائه البريطانيين الذين حاولوا الاستفادة من الدعم الحربي الروسي ضد الفرنسيين، معتقداً بأن صداقته مع بريطانيا سوف تثمر في النهاية عن درء الأطماع الفرنسية والروسية معاً، فكان عليه أن يلجأ إلى سياسة الموازنة في التعامل مع بريطانيا وفرنسا وروسيا في ضوء المصالح المتضاربة لهذه الدول⁵.

1- التكريتي، نصير خير الله محمد، التغلغل الأجنبي في مصر، 1863-1879، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية، (جامعة تكريت، 2005)، ص18، شارو ويم بك، المصدر السابق، ص281.

2- Crawly, op. cit, p5323

3- التكريتي، هاشم، الصراع الروسي-الفرنسي في البلقان في مطلع القرن التاسع عشر، مجلة المؤرخ العربي، ع 40، السنة الرابعة عشر، (بغداد 1989) ص57؛

4- Anderson, *The Eastern Question*, p31

5- Shaw, Op. Cit. , Vol. 1. P. 270- 271.

المبحث الثالث: التقارب البريطاني - الروسي 1803-1807م وأثره على العلاقة مع الدولة العثمانية؛

في الوقت الذي شهد فيه عام 1803 انهيار صلح أميان واستئناف القتال بين بريطانيا وفرنسا فإن العام ذاته شهد توترًا في العلاقات الفرنسية الروسية، الأمر الذي شجع على حدوث تقارب روسي بريطاني، وقد ضمّن السفير الروسي في إسطنبول إيتالينسكي Utalinsky تقاريره إلى حكومته في سان بطرسبورغ تحذيرات من اتساع نشاط الوكلاء الفرنسيين في البلقان فضلًا عن وصول كميات كبيرة من الأسلحة الفرنسية إلى المورة بهدف دعم اليونانيين في ثورتهم ضد السيطرة العثمانية¹ فأثارت هذه التحذيرات مخاوف الروس من اجتياح فرنسي للدولة العثمانية مما يشكل عائقًا بوجه الطموحات والتطلعات التاريخية لروسيا في البلقان والمياه الدافئة²، لاسيما وأن فرنسا اهتمت بتعزيز تواجدتها العسكري في أترانتو (Atranto) وتورانتو (Toronto) على السواحل الجنوبية لإيطاليا³ فبات من المتوقع إن يعمد الفرنسيون إلى إنزال قواتهم على الساحل اليوناني أو ألبانيا أو الساحل الأدرياتيكي، وبشكل متزامن مع الدعوات التي يطلقها نابليون بتقديم يد العون والمساعدة للشعوب البلقانية إذا ما أرادت التحرر من السيطرة العثمانية⁴.

أبدت الحكومة البريطانية تأييدها للمقترح الروسي طالما كان موجهًا ضد فرنسا، إلا أن الوصول إلى تفاهم مشترك كان يتطلب أولاً تسوية الخلاف بشأن مالطا التي احتلها البريطانيون منذ سبتمبر 1800، التي لا زالت روسيا تطالب باستعادة السيطرة عليها⁵ إذ لم تكن بريطانيا على استعداد للانسحاب من هذه الجزيرة، بسبب أهميتها الاستراتيجية التي ازدادت مع تجدد الحرب

1- التكريتي، هاشم، الصراع الروسي الفرنسي في البلقان...، ص 59.

2- العبيدي، أحمد، المرجع السابق، ص 85.

3- خوري، المصدر السابق، ص 206.

4- التكريتي، هاشم، المرجع السابق، ص 59.

5- خوري، المصدر السابق، ص 206-207.

ضد فرنسا¹.

وإزاء ادراك الروس والبريطانيين لخطورة الموقف الناجم عن المشروع الفرنسي في الشرق، تم الاتفاق على تسوية مسألة مالطا، إذ بعث القيصر الروسي ألكسندر الأول برسالة إلى وزير الخارجية البريطانية اللورد هوكزبري في فيفري 1803 بين فيها موافقة روسيا على بقاء القوات البريطانية في جزيرة مالطا في ظل الظروف القائمة وقتذاك، كما وعد بتعزيز الحماية الروسية في جمهورية الجزر السبع أو ما كان يعرف بالجزر الأيونية².

لكن الحكومة الروسية أدركت أن الوقوف بوجه النشاط الفرنسي في البلقان لن يكتمل بالعمل المنفرد، بل بتوحيد الجهود مع بريطانيا، لذا قرر السياسة الروس في أواخر عام 1803 جس نبض الحكومة البريطانية حول إمكانية القيام بعمل مشترك لحماية شبه جزيرة البلقان والبحر المتوسط من غزو فرنسي محتم³ وفي فيفري 1804 وضع تشارتوريسكي⁴ Czartoryski، خطة سياسية أساسها العمل المشترك بين روسيا وبريطانيا، للحيلولة دون تحقيق نابليون لطموحاته في البلقان خاصة والشرق الأدنى بصورة عامة، مع ضرورة الحفاظ على كيانية الدولة العثمانية ضد أي اعتداء تتعرض له من أية جهة كانت، وطالما بقيت هذه الدولة في حالة الضعف التي تعربها، ويتبدل هذا الموقف في حالة استعادة الدولة العثمانية لقوتها، أو ارتمائها في أحضان فرنسا، الأمر الذي يتطلب من روسيا في النهاية العمل الجاد لتوثيق علاقاتها مع شعوب البلقان فضلاً عن تعزيز علاقاتها مع الدول الأوروبية الأخرى وبخاصة بريطانيا.

1- جران، المصدر السابق، هامش رقم (5)، ص 204.

2- نفسه، ص 204.

3- Anderson, *The Eastern Question*. P. 34.

4- عين آدم تشارتوريسكي منذ خريف 1802 مساعداً لوزير الخارجية أكسندر روما نوفتشخورونتسوف وترأس وزارة الخارجية الروسية بصورة فعلية في كانون الأول 1804 وحتى 1806 بعد مرض أكسندر في عام 1804 ووفاته في عام 1805، ينظر: التكريتي هاشم، الصراع الروسي الفرنسي في البلقان...، ص 57.

وعلاوة على حاجة بريطانيا إلى التحالف العسكري مع روسيا لإيقاف المد الفرنسي، فقد كانت هناك قضايا أخرى اشترت بوضوح حاجة كلا الطرفين إلى ذلك التقارب، ومنها الوقوف بحزم تجاه محاولة نابليون الضغط على السلطان العثماني للاعتراف به إمبراطورًا، بعد أن أضفى على نفسه ذلك اللقب في ماي 1804¹، إذ حذر السفير الروسي في إسطنبول الحكومة العثمانية بأن روسيا سوف تلجأ إلى غلق سفارتها وقطع علاقاتها الدبلوماسية معها، وفي حالة إذعان السلطان لطلب نابليون، فإن الحكومة الروسية ستتصرف طبقًا لما تمليه عليها مصالحها، حتى وأن تطلب ذلك إعلانًا للحرب، كما طلب من الحكومة العثمانية وعدًا بعدم الاعتراف باللقب الجديد لنابليون حتى تعترف روسيا به².

أما الموقف البريطاني فكان هو الآخر متشددًا من مسألة لقب نابليون، إذ حصلت بريطانيا على ضمانات من السلطان سليم الثالث بعدم الاعتراف بذلك اللقب بعد أن لوح البريطانيون بإمكانية قيام الأسطول البريطاني بعملية اجتياح للمضائق العثمانية³.

وبسبب جدية الضغوط الروسية والبريطانية إضطر السلطان سليم الثالث إلى عدم الاعتراف بلقب نابليون، الأمر الذي أثار غضب برون السفير الفرنسي في العاصمة العثمانية، فغادرها في الثامن عشر من جانفي 1804، وانعكس ذلك على العلاقات الفرنسية-العثمانية إذ سادها الفتور آنذاك⁴، ومن الجدير بالذكر أن نابليون لم يقدم على غلق سفارته في إسطنبول، إذ عهد إلى القائم بالأعمال الفرنسي بارندييه Paranie بتسيير أمور السفارة بعد أن زوده بتعليمات كانت تقضي الاستمرار بمناهضة نشاط البريطانيين والروس في إسطنبول، وبشكل لا يشعر معه الباب العالي بأن فرنسا تعمل على ممارسة الضغوط الدبلوماسية عليه للحد من نشاط خصومها⁵.

1- المقرحي ميلاد، تأريخ أوروبا الحديث 1453-1848، (منشورات جامعة قار يونس بنغازي، 1996)، ص335.

2- Puryear, op, p32; Shaw, op, cit, Vol 1, p271.

3- العبيدي أحمد، المرجع السابق، ص87.

4- Wren, Op. Cit. , P. 333; Puryear, op, cit, P33.

5- شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص342.

لم تُجد أساليب الترغيب والترهيب التي انتهجها نابليون في دفع الحكومة العثمانية لمناهضة النشاطات الروسية والبريطانية، فبعد أن توصل البريطانيون والروس إلى توقيع معاهدة للتحالف في الحادي عشر من أبريل 1805، تعاهد فيها الطرفان على إرجاع فرنسا إلى حدودها الأصلية، وتعهدت بريطانيا بتقديم مساعدات مالية مقابل تقديم روسيا جيوشها لمقاتلة فرنسا¹ فقد عمدت السياسة البريطانية إلى تكثيف الضغوط على الباب العالي في محاولة لضم الدولة العثمانية إلى التحالف الأوربي المناهض لنابليون، إذ هدد السفير البريطاني شارل أربثنوت Arbuthnot Charles في جوان 1805 بمغادرة إسطنبول إذا لم تحدد الحكومة العثمانية تحريماً موقفاً المناوئ لفرنسا وتحدد معاهدة التحالف الموقعة مع روسيا، وفي حالة رفض السلطان العثماني تجديد تلك المعاهدة، فسوف تلجأ روسيا إلى مهاجمة الدولة العثمانية².

وعلى الرغم من جهود تاليران الذي أعطى أوامره إلى القائم بالأعمال بارندييه ببذل أقصى الجهود للحيلولة دون حصول تحالف بريطاني-عثماني-روسي، إلا أن الحكومة الروسية تمكنت وبتشجيع الدبلوماسية البريطانية³ في الثالث والعشرين من سبتمبر 1805 من عقد معاهدة تحالف جديدة مع الدولة العثمانية، انضمت بموجبها الأخيرة إلى التجمع الأوربي المناهض لفرنسا⁴ وقد نصت المعاهدة على التزام روسيا والدولة العثمانية بتقديم الدعم العسكري لبعضهما البعض في حالة تعرض أحدهما إلى هجوم من قبل دولة أخرى، وحصلت روسيا في البندين الرابع والسابع على تعهد من العثمانيين بالمحافظة على الجزر السبع، والسماح للأسطول الحربي الروسي باستخدام البسفور والدردييل لتعزيز الحاميات الروسية هناك، وعدة حماية المضائق العثمانية والبحر الأسود مسؤولية مشتركة بين العثمانيين والروس، وأن يتم غلقها بوجه السفن الحربية العائدة للدول التي لا تقع على هذا البحر.

1- Wren, Op. Cit, PP. 333- 334.

2- Puryear, op, cit, p 56

3- شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص344-345.

4- الشناوي، عبد العزيز مُجدد، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، ج1، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980)، ص200.

والحقيقة أن التحالف العثماني- البريطاني- الروسي لم يكن صلداً إلى حدّ الصمود إزاء المتغيرات والإنعكاسات التي رافقت الصراع بين جيوش التحالف الأوربي الثالث وجيوش نابليون في أوروبا، فتحطم الأسطول الفرنسي أمام الأسطول البريطاني في معركة الطرف الأغر في الحادي والعشرين من أكتوبر 1805¹ اقنع الفرنسيين باستحالة تحقيق انتصار بحري على بريطانيا في أوروبا مما حدا بنابليون إلى إعادة النظر بخططه لتدمير قوة بريطانيا في الشرق الذي بات الهدف الاستراتيجي للإمبراطور²، لكن نابليون استطاع ان يحو هزيمة الطرف الأغر بانتصارات انعكست نتائجها ليس فقط على صعيد علاقاته مع الدولة العثمانية، وإنما أدت إلى زعزعة التحالف البريطاني- الروسي- العثماني³.

وبعد مراسلات بين القائم بالأعمال الفرنسي والسلطان العثماني، ثم تعيين محب أفندي المناصر للفرنسيين على رأس السفارة، لتزويده بالتعليمات الخاصة بعقد تحالف عثماني-فرنسي، أما نابليون فمن جانبه فقد طلب من تاليران في مارس 1806 بأن يكتف اتصالاته بالسلطان العثماني قاصداً وده، وللحيلولة دون وقوعه من جديد في شباك البريطانيين أو حبال الروس⁴.

كان انضمام السفير الروسي في إسطنبول إلى زميله البريطاني في ممارسة المزيد من الضغط على الحكومة العثمانية، فجدد احتجاجه على تغيير أميرى والاشيا ومولدافيا، مؤكداً على إصرار بلاده على ممارسة حقوقها بالعبور عبر المضائق، التي تقرها المعاهدة المعقودة قبل بضعة أشهر، وهدد هو الآخر بتعليق أعماله ومغادرة إسطنبول⁵.

أستغل السفير الفرنسي سبستيانى هذه الخطوة ليدلل للعثمانيين عن نوايا البريطانيين، ثم تحويل الباب العالي إلى تأييد فرنسا مجدداً، مستغلا أثر الانتصارات العسكرية التي حققتها جيوش

1- المقرحي، المصدر السابق، ص336.

2- العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص152.

3- Shaw, Op. Cit, Vol 1, p272; Wren, op, cit, p334

4- خوري، المصدر السابق، ص217.

5- نفسه، ص104.

نابليون على الجيوش البروسية في معركة ينا Yana واورشتاد Orshtad وتمكنها من دخول برلين في السابع عشر من أكتوبر 1806¹، إذ ما ان أبلغ سبستياني نتائج هذه الانتصارات للحكومة العثمانية حتى كشف له وزير الخارجية العثمانية غالب أفندي بأن السلطان سليم كان ينتظر مثل تلك الظروف للتحالف مع فرنسا².

كثف سبستياني اتصالاته مع المسؤولين العثمانيين، وعند لقائه بوزير الخارجية العثمانية اقنعه في أواخر أكتوبر 1806 بإلغاء معاهدة التحالف البريطانية العثمانية لعام 1799، ومعاهدة التحالف الروسية العثمانية المحددة في عام 1805³ وقررت أيضاً الدخول في مفاوضات مع فرنسا من أجل التوصل إلى معاهدة تحالف، والعمل المشترك على إصلاح القلاع والتحصينات العثمانية في البسفور والدرديبل، وتشكيل جيشين كبيرين يربط أحدهما في صوفيا لإخضاع الصرب، والآخر في إسماعيل على أحد فروع نهر الطونة في بساريا، للوقوف بوجه الروس إذا حاولوا عبور نهر الدنيستر⁴.

أما موقف الحكومة العثمانية من بريطانيا فيمكن ان يعزى إلى وجود فئة من الوزراء العثمانيين المناصرين لبريطانيا، وبخاصة وزير الخارجية غالب أفندي، الذي كان يكن كرهاً شديداً للسير الفرنسي سبستياني حتى أنه كان يصفه بـ "وزير السلطان"، وان هذه الفئة كانت تخشى هجمات الأسطول البريطاني على إسطنبول ومنطقة المضائق، بعد الأخذ بالحسبان ان سفناً بريطانية أخذت تتحشد قرب مضيق الدردنيل⁵. ويمكن أن يفسر موقف الحكومة العثمانية من بريطانيا بأنه محاولة للتفريق بين بريطانيا وروسيا، فبدلاً من مواجهة الدولتين في آن واحد، تكون هناك مواجهة لروسيا وحدها، مستغلة انشغال الأخيرة في حربها ضد نابليون في أوروبا، وضد بلاد

1- Shaw, Op. Cit, p 273; Wren. Op. Cit, p 335-336.

2- Puryear, Op. Cit, p 113.

3- الشناوي، المرجع السابق، ص 206؛ بكديلي، المصدر السابق، ص 86.

4- شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج 2 ص 351.

5- العبيدي أحمد، المرجع السابق، ص 110-111.

فارس في آسيا¹.

وآخر ما يمكن ان يضاف من تفسيرات للموقف العثماني، أن الحكومة العثمانية وعلى الرغم مما حدث من تأزم في علاقاتها مع بريطانيا، لكن ليس ثمة شك في رغبتها في الابقاء على علاقاتها القائمة مع بريطانيا، ودلالة ذلك استجابة الحكومة العثمانية للطلب البريطاني بعزل مُجَّد علي باشا عن ولاية مصر، وتوليته بدلاً عنها ولاية سلانيك، بعد ان لمست منه بريطانيا ميله للفرنسيين² وإذا كان مُجَّد علي قد بقي في منصبه بموجب الفرمان الصادر في السابع من نوفمبر 1806، لكن هذا لم يأت بسبب رضا الحكومة العثمانية أو بريطانيا عليه، وإنما بسبب تمسك الأهالي به³.

1- أحمد كمال مظهر، من تاريخ الحروب الإيرانية الروسية، بغداد 1984، ص 28-62.

2- الصياد سامي صالح مُجَّد، الموقف البريطاني من سياسة مُجَّد علي باشا في اليونان وبلاد الشام، 1821-1841، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية، جامعة تكريت، 2001، ص 23.

3- علي شاكر، تجربة مُجَّد علي باشا (1805-1840)، مجلة آفاق عربية، ع 09، سبتمبر، (بغداد، 1993)، ص 21.

المبحث الرابع: الصراع العثماني - البريطاني:

1. الحملة البريطانية على الدردنيل:

قادت التطورات التي شهدتها الدولة العثمانية مطلع عام 1807 إلى اقناع الحكومة البريطانية بالتحذيرات التي أسداها السفير أرثنوت، فبعد غلق الدولة العثمانية لمضائقها امام السفن الأجنبية طيلة مدة حربها مع روسيا، فقد طلب غالب أفندي وزير الخارجية العثمانية في الثالث عشر من ديسمبر 1807 من السفير البريطاني ابعاد الأسطول البريطاني المرابط بالقرب من مدخل الدردنيل بقيادة توماس لويس وجعل مرساه عند جزيرة تيندوس¹.

فسرت الحكومة البريطانية الخطوات العثمانية بأنها مكملة لسلسلة حلقات الحصار القاري الذي فرضه نابليون سواء أكان ذلك بالتحالف²، أم بواسطة مراسيمه التي أطلقها من برلين في نوفمبر 1806³ أو من ميلان في ديسمبر 1807 لمحاصرة التجارة البريطانية⁴ وعليه فبتلك الإجراءات العثمانية فقد اغلقت جميع منافذ التجارة البريطانية من سواحل البلطيق إلى سواحل إسطنبول⁵، وهو ما أدى ببريطانيا للتحرك باتجاه المضائق العثمانية، فقد بذل السفير البريطاني أرثنوت خلال شهر ديسمبر 1807 جهودًا مكثفة ومساعي حثيثة لدى الحكومة العثمانية، فتمكن من تعطيل جهود العثمانيين من تحصين المضائق، بذريعة إمكانية تسوية الخلاف الروسي العثماني عن طريق الصلح⁶ هذا من ناحية ومن ناحية ثانية حاول اقناع الدولة العثمانية بعدد من المقترحات منها تجديد الحلف البريطاني العثماني الذي الغته الحكومة العثمانية من جانب واحد،

1- شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص351.

2- Puryear, op, cit, p125.

3- بموجب هذه المراسيم فُرضت حالة الحصار على الجزائر البريطانية بتحريم كل انواع المعاملات التجارية بينها وبين الموانئ التي تخضع لحكم نابليون أو لنفوذه أو المتحالفة معه. فأصبحت السفن التي تدخل بالرغم من ذلك عرضة للمصادرة. ينظر: جرانت وآخرون، المصدر السابق، ص225.

4- R. B. Mowat, *Europe and the Modren world 1492-1918*, (oxford, 1929), p577.

5- العبيدي، المرجع السابق، ص112.

6- سرهنك، المصدر السابق، ص653.

وإذا ما حصلت الموافقة على ذلك فإن بريطانيا راغبة بإضافة بند جديد ينص على السماح للسفن البريطانية بالمرور في منطقة المضائق، وحاول إقناعهم أيضًا بالتخلي عن ولايتي الاشيا ومولدافيا لصالح روسيا مقابل تعهد الحكومة البريطانية بإيقاف الحرب الروسية العثمانية، وبعكسه سوف تضطر بريطانيا إلى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع الدولة العثمانية وستعزز اسطولها المرابط قرب جزيرة تيندوس بأسطول آخر ليقوما بالتنسيق مع الأسطول الروسي بمهاجمة إسطنبول¹.

ويبدو أن السلطان سليم الثالث قد عدّ الإذعان للضغوط البريطانية مسألة مذلة له ولدولته، فرد على تلك المقترحات بأن قلد السفير الفرنسي سبستياني والقائم بالأعمال روفين أوسمة رفيعة في السادس والعشرين من ديسمبر 1807 تقديرًا لجهودهم في الإشراف على عمليات تحصين المضائق². الأمر الذي اثار استياء وغضب السفير البريطاني الذي غادر إسطنبول مع جميع افراد الجالية البريطانية على ظهر السفينة الحربية أنديمون Endymion ليلة التاسع والعشرين منه، ووصل إلى جزيرة تيندوس في الحادي والثلاثين منه³.

وما ان ابلغ السفير البريطاني أرثنوت اخبار فشل مساعيه لدى الباب العالي إلى الأدميرال دوكوورث الذي وصل أيضًا إلى جزيرة تيندوس، حتى قرر الأخير التحرك باتجاه المضائق في العاشر من فيفري 1807 على رأس اسطول مؤلف من احدى عشرة سفينة حربية.

وتمكن من عبور الدردنيل وبحر مرمرة بعد تدميره لقوة بحرية عثمانية مؤلفة من ست سفن بقيادة القبودان حاجي صالح باشا⁴ ورسى بالقرب من العاصمة إسطنبول في التاسع عشر من الشهر ذاته دون مقاومة تذكر من العثمانيين⁵ ولقد لاحظ دوكوورث بأن أعمال التحصينات العثمانية قائمة بوتيرة عالية تحت إشراف السفير الفرنسي سبستياني شخصيًا، إذ قام العثمانيون

1- العبيدي أحمد، المرجع السابق، ص114.

2- Puryear, Op. Cit. , p134.

3- Anderson, **The Eastern Question**, P. 38; Ghorbal, Op. Cit, p243;

4- سرهنك، المصدر السابق، ص653،

5- Ghorbal, op, cit, p 244; Jonquire, op, cit, p328.

وبمساعدة ضباط فرنسيين من نصب نحو (300) مدفعًا على طول مضيق الدردنيل¹ لذا ساورته الشكوك بأن العثمانيين الذين أخذوا يماطلون ويسوفون بالرد ما فعلوا ذلك إلا لوجود خطة عثمانية بإشراف فرنسي للإيقاع بالأسطول البريطاني ومحاصرته في بحر مرمرة، فقرر الانسحاب، ويبدو ان دوكوورث كان مصيبًا في تقديره للموقف العسكري، فحال شروعه بالانسحاب من بحر مرمرة اخذت المدفعية العثمانية تقصف سفن الأسطول عند قلعه غاليبولي Gallipoli، ولم يتمكن دوكوورث من الخروج من ذلك (المضيق الناري) على حدّ وصفه إلا في الثالث من مارس 1807، بعد ان خسر سفينتين من اسطوله و(600) من مقاتليه وعاد للرسو مرة أخرى قرب جزيرة تيندوس².

وعندما وصل الأسطول البريطاني بالقرب من جزيرة تيندوس، إنظم إليه الأسطول الروسي بقيادة سينيافين Senyavin في الثامن من مارس، واقترح القائد الروسي ان يعاود الأسطولان الكرة على المضائق بهجوم مشترك، لكن دوكوورث رفض هذا الاقتراح، معتقدًا بعدم جدوى مثل ذلك الهجوم بعد ان وصلته اخبار عن موافقة السلطان سليم الثالث للسنف الحربية الفرنسية بالدخول إلى الدردنيل والمرابطة من أجل حماية إسطنبول³، فضلاً عن إرسال أسطول بحري عثماني مؤلف من ثماني عشرة سفينة حربية بقيادة علي باشا للمرابطة عند قلعة غاليبولي بهدف تعزيز دفاعات ذلك المضيق، وقد مضى دوكوورث في تنفيذ الخطة البريطانية المرسومة سلفًا، فأخبر الجنرال فوكس بفشل مفاوضاته مع الباب العالي، وأخذ الأخير يستعد لتنفيذ الصفحة الأخرى من تلك الخطة بالتوجه إلى مدينة الإسكندرية واحتلالها، في محاولة لتعويض الفشل على ضفاف البسفور بنجاح على ضفاف النيل⁴.

1- لعبيدي، المرجع السابق، ص116.

2- Miller, Op. Cit. , p34; Shaw, Op. Cit. , Vol. I, P. 273; Kinross, Op. Cit. , p430

3- العبيدي، المرجع السابق، ص 117-118

4- رزق يونان لبيب وآخرون، تاريخ العلاقات المغربية المصرية منذ مطلع العصور الحديثة حتى العام 1914 الدار البيضاء، 1980، ص223؛ السروجي، المصدر السابق، ص356. سرهنك، المصدر السابق، ص 658.

2. الحملة البريطانية على الإسكندرية:

قطعًا لم يكن الهدف الرئيسي من الحملة البريطانية على الإسكندرية اتخاذها قاعدة انطلاق لاحتلال مصر بأكملها كما فعل الفرنسيون عام 1798، وإنما كانت جزءًا من مشروع سياسي للضغط على الحكومة العثمانية، للابتعاد عن فرنسا، وفصم عرى التحالف بينهما، والانضمام إلى بريطانيا وروسيا¹ وما يؤيد ذلك ما ورد في المذكرة السرية التي بعثتها وزارة الحربية البريطانية إلى الجنرال فوكس المؤرخة في الخامس والعشرين من أبريل 1807، بأن الهدف من القيام بعمل عسكري في الإسكندرية هو محاولة لأكراه الباب العالي على التخلص من نفوذ فرنسا وحمله على إعادة علاقاته مع بريطانيا العظمى وروسيا².

وطبقًا لهذه التعليمات فقد اصدر القائد العام للقوات البريطانية في صقلية بتشكيل حملة تتألف من (5100) مقاتل وأناطق قيادتها إلى الجنرال ماكنزي فريزر Makenzie Fraser، وزوده بأوامر صريحة تنص على أن هدف الحملة هو احتلال الإسكندرية دون غيرها من البلاد المصرية، وعلى إثر ذلك أبحرت الحملة من مسينا في السادس من مارس 1807³.

وفي إطار حملة الجنرال فريزر، ففي الثالث عشر من مارس 1807 وصلت السفينة الحربية البريطانية ويزارد Wizard إلى شواطئ الإسكندرية في مهمة استطلاعية للتعرف على الحالة في الثغر، ودون ان يعلم البريطانيون السلطات العثمانية في الإسكندرية بأسباب حضورها، وطلب قائدها مقابلة القنصل البريطاني وابلغه بقرب وصول الحملة⁴، وفي السادس عشر من مارس وصلت إلى شواطئ الإسكندرية الفرقاطة الحربية Tiger، حيث قام ضابطان من طاقمها بمقابلة أمين آغا الحاكم العثماني في الإسكندرية وبحضور القنصل البريطاني، وطلبوا منه ابداء التعاون لدخول المدينة

1- Rifaat Bey. M. **The Awakening of Modern Egypt**, (London, 1961), P14; Ghorbal, Op. Cit. , p244;

2- الشناوي، المرجع السابق، ص211.

3- RifaatBey, Op. Cit. , p23;

4- شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص612.

بذريعة حمايتها من هجوم فرنسي وشيك مقابل رشوة مالية كبيرة¹.

وما ان اكتمل وصول قطع الأسطول البريطاني، المؤلف من خمس وعشرين سفينة حربية في السابع عشر من مارس حتى وجدت القوات البريطانية الطريق ممهدًا للزحف باتجاه الإسكندرية في اليوم التالي وبعد مفاوضات صورية بين قائد الحملة وأمين آغا دامت ليومين، انتهت بإعلان الأخير باستسلام حامية الإسكندرية المؤلفة من 300 جندي وتسليم المدينة للبريطانيين في العشرين من².

وحيثما علمت الحكومة العثمانية باستيلاء الأسطول البريطاني على الإسكندرية عدت ذلك عملاً عدائياً، لكنها كانت عاجزة عن القيام بفعل حقيقي يمكنها من استعادة هذه المدينة، بسبب حصار الأسطول الروسي لمضيق الدردنيل، فأكتفت بالطلب من يوسف باشا والي صيدا بإرسال الإمدادات لقواتها هناك عن طريق صور³.

بعد تسليم الإسكندرية فقد أثر الجنرال فريزر الالتزام بتعليمات حكومته التي أكدت عدم توسيع نطاق العمليات العسكرية أكثر من ذلك، لكن هذا الامر تقاطع مع رغبة القنصل البريطاني مسيت الذي اعتقد بضرورة السيطرة على مصر بأكملها، ولذا لم يكد يمر يومان على احتلال الإسكندرية حتى بعث مسيت في الثاني والعشرين من مارس كتاباً إلى المماليك يدعوهم فيه إلى تنسيق العمليات العسكرية بين الطرفين طالباً إليهم أن يبعثوا برسول يأتمنونه ليملئ عليه مطالبهم⁴، وفي التاسع والعشرين منه اتمت القوات البريطانية استيلائها على مدينة رشيد، بعد أن انسحب منها حاكمها العثماني علي السلانكلي ودخلتها القوات البريطانية دون قتال⁵.

1- الرفاعي، المرجع السابق، ص 37-38.

2- Dowell, Henry, **The founder of modern Egypt A study of Muhammad Ali**, (Cambridge, 1931), p23

3- سرهنك، المصدر السابق، ص 656.

4- Ghorbal, Op. Cit. , p248.

5- Dodwell, Op. Cit. , p24- 25.

استغل حاكم مدينة رشيد انشغال القوات البريطانية في المدينة، وعدم قيامها بتعقبه فشن هجومًا معاكسًا فاجأ فيه القوات البريطانية التي انتشرت في الشوارع والحارات الضيقة بنوع من القتال لم تعهده من قبل، وكبدها خسائر جسيمة بلغت نحو (120) قتيلًا و(250) جريحًا و(120) أسيرًا، فضلًا عن مقتل قائد الحملة الجنرال واكوب، وجرح نائبه الجنرال ميد Meed الذي أوعز بالانسحاب من مدينة رشيد.

بالرغم من الحصار على مدينة رشيد، وإجبار حاكمها على التسليم دون اقتحام، ان مدة الحصار الذي فرضه الجنرال ستيوارت على مدينة رشيد التي استمرت اثني عشر يومًا قد ساعدت مُحمَّد علي على القيام بالاستعدادات الضرورية للمواجهة، وكانت خطة مُحمَّد علي ترمي إلى إرسال المزيد من القوات إلى رشيد، والتي اصطدمت هاتان الفرقتان بالقوات البريطانية في قرية الحماد بالقرب من مدينة رشيد بمعركة فاصلة في الحادي والعشرين من أبريل، حقق خلالها جيش مُحمَّد علي انتصارًا حاسمًا تكبد فيها البريطانيون خسائر فادحة بلغت نحو (1400) بين قتيل وجريح بالإضافة إلى أعداد من الأسرى بينهم 38 ضابطًا وبعد مد وجزر ونظرًا للظروف الداخلية التي ميزت بريطانيا في هذه الفترة كان الانسحاب النهائي من مصر¹.

3. معاهدة الدردنيل عام 1809:

حاول نابليون بعد عقد معاهدة تيليسنت أن يجمع في سياسته تجاه الدولة العثمانية وروسيا، بين المنطق والاحتيايل، فالمنطق برأيه هو تحالفه الجديد مع روسيا، الذي عدّه أهم وسائله لتحطيم بريطانيا في أوروبا²، أما الاحتيايل عنده فيما أنه بحاجة إلى الدولة العثمانية **فالإبقاء** حلقات الحصار القاري محكمة ضد **بريطانيا، رأى** من الضروري الإبقاء على علاقاته مع الحكومة العثمانية وفي

1- الرافي، عصر مُحمَّد علي...، ص 64-71، شببيكة، المصدر السابق، ص 270-272، جوان، المصدر السابق، ص 352-361.

2- العبيدي، المرجع السابق، ص 123.

ذات الوقت حرصه على كتمان سياسته تجاه روسيا على العثمانيين، بل إنه حثهم على وجوب عقد الهدنة مع الروس¹.

أما العثمانيون وعلى الرغم من امتعاضهم من نابليون لمجرد مصالحته مع الروس دون استشارتهم أو إشراكهم في الأمر، إلا أنهم رحبوا بالتوصل إلى معاهدة سلام مع روسيا، طالما ان فرنسا ستستمر في مساعدتها للدولة العثمانية، بدفع روسيا للتخلي عن مقاطعتي الدانوب والقرم، ووقف مساعدات الأخيرة للثوار الصرب²، لذا بدأت المفاوضات بين الروس والعثمانيين وبوساطة فرنسية وتم التوصل إلى اتفاقية هدنة في الرابع والعشرين من آب 1807³، نصت على وقف القتال واستئناف المباحثات للتوصل إلى معاهدة سلم نهائية، وأن تنسحب القوات الروسية والعثمانية من مقاطعتي الدانوب خلال شهر واحد، ونصت على حق روسيا في عبور سفنها الحربية عبر المضائق العثمانية⁴.

لكن لم تمض سوى بضعة ايام على بدء المفاوضات البريطانية العثمانية، حتى وصلت اوامر الحكومة الروسية في الثالث والعشرين من آب 1807 إلى سينايف بالانفصال عن الأسطول البريطاني، في دلالة واضحة على تضارب مصالح كل من الدولتين، غير أن آرثر باجت استمر في مفاوضاته الثنائية مع العثمانيين لكن المفاوضات اتسمت بالمماطلة والتسويف من قبل الحكومة العثمانية، مستندة في ذلك إلى أن إعلانا للحرب بين بريطانيا والدولة العثمانية لم يقع رسميًا، وليس هناك حاجة لعقد معاهدة تحالف بين البلدين. وإن مجرد انسحاب بريطانيا عن الإسكندرية كفيل بعودة العلاقات الطبيعية بين البلدين⁵.

3- العبيدي، المرجع السابق، ص 132

2- Shaw, Op. Cit, Vol 1. 275

3- أبو زيدون، وديع، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، (عمان، 2003)، ص 222.

4- Shaw, Op. Cit, Vol 1, p275

5- شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج 2، ص 829.

في غضون ذلك كانت العلاقات الفرنسية العثمانية تمر في ظروف حرجة، فُصمت نابليون وعدم ممارسته الضغط على الروس بالانسحاب من مقاطعتي الدانوب، والتوصل إلى معاهدة سلم قد أثار قلق الحكومة العثمانية التي اخبرت سبستيان ان فرنسا كانت السبب في اعلانها الحرب ضد روسيا¹.

كانت الظروف السياسية في إسطنبول مهية لإقدام بريطانيا على هكذا خطوة، بسبب خيبة الأمل العثمانية، بموقف فرنسا من مسألة الضغط على روسيا لإبرام اتفاقية سلم روسية-عثمانية، إذ فشل الاجتماع الذي ضمّ كل من السفير الروسي في باريس تولستوي Tolestwe والسفير العثماني فيها محب افندي وبواسطة وزير الخارجية الفرنسية شامبني Champany في الثالث والعشرين من ديسمبر 1808 ودون ان يمارس الفرنسيون أي ضغط عليه² الأمر الذي اثار امتعاض السلطان مصطفى الرابع ملقيًا باللائمة على فرنسا، وأعلن عن رفضه التنازل عن مقاطعتي والاشيا ومولدافيا لصالح روسيا واصفًا الرضوخ لذلك اذلالًا لدولته³.

ولأجل الاستفادة من هذه الظروف، ففي السادس والعشرين من جوان 1808 اجتمعت الحكومة البريطانية وقررت إرسال روبرت أداير R. Adair مفوضًا عنها للحكومة العثمانية، وحددت مهمته بالسعي لدى الحكومة العثمانية لمحاولة إحباط خطة نابليون لاستخدام الأراضي العثمانية كنقطة عبور وتحشد للقوات الفرنسية والروسية في حالة مهاجمة الهند البريطانية، وزودته بتعليمات مفادها بأن يوضح للعثمانيين أنه في حالة خضوعهم إلى الحلف الفرنسي-الروسي، فإن بريطانيا ستدعم الباشوات المتمردين على الحكومة العثمانية وفي مقدمتهم علي باشا والي يانيا، وستوفر له الحماية بأسطولها الحربي، وعلى أداير أن يوضح لهم ايضًا بأنه لا سبب يمنعهم من توقيع معاهدة سلم مع بريطانيا وهي التي لا تطلب شيئًا من السلطان العثماني سوى تجديد حلفه معها، وستكون الحكومة البريطانية مسرورة اذا وافق السلطان العثماني على ذلك، وسمح بعودة النشاط التجاري البريطاني إلى بلاده

1- Puryear, Op. Cit, p236- 237

2- Temperly, op, cit, p47.

3- العبيدي، المرجع السابق، ص135.

ومقابل ذلك تتعهد الحكومة البريطانية بحماية إسطنبول والمضائق بأسطولها الحربي من الروس والفرنسيين، ولتفعيل هذا المقترح يفضل ان يمنح العثمانيون حق التواجد العسكري لبريطانيا في احدى الجزر التي تشرف على المضائق كجزيرة خيوس Chios الصخرية أو ميلوس Milos في بحر إيجه، والأفضل في نظر الحكومة البريطانية ان تكون جزيرة كريت في البحر المتوسط لأنها من أكثر المراكز فعالية في إمكانية وقف نشاط القوة البحرية الروسية والفرنسية على حدّ سواء¹.

وصل روبرت أداير في نهاية سبتمبر إلى مضيق الدردنيل، وبعد مضي اسبوعين من الانتظار عند مدخل المضيق كانت الحكومة العثمانية مترددة خلالهما في الاتصال بأداير خشية إثارة فرنسا، بدأت مباحثات تمهيدية بين أداير وحقي باشا حاكم منطقة الدردنيل ممثلاً بموفد عنه، اعقبها اجتماع بين الحاكم العثماني والمفاوض البريطاني، وعندما وصلت اخبار تلك المباحثات إلى ميشيان قدم الأخير احتجاجاً إلى الحكومة العثمانية، وطلب توضيحاً لهذه التحركات، إلا ان الحكومة العثمانية نفت حصول اية مباحثات بينها وبين البريطانيين، وكبادرة حسن نية فقد اصدرت امراً بعزل حقي باشا الذي ابعد إلى كريت وعينت بدلاً عنه راغويل باشا حاكماً لمنطقة الدردنيل، والهدف من وراء تكتم الحكومة العثمانية على وجود تلك المفاوضات هو الخشية من إثارة فرنسا، لاسيما وأن المفاوضات البريطانية العثمانية لا زالت في بدايتها².

بدأ البريطانيون والعثمانيون مفاوضاتهم في منطقة الدردنيل في الحادي عشر من نوفمبر 1808 مثل الحكومة العثمانية فيها وحيد أفندي وراغويل باشا فيما مثل الحكومة البريطانية مبعوثها روبرت أداير واعقب ذلك اجتماع آخر في السادس والعشرين منه، غير ان الجانبين لم يتوصلا إلى أي اتفاق بسبب الأجواء السياسية المضطربة والناجمة عما عرف (بثورة القصر)، التي جاءت بمحمود الثاني (1808-1839) إلى العرش³.

1- Temperly, Op. Cit, p47.

2- Puryear, Op. Cit, PP. 356-357

3- إبراهيم أفندي، المرجع السابق، ص256-257.

فتم تعليق المفاوضات، إذ لم يكن السلطان الجديد قادرًا على ضبط الأمور، مما دفع أداير إلى ان يقدم للحكومة العثمانية تحذيرًا أوضح فيه قدرة الأسطول البريطاني على محاصرة العاصمة العثمانية، مما قد يعرض سكانها إلى مجاعة، وتزامن مع هذا التحذير اطلاع الباب العالي على تفاصيل ما دار في تيليست وإيرفورت بين ألكسندر ونابليون فضلًا عن تدخل النمسا بدور الوسيط بين الجانبين¹.

ويبدو أن التحذير البريطاني قد حفز السلطان محمود الثاني للعودة إلى المفاوضات مرة أخرى خشية التطورات التي ربما تحدث بسبب التقارب الفرنسي-الروسي، فتم استئناف المفاوضات التي ركزت على مسألتين أساسيتين الأولى تتعلق بالامتيازات البريطانية في الدولة العثمانية لاسيما موضوع التعريف الجمركية، والمسألة الثانية تتمثل برغبة بريطانيا في الحصول على حق مرور سفنها الحربية عبر المضائق العثمانية وخاصة تلك التي تقوم بنقل البريد الدبلوماسي، وقد حصل الاتفاق على المسألة الأولى بأن يتم منح التجار البريطانيين تسهيلات تجارية وكجمركية في الموانئ العثمانية، بينما ابدى العثمانيون معارضتهم للمسألة الثانية مع بعض المرونة في إمكانية منح بريطانيا أفضلية وبصورة مؤقتة حق استخدام السفن البريطانية للمضائق العثمانية، على أن تكون تلك الأفضلية مرهونة باستمرار التحالف الفرنسي الروسي، وسوف لن يكون لهذا السماح أي أثر فعلي في حالة التزام الدولة العثمانية جانب الحياد طبقًا للمصلحة العثمانية التي تقتضي إغلاق المضائق بوجه السفن الحربية للدول الأخرى طالما التزم العثمانيون جانب الحياد².

تمخض عن المفاوضات البريطانية-العثمانية التوقيع على معاهدة الدردنيل للسلم والتجارة في الخامس من ديسمبر 1809، وتألفت من إحدى عشرة مادة بالإضافة إلى أربعة بنود سرية وخاتمة، نصت المادة الأولى على وقف الأعمال الحربية بين بريطانيا والدولة العثمانية بمجرد التوقيع على المعاهدة، ويتم تبادل الأسرى بين الطرفين خلال شهر من التوقيع أو قبل ذلك إن كان ممكنًا.

1- Puryear, Op. Cit, P357

2- IBID, P. 359- 362.

وأعدت المادة الثانية جميع القلاع والسفن والأسلحة التي أستولى عليها البريطانيون إلى العثمانيين. أما المادة الثالثة فأكدت أن أي ممتلكات أو بضائع تخص التجار الإنكليز وضعت تحت يد الحكومة العثمانية يتم الإفراج عنها وتعاد إلى أصحابها والشيء نفسه في حالة وجود ممتلكات أو بضائع تخص رعايا الباب العالي، وجددت المادة الرابعة سريان معاهدات الامتياز المعقودة سابقاً بين الدولتين، واشترطت المادة الخامسة أنه في مقابل رعاية الباب العالي وحسن معاملته للتجار البريطانيين، فضلاً عن كل ما يتعلق بتقديم التسهيلات اللازمة في مجال النشاطات التجارية، فإن بريطانيا ستقدم كل الرعاية والمعاملة الودية لتجار الباب العالي الذين يتواجدون في ممتلكات صاحب الجلالة البريطانية للأغراض التجارية.

وحددت المادة السادسة الضريبة الجمركية المفروضة على البضائع البريطانية بنسبة لا تزيد على 3%، وأوضحت المادة السابعة ان سفراء صاحب الجلالة (ملك بريطانيا) يجب ان يعاملوا معاملة الشرف التي يتمتع بها سفراء الدول الأخرى في إسطنبول، وإن سفراء الحكومة العثمانية في لندن سيتمتعون بمعاملة الشرف نفسها، وأتاحت المادة الثامنة للحكومة العثمانية امكانية تعيين قناصل في مالطا وممتلكات صاحب الجلالة البريطانية لرعاية مصالح الباب العالي ويتمتعون بالامتيازات والإعفاءات نفسها الممنوحة للبريطانيين المقيمين في الممتلكات العثمانية، ونصت المادة التاسعة على عدم تعيين القناصل البريطانيين من الرعايا العثمانيين، وبينت المادة العاشرة ان الحماية البريطانية لا تضى على الأشخاص والتجار من رعايا الباب العالي، فيما أكدت المادة الحادية عشرة التزام البريطانيين بالقاعدة العثمانية التي تؤكد غلق المضائق بوجه سفن جميع الدول اذا كانت الدولة العثمانية ملتزمة جانب الحياد.

أما البنود السرية فقد نص البند الأول منها على أنه في حالة قيام فرنسا بإعلان الحرب على الباب العالي أو ممارسة أي تهديد تجاهه نتيجة عقد هذه المعاهدة، فإن بريطانيا تتعهد بتقديم المساعدة للدولة العثمانية، وتلتزم ببذل كل جهودها لتأمين حماية الجزر والموانئ التابعة له، وأكد البند الثاني التزام بريطانيا بتقديم الدعم العسكري للعثمانيين المتمثل بالمدافع والذخيرة وجميع

المعدات الحربية وأوصى البند الثالث بتقديم التعهدات جميعها التي تمت بين القادة البريطانيين والمفاوضين العثمانيين الخاصة بإخلاء الإسكندرية، إلى الحكومة العثمانية لغرض إقرارها والمصادقة عليها، فيما ورد في البند الرابع أنه في حالة إبرام اتفاق سلم بين بريطانيا وروسيا قبل أن يتم ذلك مع الدولة العثمانية، فإن ملك بريطانيا يلتزم ببذل المساعي الحميدة لأجل الوصول إلى اتفاق سلم مشرف بين الدولة العثمانية وروسيا، وأن يراعى فيه استقلال الدولة العثمانية والمحافظة على ممتلكاتها، أما خاتمة المعاهدة فقد وردت فيها توصية ببقاء البنود الأربعة السرية طي الكتمان على جميع الدوائر، وتضمنت التزام بريطانيا بتقديم ثلاثمائة الف جنيه استرليني للحكومة العثمانية على دفعتين وخلال ستة أشهر من بدء تبادل وثائق معاهدة السلم هذه، وذلك تأكيداً من ملك بريطانيا لصداقته مع الباب العالي¹.

وليس ثمة شك حول ما حققته بريطانيا بموجب المعاهدة من افضليات واضحة وملموسة في الدولة العثمانية، فقد فعلت من خلالها كافة المعاهدات المعقودة بين الدولتين سابقاً. واستعادت تبعاً لذلك امتيازاتها كافة في الدولة العثمانية، وهذا يعني أنها فتحت حلقة من حلقات الحصار القاري المفروضة عليها، باستئناف نشاطها التجاري في الدولة العثمانية²، وانها وبموجب المواد السرية الملحقة فقد نسجت حلفاً دفاعياً مع الدولة العثمانية، أمنت من خلاله على مصالحها ليس في الدولة العثمانية فحسب وإنما في الهند أيضاً من أي خطر قد يحدق بها جراء التقارب الفرنسي-الروسي³، وفضلاً عن ذلك فلما كانت المعاهدة قد نصت على غلق المضائق العثمانية بوجه السفن الحربية العائدة لجميع الدول، ولما كانت الدولة العثمانية قد سمحت للسفن البريطانية بالعبور طالما أن الحلف الروسي-الفرنسي قائم، فقد كانت بريطانيا هي المستفيد الوحيد من مسألة غلق المضائق، إما فيما يتعلق بالطرف المقابل فإن الدولة العثمانية وفي فترة أضحت فيها ملتقى السياسات الأوروبية آنذاك، فقد ضمنت بموجب المعاهدة حلفاً مع بريطانيا ازاح عنها وحدتها في مواجهة الحلف الفرنسي-

1- Hurewitz, *Diplomacy in the Near and Middle East*, Vol 1, p81- 84;

2- Howard, op, cit, p152

3- Hurwitz, *the Middle East and North Africa in word Politics*, PP. 1893

الروسي، وانها ولأول مرة (وبموجب المادة الحادية عشر من المعاهدة) ضمنت حقها بغلق المضائق باعتراف دولي¹ فأصبحت هذه المعاهدة أساسًا لمعاهدة لندن التي عقدت فيما بعد في الخامس عشر من جويلية 1840، التي أقرت فيها الدول الأخرى بالحق نفسه للدولة العثمانية².

تعد معاهدة الدردنيل معاهدة متكاملة، فبالإضافة إلى تغطيتها للنواحي السياسية فإنها غطت مسائل العلاقة التجارية بين الدولتين، وعلى نحو جعل نصوصها تكون جديرة بأن تصاغ في ضوءها نصوص المعاهدات اللاحقة بين الدولتين كمعاهدة بالطة ليمان Balta Liman المعقودة في السادس عشر من آب 1838³، ولأجل وضع بنود معاهدة الدردنيل موضع التطبيق العملي واستئناف العلاقات الطبيعية بين الدولتين، فقد أبحر روبرت أداير كسفير لبلاده من الدردنيل إلى إسطنبول على متن إحدى السفن الحربية البريطانية ووصل العاصمة العثمانية في الثاني عشر من ديسمبر 180⁴.

1- Shaw, Op. Cit, Vol 11, p13

2- البراوي، راشد، مجموعة الوثائق السياسية، ج1، المركز الدولي لمصر والسودان وقناة السويس مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، 1952، ص 17- 20.

3- Hurewitz, **Diplomacy in the Near and Middle East**, PP. 110- 111.

4- Puryear, Op. Cit, p 364

الفصل الثالث

العلاقات البريطانية الفرنسية مع الدولة العثمانية

في ظل الأزمات الدولية - المسألة الشرقية -

- ❖ المبحث الأول: ماهية المسألة الشرقية، وأهمية حرب اليونان في العلاقات الأوروبية العثمانية.
- ❖ المبحث الثاني: حرب محمد علي باشا على الدولة العثمانية وتعقيد المسألة الشرقية.
- ❖ المبحث الثالث: الموقف الفرنسي والبريطاني من التقارب العثماني الروسي.
- ❖ المبحث الرابع: حرب القرم.

المبحث الأول: ماهية المسألة الشرقية وأهمية حرب اليونان في العلاقات الأوروبية العثمانية:

1. مفهوم المسألة الشرقية:

عرف رجال السياسة وكبار الكتاب المسألة الشرقية بقولهم أنها نزاع شديد بين الأمة التركية والأمم التي تحت حكمها أو التي كانت تحت حكمها من جهة ودخول الدول العظمى في هذا النزاع لسد أطماعها وتحقيق أمالها المتناقضة من جهة أخرى.

وظهرت هذه المسألة في عالم الموجود بظهور الترك في أوروبا وتعقدت بدخول روسيا في مصاف الدول العظمى وإصرارها على حلها حلا يلائم مصلحتها، وكانت بروسيا أكبر مزاحمة لروسيا في أوروبا، وكانت النمسا أكبر مزاحمة لها في الشرق، فنشأ عن ذلك أن بروسيا جعلها تدخل في مسألة الشرق على قلة مصالحها فيه، رغبة في عرقلة مساعي روسيا، وإن سياسة النمسا الأوروبية كان محورها الشرق وغايتها جعله في أمان من روسيا جارحاً القوية.

وتعتبر المسألة الشرقية هي مصطلح عام يطلق على العلاقات السياسية بين بعض الدول الأوروبية والدولة العثمانية إبان القرنين (12هـ-19هـ) (18م-19م) وأوائل القرن العشرين (14هـ-20م) وهو يدل على ظهور بوادر اضمحلال الدولة العثمانية ودخولها مرحلة الضعف والانهيار وتقييم ممتلكات الرجل المريض¹.

وقد ظهر مصطلح المسألة الشرقية في مؤتمر فيرونا بإيطاليا الذي عق الدول الأوروبية في عام 1822م لتقرير مصير أملاك الدولة العثمانية في الشرق وكذلك بعد شق قناة السويس 1869م والذي أصبحت معه القناة بعد ذلك رقماً جديداً في التنافس الاستعماري بين فرنسا وبريطانيا على الأرض الإقليم بعد إن أدرك البريطانيون أهميتها في الدفاع عن الهند والاتصال بها²، وعرفها عبد الرؤوف سنو أنها تشمل جميع المشكلات التي ارتبطت بانحيار الدولة العثمانية داخل وثورات

1- فاطمة بوجلطي، إنعكاسات الامتيازات الأجنبية علي بلاد الشام القرن 19م، مرجع السابق، ص28.

2- يحي الكعكي، الشرق الاوسط وصراع العولمة، دار النهضة، بيروت، 2002، ص ص122-123.

الشعوب المحكومة منها وأخيرا المصالح المتشابكة والمتضاربة للدول الأوروبية في الإمبراطور العثمانية وتدخل الدول في عملية الانهيار العثماني¹.

2. المسألة الشرقية في القرن (19م):

يتطابق ما نسميه بالمسألة الشرقية مع جملة من الوقائع والتي تدور بين الفترة الممتدة ما بين 1774م و1923م وتتلخص السمتان الأساسيتان لهاته الوقائع في التمزق التدريجي للإمبراطورية العثمانية وتنافس الدول العظمي بهدف فرض سيطرتها ونفوذها على أوروبا البلقانية².

فمنذ أواخر القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر بدأ الضعف والانحلال بنهش كيان الدولة العثمانية فأخذت دويلات البلقان التي خضعت لحكمها تتطلع إلى الخلاص من الحكم التركي والي الاستقلال كما تحركت مطامع الدول الأوروبية لتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية فيما بينها³.

وقد شغلت الدولة العثمانية وبصفة عامة أو المسألة الشرقية بصفة خاصة أذهان السياسة في أوروبا وذلك راجع إلى الوضع الذي ألت إليه وبذلك بدأوا التفكير في مصير هذه الدولة ومصير أملاكها، فتنافست الدول الأوروبية للظفر بأكبر قدر ممكن من تركة الدولة، واستند التنافس أكثر مع بدايات القرن التاسع عشر حيث اتفق الكتاب والسياسيون على تعريف المسألة الشرقية على أنها: هي مسألة النزاع القائم بين بعض الدول الأوروبية وبين الدولة العثمانية بشأن البلاد الواقعة تحت سلطاتها⁴.

1- عبد الرؤوف سنو، العلاقات الروسية العثمانية (1687-1878 م) سياسة الاندفاع نحو المياه الدافئة، ح1، مجلة تاريخ

العرب والعالم، ع 73-74، بيروت، 1984م، ص 1.

2- مصطفى كامل، المرجع سابق، ص 9.

3- محمد محمود السروجي، المرجع سابق، ص 9.

4- أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 28. مصطفى كامل، المرجع السابق، ص 10.

فالمسألة الشرقية مدية بوجودها إلى عوامل ثلاثة تكاتف لإبرازها على النحو الذي ظهرت به ويمكن تلخيص تلك العوامل فيما يلي: ضعف الدولة العثمانية وظهور الحركات القومية في دويلات البلقان الخاضعة لحكم العثمانية وطمع الدول الأوروبية في ممتلكات الدولة العثمانية ومحاولتها استغلال الحركات القومية لخدمة مصالحها¹.

وبحلول 1775 ثارت المسألة الشرقية وبدأت الاضطرابات في البلقان ضد الحكم العثماني². بثورة البوسنة والهرسك وكانت روسيا تؤيد تلك الثورة، أما ألمانيا فكانت تفضل سياسة التعاون مع غير عامة الدول لحل النزاع بالطرق السلمية³.

ومن بين أهم الدول الأوروبية الأكثر اهتماما لمصير الدولة العثمانية نجد كل من بريطانيا التي أرادت تأمين طرق مواصلاتها إلى الشرق الأقصى والهند خصوصا وتأمين تجارتها معها سواء عن طريق السويس أو البحر الأحمر بالإضافة إلى روسيا القيصرية التي أرادت أن نجد لها منفذا من البحر الأسود إلى المياه الدافئة بالبحر الأبيض المتوسط، وذلك بالاستيلاء على القسطنطينية ومضائق البوسفور والدرديل والتي أرادت كذلك أن تكون لها النفوذ الأكبر في شبه جزيرة البلقان، ونجد أيضا فرنسا من بين الدول المتنافسة على أملاك الدولة العثمانية، حيث أخذت الأخيرة على عاتقها ومنذ زمن مبكر حماية مصالح رعايا الدولة النصارى الكاثوليك في بلاد الشام بصفة عامة، والمارونيين على وجه الخصوص في لبنان والتي أرادت رعاية مصالحها في المنطقة نع استغلال نفوذها في أملاك الدولة الأخرى في الساحل الشمالي الإفريقي وبالتحديد في تونس والجزائر وفيما عهدها الدول الثلاثة سالفة الذكر فان دول أخرى مثل النمسا وبروسيا اهتمت بمصير الدولة العثمانية التي بات من المتوقع هلاكها فسميت بالرجل المريض⁴.

1- مُجَّد محمود السروجي، المرجع السابق، ص 11.

2- إسماعيل أحمد باغي، المرجع السابق، ص 143.

3- مُجَّد محمود صالح، تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر، (د.ط)، (د.م)، (د.ت)، ص 196.

4- إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 143-144.

3. الثورة اليونانية في قلب المسألة الشرقية:

قام أهل اليونان من غالبية نصارى الارثودوكس بثورة ضد الدولة العثمانية بتحريض من روسيا والنمسا فكلف السلطان محمود الثاني مُجَّد علي باشا والي مصر بإخضاع اليونان وأصدر السلطان أسرا يعين مُجَّد علي باشا واليا على شبه جزيرة المورة من بلاد اليونان وجزيرة كريت حيث تعتبر هاتان المنطقتان مركز الثورة اليونانية¹.

كانت ثورة اليونان التي نشبت في عام 1821م في شبه جزيرة المورة قد اتخذت لها طابع ديني وقومي ومن بين أهم الأسباب هذه الثورة نذكر:

- رغبة مسيحي اليونان في التحرر ولاستقلال من الحكم العثماني والإسلامي.
- الاستياء من ظلم وقسوة الحكام اليونانيين ومن الضرائب الباطنية المفروضة عليهم والحماية القاسية.
- ازدياد الوعي القومي لدى اليونانيين أدى إلى ظهور جمعيات قومية ساعدت في انتشار الوعي والثقافة بين اليونانيين وتأثرهم بالثورة الفرنسية بالإضافة إلى دعم روسيا المادي والمعنوي لليونانيين وتحريضهم للثورة ضد الدولة العثمانية².

أ- سير الثورة:

استغل اليونانيون ضعف الدولة العثمانية فثاروا ضد حكمها وحقق الثوار مكاسب سرية في بداية الثورة بحيث امتدت ثورتهم إلى معظم الجزر اليونانية³، وبسبب ضعف الدولة العثمانية من الناحية العسكرية طلب السلطان العثماني محمود الثاني من الوالي مُجَّد علي المساعدة في الإخماد الثورة فاستجاب هذه الأخير له مقابل منحه جزيرة كريت، وجهاز مُجَّد علي جيشه بقيادة ابنه إبراهيم متوجها لإخماد ثورة اليونان وبحلول 1824 نزلت القوات المصرية بقيادة إبراهيم باشا في الجزر اليونانية وتقدمت بسرعة داخل اليونان مستخدمة أساليب قمعية الإخماد الثورة ونجح في ذلك.

1- محمود شاكر، المرجع السابق، ص 166.

2- أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 204.

3- مصطفى كامل، المرجع السابق، ص 40.

فقد سارت جيوش مُحمَّد علي باشا يحدا من الإسكندرية بقيادة ابنه إبراهيم باشا وانطلق إلى شبه جزيرة مورة وسيطر عليها واستطاع إبراهيم باشا أن يحرر النصر لفتح مدينة نافارين عام 1240هـ/ 1840م وأن يدخل العثمانيون آسيا عام (1241هـ/ 1826م) ثم تدخلت الدول الأوروبية بحجة حماية اليونان بشكل ظاهر وحقد صليبي واضح، وعقد صلح مع الدولة العثمانية عام 1242هـ/ 1826م غير أنه قتال ما لبث أن يجدد بسبب رفض الدولة العثمانية تدخل هذه الدول في شؤونها الداخلية¹ كما طلبت الدول الأوروبية من إبراهيم باشا التوقف عن القتال لكنه قابل طلبها بالرفض.

ب- مواقف الدول الأوروبية من ثورة اليونان؛

بريطانيا: أبدوا تعاطفهم مع اليونانيين وأيدوا المطالب اليونانية، إلا أن بريطانيا تخوفت من إن تستغل، والثورة التدخل في شؤون الدولة العثمانية فعلى اثر ذلك عملت بريطانيا على سحب القوات المصرية من اليونان.

روسيا: أيدت روسيا الثورة اليونانية وقدمت المساعدات العسكرية والمادية لليونانيين خلال الثورة، وبعد إخمادها على يد إبراهيم باشا صدقت روسيا بإعلان الحرب على الدولة العثمانية وحليفها مُحمَّد علي².

فرنسا: كان موقفها غامض من الثورة اليونانية وكانت تحشي من روسيا أن تستغل الثورة لتحقيق مطامعها في اليونان.

وعلى إثر ذلك تعاونت كل من روسيا وفرنسا من أجل تهدئة الأوضاع وإخراج قوات مُحمَّد علي من اليونان وفي 1827م أنذرت الدول الثلاث السلطات العثمانية بسحب قواته من اليونان لكنه قابلهم بالفرض، وفشلت بريطانيا في إقناع مُحمَّد علي على سحب قواته من اليونان، وبذلك هاجمت الدول الأوروبية الأسطول العثماني والمصري ووقعت بينهما معركة نفارينو البحرية بين

1- أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 188.

2- نفسه، ص 42.

الأسطول العثماني والمصري،¹ وقد واجهت الدولة العثمانية تحدياً كبيراً من الدول الأجنبية خاصة روسيا التي أعلنت الحرب عليها واحتلت البغدان والأفلاق وعينت حكاماً من قبلها واحتلت قارص وأدرنة من الأناضول وكانت الدول الأوروبية تخشى من روسيا أن تمثل إسطنبول لما في ذلك من لمقادير لمصالحها الخاصة فتصدت لروسيا ووقفت في وجهها، بعد ذلك وافق محمد علي على سحب قواته من اليونان وبذلك انتهت الحرب بين الدول الأوروبية والدولة العثمانية باتفاقية عرفت باتفاقية أدرنة عام 1829م ونصت على ما يلي:

- اعتراف السلطات العثمانية بالاستقلال الذاتي لليونان.
- سحب القوات العثمانية والمصرية من اليونان.
- عدم تدخل الدول الأوروبية في شؤون الدولة العثمانية، ومن أهم موادها إعادة الأفلاق والبغدان والبلغار والبلقان وقارص وأرضروم إلى الدولة العثمانية ويعد نهر بروث الحد الفاصل بين الدولتين وبهذا تكون الملاحة في نهر الدانوب من حق الدولتين بالإضافة لحرية الملاحة الروسية في البحر الأسود وعودة الامتيازات القنصلية.²

ج- نتائج وآثار ثورة اليونان:

- أظهرت الثورة مدى الضعف والانحطاط الذي آلت إليه الدولة العثمانية التي خسرت سلطاتها الفعلية على اليونان.
- خسارة محمد علي الأسطول البحري وضياع الأموال ومقتل عدد كبير من جنوده ومن جهة أخرى أظهرت الثورة قوة محمد علي مقابل ضعف الدولة.
- ساهمت الثورة في قيام محمد علي بحملة عسكرية على بلاد الشام وتوسع مناطق نفوذه على حساب الدولة العثمانية.

1- أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 130.

2- نفسه، ص 275-280.

المبحث الثاني: حرب محمد علي باشا على الدولة العثمانية وتعقيد المسألة الشرقية:

1. أسباب المواجهة:

وجه مُحمَّد علي باشا أنظاره إلى بلاد الشام سنة 1831-1236م ولو أن هذه الفكرة راودته سنه 1225هـ/ 1810م قبل توجهه إلى الحجاز لإخماد الثورة الوهابية 1226-1233هـ/ 1811-1818م، إذا طلب من سلطان العثماني عزل والي الشام وإسنادها إلى صديق له بحجة أن ذلك **ساعده علي** انجاز مهمته في الحجاز فلما تمَّ رفض طلبه بضم الضام بكاملها إليه¹، وكان السبب تحطم أسطول البحري في معركة نافارين 1242هـ/ 1827م وتراجع السلطان عن وعده الأثر البالغ يتطلع إلى ضمِّ بلاد الشام إليه ومرد ذلك توفر مجموعة من الأسباب منها:

- شعور مُحمَّد علي باشا بأنه يستحق مكافأة بعد أن قدمه للسلطان من مساعدات في إخماد التمردات الداخلية ورغبته في إقامة منطقة عازلة بين قلب أملاكه في واد النيل ومركز الدولة العثمانية في الأناضول²، إذا يستطيع أن يرد أي عدوان عثماني يهدف إلى أنزاع مصر منه ويعطيها الأمن والاستقرار، وقد كانت الدولة العثمانية تشهد ضعفا لذا رغب في ملا الفراغ الذي نشأ عن اضمحلال أملاكها بالدخول في توازن دبلوماسي بين إنجلترا وفرنسا بضرب كل منهما للآخر³.

- رغبة مُحمَّد علي باشا في استغلال موارد الشام خاصة وان مصر كانت تشهد صناعة استدعت البحث عن المواد الخام كالفحم الحجر والمعادن والي بجلبها من جبل لبنان وعنى المنطقة بالخشب ذو النوعية الجيدة الذي تحطم في معركة نافارين 1242هـ/ 1827م، توفر المنطقة على

1- عائض بن حزام الروقي، حروب مُحمَّد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية 1247-1255هـ/ 1831-1839م)، مطابع جامعة ام القرى، الرياض، 1998م، ص 175.

2- عبد الرحمن الراجعي، عصر مُحمَّد علي، ط5، دار المعارف، القاهرة 1989م، ص ص 217-218.

3- خالد فهمي، كل الرجال الباشا مُحمَّد علي وجيشه وبناء مصر حديثة، تر شريف يونس، ط1، القاهرة، 2001م، ص 69.

منتجات غنية كالحزير والزيتون والصابون والجلود والخيول وتوفرها على منتجات آسيا الوسطى والشرق الأقصى لذا عهد إلى إتباع سياسة الاحتكار للتحكم في التجارة.¹

- رغبته الملحة في ضمّ المزيد من البلاد العربية تتطلب حصوله على المزيد من الجنود ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بضم الشام إليه وتجنيد شبابها في صفوف جيشه.

- إضافة إلى القيمة الدينية والثقافية للشام إذ أنها تضم القدس الشريف ودمشق التي تمثل أبرز المراكز القيادية للثقافة الإسلامية جعلته يلجأ بجمع القاهرة ببلاد الشام.²

كل هذه الأسباب جعلت من مُحمَّد علي يوجه أنظاره إلى الشام رافضا التوجه نحو الجزائر بطلب من القنصل الفرنسي، خوفا من خلع السلطات له وتوسع النفوذ الفرنسي إلى شرق البحر الأبيض المتوسط³، ولقد اختار سنة 1246هـ/ 1831م كبداية الانجاز مشروعة لأن الظروف السياسية في هذا الوقت وضعت الدولة العثمانية والنظام الأوربي بأكمله في موقف ضعيف، بينما كانت الدولة العثمانية في غاية الضعف بسبب عملية الإصلاح التي طالت الجيش التي اقتضت من السلطان محمود الثاني القيام بإبادة العساكر الانكشارية والفتك بهم عام 1241هـ/ 1826م إضافة إلى فقدانها الجزء الأكبر من جيشها في حربها مع روسيا سنة 1243هـ/ 1828م وخسارتها لليونان⁴.

بينما ساعد عدم تجانس النظام الأوربي بسبب انقسامه إلى فريقين لكل منهما توجهاته المختلفة، أدى بهم إلى عدم الاتفاق على إيجاد حل لقضية مُحمَّد علي في الشام إلى وجود حليف

1- عمر الإسكندري وآخرون، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة 1996م، ص 173. مُحمَّد عبد الستار البدري، المواجهة المصرية الأوروبية في عهد مُحمَّد علي، ط1، دار الشروق، مصر، 2001، ص 102.

2- لطيفة مُحمَّد سالم، المرجع السابق، ص22.

3- عمر الإسكندري وآخرون، المرجع السابق، ص173.

4- مُحمَّد عبد الستار البدري، المواجهة المصرية الأوروبية في عهد مُحمَّد علي، ط1، دار الشروق، مصر، 2001م، ص102.

أوروبي قوى، كفرنسا إلى جانبه في حين كانت بريطانيا منشغلة بالحروب البلجيكية والثورة البرتغالية¹. أما روسيا فقط كانت منشغلة بثورة بولندا².

مع توفر هذه الظروف لم يبقي إمام مُجَّد علي سوى البحث عن ذريعة لبدء نشر قواته في الشام، مستغلا خلافاته مع والي عكا عبد الله باشا بسبب إيواؤه لستة آلاف فلاح مصري فارين من الخدمة العسكرية حيث رفض هذا الأخير تسليمهم فما كان عليه سوى توجيه حملته نحو الشام بقيادة ابنه إبراهيم باشا³.

2. سير حملات محمد علي باشا:

أ. حملة الشام الأولى:

هيئاً مُجَّد علي باشا حملته للزحف نحو سوريا بعد أن نجح في كسب صداقة فرنسا⁴، كما أن تحالفه مع الأمير بشير الشهابي أمير لبنان مهد له السبيل إلى تحقيق أمنيته⁵، وقدم أتباعه لمحمد علي خدمات جليلة في أثناء تقدم الحملة⁶، وقد أعد مُجَّد علي باشا حملة برية وبحرية في تشرين الأول 1831م، وجعل على قيادتها ابنه إبراهيم باشا⁷ بجيش قوامه 25 ألف مقاتل، في 29 أكتوبر 1831م وبعد ذلك بدأ الجيش يتحرك وكان متجها إلى الشام عن طريق البر والبحر في وقت واحد وكأنه بذلك يريد حصار عكا من الجهتين إلى الشام قبل أن يأتيها المدد واستمرت القوات البرية في

1- مُجَّد عبد الستار البدري، المرجع السابق، ص 103.

2- عمر السكندري وآخرون، المرجع السابق، ص 172.

3- أنيل ألكسندر روفادولينا، الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر، مُجَّد إبراهيم المعهد الاعلى، (د.م)، 1999، ص 30.

4- مُجَّد جميل بيهم، الحلقة المعقودة في تاريخ العرب، ط1، (د.م)، 1993م، ص 59.

5- المسعودي، الدولة العثمانية في لبنان وسورية حكم أربعة قرون 1517، (د.ط)، (د.م)، 1916، ص 62

6- عائض بن حزام الروقي، المرجع السابق، ص 45.

7- إبراهيم باشا: 1789-1848م قائد مصر الابن الأكبر لمحمد علي باشا عينه والده قائدا للحملة ضد الوهابيين 1848م وَاخمد ثورة اليونان 1825م ووصل إلى كوتاهية 1832 عين كئائب عن أبيه في حكم مصر ينظر: الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج12، دار النهضة، بيروت، 1998م، ص 120.

السيطرة على المدن الواحدة تلو الأخرى حتى التقت مع القوات البحرية وضربت الحصار حول مدينة عكا من البر والبحر في 26 نوفمبر 1831م¹.

في نفس الوقت بعث إبراهيم برسالة إلى الأمير بشير الشهابي يلومه على سلبيته ووقوفه موقف المتفرج موقف المتفرج ويجبر على اتخاذ الموقف الصحيح إن لم يمثل لأوامره فسوف يرسل له جيشا يححو به أثر جبل الدروز².

سارع الأمير بشير الشهابي بالانخراط هو ورجاله في ورجاله في ورجاله في قوات إبراهيم باشا مما أكسبها قوة واستمرت القوات المصرية في حصار عكا وضرب أسوارها بالمدافع حتى تصعدت وتلاحمت القوات العثمانية تحت قيادة عبد الله باشا مع القوات المصرية واستمر ذلك حتى المساء وأبدى الفريقان شجاعة كبيرة وعظمت خسائر الحامية العثمانية وكلت مواصلة الحرب، فعرض عبد الله باشا التسليم وسلم المدينة³، وبذلك انتهى حصار عكا بتسليمها للجيش المصري في 27 ماي 1832م بعد حصار استمر سبعة أشهر ونقل عبد الله باشا وأسرته إلى مصر مكرماً⁴.

كان الباب العالي قد اضطرب عند سماعه زحف الجيش المصري نحو الشام، وطلب من محمد علي باشا التوقف عن هذه الحرب وتقديم طلباته للسلطان ليحكم فيما بينه وبين والي عكا بالطرق السلمية ولكنه لم يستجيب لذلك إلا بعد أن احتل القسم الجنوبي وطالب إقطاعه ولايتي عكا ودمشق⁵، عندها غضب السلطان أصدر فرمانا بعصيان محمد علي باشا وابنه بناء على فتوى من شيخ الإسلام وجرّد محمد علي باشا وابنه من جميع الرتب والمناصب الديوانية⁶.

1- لطيفة محمد سالم، المرجع السابق، ص41.

2- نفسه، ص45.

3 عبد الرحمان الراجعي، عصر محمد علي، ط5، القاهرة 1989م، ص227.

4 قسطنطين بازيللي، سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، (د.ط)، (د.د)، موسكو، 1989م، ص121.

5- عائض بن حزام الروقي، المصدر السابق، ص80.

6- محمد عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص411، 412.

ثم اصدر السلطان أمرا إلى والي حلب عثمان باشا بتجهيز الجيش وإيقاف إبراهيم باشا عند حده قبل سقوط عكا فانبرى له الأمير خليل بن الأمير بشير الشهابي وباغته قبل أن يصل إلى عكا المحاصرة وورده على أعقابه¹، فأرسل السلطان حسين باشا على رأس جيوش أخرى لمحاربة الجيش المصري²، الذي كان منشغلا بالسيطرة على دمشق في 15 جوان 1832م بينما كان الأسطول البحري يدخل مدن السواحل الشامية كاللاذقية وبيروت، وصيدا، ثم سار إبراهيم باشا بجيوشه وإلتقى بمقدمة جيوش حسين باشا عند مدينة حمص وأنتصر عليها ثم دخل مدينة حلب في جويلية 1832م³.

ولما علم حسين باشا بإهزام مقدمة الجيوش في حمص، وسقوط مدينة حلب تقهقر إلى الخلف وتحصن في مضيق بيلان⁴ بجبال طوروس⁵ حتى يستطيع تنظيم صفوف جيشه إلا أن إبراهيم باشا استطاع حسم الموقف لصالحه في 29 جويلية عندها عاد حسين باشا إلى الورا متخليا بذلك عن أهم المواقع الاستراتيجية للسيطرة على شمالي سوريا⁶.

بذلك فتح الباب أمام جيوش إبراهيم باشا للسيطرة على آسيا الصغرى عند ذلك دعت الدولة العثمانية أعظم قادتها وأمهرهم الصدر الأعظم رشيد باشا وأسندت إليه قيادة الجيش العثماني لصد جيش إبراهيم باشا⁷، بعد أن تأهب الجيشان تقدم الجيش العثماني وعسكر أمام الجيش المصري فمكث في مكانه لا يبدي حراكا وكان الضباب الكثيف الذي كان كثير الانتشار

1- المسعودي، المصدر السابق، ص63.

2- مُجَّد التونخي، بلاد الشام إبان العهد العثماني، (د.ط)، (د.د)، بيروت، 2004م، ص61.

3- مُجَّد كامل الدسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، (د.ط)، مطبعة القاهرة، القاهرة 1976م، ص165.

4- بيلان: تقع مدينة بيلان جنوبي الإسكندرية وشمالي المضيق والجبل المعروفين لاسمها ويصل إليها طريقان طريق كليس وطريق من انطاكية. أنظر: عبد الرحمان الرافي، المرجع السابق، ص273.

5- طوروس: هي سلسلة جبلية تقع جنوب شرق منطقة الأناضول التركية ينظر: الشويحات مهدي مُجَّد، الموسوعة العربية العالمية، ج19، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض 1999م، ص240.

6- علي حسون، المرجع السابق، ص88.

7- لطيفة مُجَّد سالم، المرجع السابق، ص51.

في بلاد الأناضول مخفياً كلا منهما عن عين الآخر ولذلك لم يبدأ إبراهيم باشا بالضرب كي لا يعرف العدو مكانه أما رشيد باشا فمجرد وصوله لمسافة 400 متر من الجيش المصري ابتداءً بإطلاق النار فعلم إبراهيم باشا ترتيب الجيش العثماني ثم شاهد أن المشاة العثمانية انفصلت بسبب الضباب عن الفرسان فأمر المشاة المصرية بالدخول بين الفريقين ليستحيل اجتماعهما، والرجوع إلى ما كانا عليه من إلتئام، ولقد أوقعت هذه الحركة الرعب والفرع في قلوب العثمانيين إلى أن أجابته فرقة الخيالة المصرية وأعلمت على الفرسان السيف فبددت شملهم ووجهت المدفعية المصرية نارها على المشاة العثمانيين فحصدتهم حصداً ولما رأى رشيد باشا أن لا مناص من الهزيمة اجتهد أن يستجمع جناح جيشه الأيسر فلم يفلح ووقع أسيراً قائلهم ولوا الأدبار وبذلك انتهت واقعة قونية الفاصلة في 21 نوفمبر 1832م¹.

لقد فتح الانتصار في معركة قونية أبواب إسطنبول عاصمة الدولة العثمانية أمام جيوش محمد علي باشا وبالتالي فتحت أمام أخطار الدول الأوروبية². التي انتهزت هذه الفرصة لتحقيق أهدافها من خلال الظروف السيئة التي عصفت بالدولة العثمانية حيث احتل إبراهيم باشا كوتاهية في أوائل سنة 1833م والتي تبعد 150 ميلاً عن إسطنبول³.

تدخلت روسيا محاولة سد تلك الأبواب بوجه جيش إبراهيم باشا إلا إن الدول الأوروبية عدت تدخل روسيا اشد خطر عليها من محمد علي باشا لذلك أسرع إلى توحيد كلمتها بضرورة حماية الدول العثمانية وإعلان الحرب على إبراهيم باشا في البر والبحر حتى يوقف زحف قواته تجاه إسطنبول⁴.

1- سليمان بن محمد الغانم، قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية 1811م- 1840 في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا، ط1، مطبعة الكتب، رياض 1980م، ص89.

2- عمر الإسكندري وآخرون، المرجع السابق، ص178.

3- عبد الرحمن الرفاعي، المرجع السابق، ص255.

4- نفسه، ص255.

3. الردود الدولية على حملة محمد علي باشا:

أ. الدولة العثمانية:

كان وضع الدولة العثمانية محرجا وحاوله في باري الأمر التوفيق بين مُحمَّد علي باشا ووالي عكا لكنها فشلت ومع رغبة وإيها في الاستيلاء على الشام وإصرار السلطان على رفض طلبه حيث قام هذا الأخير بإصدار أمر في أول من ذي الحجة 1247هـ / 7 ماي 1832م يقضي بعزل مُحمَّد علي باشا عن الديار المصرية وجزيرة كريت¹، لكن إبراهيم باشا واصل زحفه باتجاه الشمال.

ب. الدول الأوروبية:

على ضوء الهزائم التي مني بها السلطان العثماني لجأ إلى طلب المساعدة من فرنسا، وبريطانيا لكنهما تجاهلنا طلبه، في بريطانيا خلال هذه الفترة تخلت مؤقتا عن سياستها التقليدية الراحية لحماية الدولة العثمانية الأسباب تتعلق بأزمة الثورة البلجيكية والبرتغالية.

علي عكس الموقف البريطاني فان الدبلوماسية الفرنسية قررت العمل على احتواء الأزمة بين السلطان ومُحمَّد علي المصري حيث حاولت من خلال سياستها الحفاظ على الدولة العثمانية من جهة ومساندة حليفها من جهة أخرى، وكان العامل الأساسي الذي شجعها على ذلك هو إن مُحمَّد علي لم يكن هدفة وراثته الدولة العثمانية ولكن الاحتفاظ بالشام فقط².

إما بالنسبة للنمسا فقد عملت على تأييد الدولة العثمانية فقد حاولت إيجاد حل لهذا النزاع بأية وسيلة حتى وان كان على حساب الإذعان لمطالب مُحمَّد علي وهو ما أكدته مترنيخ³ للمبعوث العثماني نامق باشا حيث أوضح له بعدم شرعية حكم مُحمَّد علي من الأساس، ولكن هذا لا يمنع من منحه التام وإنهاء الخلاف فورا⁴.

1- عمر السكندري وآخرون، المرجع السابق، ص 174.

2- مُحمَّد عبد الستار البدري، المواجهة المصرية الأوروبية في عهد مُحمَّد علي، ط 1 دار الشروق مصر، 2001، ص 106.

3- مترنيخ (1773-1859م): سياسي نساوي شغل منصب سفير لبلاده في بروسي 1806م صار وزيرا للخارجية 1809 ينظر: علي المولا، مرجع سابق، ص 107.

4- مُحمَّد عبد الستار البدري، مرجع سابق، ص 107.

ولم يكن إمام السلطان العثماني سوى اللجوء إلى روسيا التي سارعت لتلبية طلبه بإرسالها لجيش قوامه 30 ألف جندي للدفاع عن العاصمة العثمانية حيث تمّ عبوره مضيق البوسفور والدرديل في 01 شوال 1248هـ/ 20 فيفري 1833م¹.

لهذا السبب استشعرت الدول الأوروبية على رأسها فرنسا وبريطانيا وخطر التواجد الروسي فكان لزاما عليها كبح طموح محمد علي من خلال إرسالهم لرسول للتفاوض معه، كما قام السلطان بإرسال مندوب عنه خليل باشا لمفاوضته وحسم الخلاف وديا، لكن والي مصر أصر على موقفه، كما قامت فرنسا بإرسال سكرتير السفارة الفرنسية بالدولة العثمانية مع رشيد بك إلى إبراهيم باشا وبعد مفاوضات دامت أربعة أيام تمّ الاتفاق على توقيع معاهدة كوتاهية في 19 ذي القعدة 1248هـ/ أبريل 1833 التي نصت على:

- تثبيت محمد علي باشا على مصر مدى الحياة ومنحه ولأبنائه الشام وجزيرة كريت.

- تعيين إبراهيم باشا كوالي على إقليم أضنة².

في بادئ الأمر رفض السلطان العثماني منح محمد علي باشا إقليم أضنة حيث أرسل مكتوبا له مع الصدر الأعظم متعمدا عدم ذكر إقليم أضنة مما أدى إلى رفض محمد علي لهذا المكتوب واعتباره خرقا لصلح كوتاهية ليقوم إبراهيم باشا بالزحف نحو الأراضي العثمانية فأجبر السلطان على التنازل عن هذا الإقليم بإصداره في 20 محرم 1249هـ/ 06 جوان 1833 الذي نص على:

- تثبيت محمد علي باشا على حكم مصر وكريت.

- إسناد ولاية سوريا والحجار إليه.

1- سليمان بن محمد الغنام، قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية 1811-1840م في الجزيرة العربية والسودان واليونان

وسوريا، ط1، مطبعة الكتب، رياض، 1980، ص 92.

2- عبد الرحمن الراجعي، المرجع السابق، ص 253.

وما يستنتج من هذه الاتفاقية ليست صلحا حقيقيا بقدر ما هي هدنة مؤقتة بين الطرفين فمحمد علي رغم انتصارات جيوشه الساحقة إلا ان السلطان وجد نفسه مرغما أمام انهيار جيشه لقبول هذا فقد كانت له فرصة الإعادة تحضير جيشه استعداد لمواجهة مُحمَّد علي باشا مرة أخرى¹.

4. نتائج حملة محمد علي بسوريا:

- ساهمت الحملة المصرية على بلاد الشام في إظهار مدى قوة بريطانيا فبهذا تعتبر النتائج النهائية لهذه الحملة نصر كبير لبريطانيا لأنها نجحت في إلغاء معاهدة خنكار إسكله سي ونجحت كذلك في إخراج مُحمَّد علي من سوريا.
- نجحت بريطانيا في الحفاظ على سلامة ووحدة الدولة العثمانية والحفاظ على مصالحها في الدولة العثمانية.
- عكست هذه الأزمة مدى ضعف الدولة العثمانية.

1- مُحمَّد عبد الفتاح أبو الفضل، الصحوة المصرية في عهد مُحمَّد علي، (د.ط)، القاهرة، 98، ص 188.

المبحث الثاني: موقف بريطانيا وفرنسا من التقارب الروسي-العثماني خلال القرن 19م:

1. أسباب التقارب الروسي العثماني:

كانت سياسة روسيا خلال القرن (12هـ/ 18م) وأوائل القرن (13هـ/ 19م) تعمل على انحلال الدولة العثمانية ويظهر ذلك بمساندتها لليونانيين في حربهم ضد الدولة العثمانية من خلال تكتلها مع القوى الكبرى وتحطيم الأسطول العثماني المصري في معركة نافرين 1242هـ/ 1827م إضافة إلى إعلانها الحرب عليها من 1243هـ/ 1828م التي انتهت بعقد معاهدة أدرنة 1244هـ/ 1829م حيث نصت على: إعطاء امتيازات لروسيا في الدانوب ومنع أي تدخل خارجي في شؤونها¹.

لكن هذه السياسة ما فتأت أن تغيرت بمجيء القيصر الروسي نيقولا الأول (1796-1855م)²، الذي كان يرى أن طرد العثمانيين من أوروبا سيجعلهم يتمركزون في آسيا الصغرى وتهديدهم لروسيا والقوقاز كما أن العمل على تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية يمنح الدول الكبرى نصيب كبير من الأراضي الروسية فمن مصلحتها الحفاظ على جار ضعيف ألا وهو الدولة العثمانية خير من جيران أقوياء يهددونهم في أي وقت، وعلى هذا الأساس عملت روسيا على تأييد الدولة العثمانية في أصعب مواقفها مع واليها المتمرد الذي وصل إلى حدود عاصمتها ومع يئس السلطان من الحصول على الدعم البريطاني والفرنسي، قررت روسيا استغلال الموقف الدولي لصالحها إذ قامت بتحريك دبلوماسي منفرد من خلال إرسال قادتتها في (1249هـ/ 13 جانفي 1883) كل من إسطنبول والإسكندرية ليعرض مساعدته على السلطان وإقناع محمد علي بالتوقف عن زحفه نحو إسطنبول³.

1- محمد مصطفى صفوت، محاضرات في المسألة الشرقية ومؤتمر باريس، (د.ط)، معهد الدراسات العالية، القاهرة، 1958.

2- نيقولا الأول 1796-1855: اعتلى على العرش 1825م وقع معاهدة ادرنة مع الدولة العثمانية قام بقمع انتفاضة في بولندا. انظر: مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، (د.ط)، ج8، مؤسسة متياد، لبنان 1997م، ص 225.

3- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 357.

ففي بداية الامر كان هناك تردد من قبل السلطان ولكن بعد خذلانه من قبل فرنسا وبريطانيا اضطر إلى قبول عرض روسيا ففي أواخر فيفري بعث مذكرة إلى القائم بأعمال الروسي بونيفيف يطلب منها إرسال أسطول روسي إلى الممرات وقوات برية إلى العاصمة للمحافظة عليها فما كان من روسيا سوى تلبية طلبه مرسله أسطولها البحري أمام السلطان و14 ألف جندي في منطقة البوسفور فقد أصبح السلطان العثماني يشعر بالقوة نتيجة قدوم القوات الروسية فطلب من محمد علي عودة جيشه وأبرم معاهدة سلام معه، وأما التقدم الروسي شعرت كل من بريطانيا وفرنسا بالخطر مما أدى بمطالبتهما من محمد علي باشا بالانسحاب من مناطق التي سيطر عليها.

نجحت السياسة الروسية في إنقاذ الدولة العثمانية في اللحظة الأخيرة من السقوط في أيدي القوات المصرية مظهرة دور الحريص والمدافع عن الدولة العثمانية الضعيفة أمام محمد علي باشا لذا عملت على تمكين علاقتها مع السلطان العثماني وإقناعه بأنها القوة الوحيدة التي قدمت لها العون العسكري¹. سارعت بريطانيا وفرنسا إلى تسوية الخلاف من عقد اتفاقية كوتاهية 19 ذي القعدة 1248هـ/ 8 أبريل 1933م وعلى الرغم من توقيع هذا الصلح إلا أن القوات الروسية رفضت الانسحاب من المضائق إلا بعد أن حصلت على المزيد من التنازلات إضافة إلى مواصلتها لنشاطها الدبلوماسي من خلال تكليف مبعوثها بمحاولة إقناع السلطان على ضرورة تمكين علاقاتها مع روسيا²، حيث كللت هذا الجهود من خلال توقيع اتفاقية خنكار إسكله سي الواقعة في البوسفور في 20 صفر 1249هـ/ 8 جويلية 1833م التي نصت على: قيام تحالف دائم بين روسيا والدولة العثمانية، وقيام روسيا بالتعاون والدفاع عن الدولة العثمانية ضد أي هجوم خارجي.

1- غالب أحمد العريبات وآخرون، الموقف الروسي من التدخل المصري في بلاد الشام 1831، 1814، قراءة جديد في التدخل الدولي، ع117-118، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن 2012م، ص ص 394. 393
2- عبد الفتاح ابو الفضل عبد الفتاح، الصحوة المصرية في عهد محمد علي، (د.ط)، القاهرة 1998، ص 88.

2. موقف فرنسا وبريطانيا من هذا التقارب:

لقد تغير الموقف الأوروبي اتجاه مُجّد علي بمجرد دخول روسيا مسرح الأحداث مما اجبرها على اتخاذ سياسة حاسمة بالنسبة لمصر ومُجّد علي فقد احتجت بريطانيا رفقة فرنسا على بنود معاهدة خنكار إسكله سي، فقد كان يرى وزير خارجيتها بالمرستون¹، أن صداقة روسيا للدولة العثمانية أخطر بكثير من عداوة مُجّد علي للباب العالي لذا عملت إنجلترا على الحفاظ على الدولة العثمانية وإحباط كل محاولة من شأنها تقسيم الدولة العثمانية أو فرض الحماية عليها سواء كانت من جانب روسيا أو من ناحية مُجّد علي²، فقد سعت بريطانيا من خلال سياستها هذه حفظ التوازن الدولي في أوروبا والمحافظة على مصالحها في المنطقة وعلى طرق مواصلاتها إلى الهند ويظهر ذلك من خلال تصريح بالمرستون، فان ضرب السلطان يؤدي لا محالة إلى تناثر إمبراطوريته وسيسمح بالتدخل الأجنبي واختلال في توازن القوى في أوروبا واستفادة روسيا بشكل كبير، كما كتب إلى السفير بريطانيا في باريس طالبا منه دعوة مُجّد علي الانسحاب نحو مصر بامتلاك سوريا سيجر معه بالضرورة امتلاك بغداد³.

وقد ظهرت كراهية بالمرستون لمحمد علي بعد أن تجاهل طلب بريطانيا سنة 1249هـ/ 1834م المتمثل في إنشاء طريق من أنطاكية للفرات مارا بحلب لخدمة تجارتها وتأسيس مستودع لبضائعها بأزمير وتعيين حراس على منشآتها وتأمين سفنها من هجمات البدو كما أرادت نقل سفينتين حربيتين على طول الطريق فما كان من بريطانيا سوى اللجوء إلى السلطان العثماني الذي اصدر فرمان مارس (1250هـ/ 1835م) القاضي باحترام الملاحة في الفرات، كما استغلت فرصة تقربها من السلطان إلى دفعه وتحريضه ضد واليه المتمرد من خلال تحريض سكان الشام للقيام بدء لثورة ضد سياسة إبراهيم باشا الإصلاحية خاصة في ما يتعلق بالتجنيد الإجباري ومسألة جمع

1- مُجّد مصطفى صفوت، المرجع السابق، ص 15.

2- فهمي خالد، كل رجال الباشا مُجّد علي وجيشه وبناء مصر الحديثة، تر: شريف يونس، ط1، القاهرة م2001

3- كرد علي مُجّد عبد الرزاق، خطط الشام، ط3، مكتبة النوري، دمشق 1983، ص 63.

السلاح واحتكار التجارة وأثقال كاهلهم بالضرائب مستميلا رؤساء العشائر والأعيان إلى جانبه¹ لتواصل حملتها من خلال توجيهه بلاغ رسمي مُجَّد علي في 1253هـ/ أوت 1838م داعية اياه بعد الخروج عن طاعة السلطان والاستقدام إلى وقف تحركاته بالقوى المسلحة بالتعاون مع الدول الأوروبية.

- معاهدة بالطة ليمان؛

وفي ذلك الوقت راحت تعد مشروع اتفاقية بالطة ليمان بالاشتراك مع نوري أفندي وزير المالية العثماني ليتم التوقيع عليها في 26 جمادي الأولى 1245هـ/ 12 أوت 1838م حيث نصت على:

- منع سياسة الاحتكار في جميع أنحاء الدولة العثمانية
- فرض نسبة معينة من المال على البضائع الدولة البريطانية التي تدخل الدولة العثمانية وكذلك الصادرة عن الدولة العثمانية.
- وضع نظام للتحصيل الجمارك.
- حق تملك بريطانيا جميع أنحاء الدولة العثمانية.

مما يمكن ملاحظته أن بنود المعاهدة: خدمت بالدرجة الأولى مصالح بريطانيا إذ أدت إلى تضاعف وارداتها وتطور نحو الرأسمالية²، كما استغلت الفرصة من خلال احتلالها لعدن 1254هـ/ 1839م قصد امتلاكها لمفتاح البحر الأحمر من الجنوب وإنشاء قاعدة حصينة في طريق الهند³ وسارعت بعقد تحالف بينها وبين الدولة العثمانية ضد مُجَّد علي في 1254هـ/ أبريل 1839م في نفس الوقت عقدت معاهدة مع النمسا لضمان الملاحة في بحر الدانوب وتأمين تجارتها في البحر الأسود⁴

1- فاطمة بوجلطي، مرجع سابق، ص 51.

2- نفسه، ص 19.

3- صبري مُجَّد، تاريخ العصر الحديث من عصر مُجَّد علي إلى اليوم، ط2، مطبعة مصر، القاهرة 2000م، ص 66.

4- مُجَّد فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص 490.

كما عملت بريطانيا على تشجيع الثورات الداخلية من خلال التحريض ضد إبراهيم باشا ودفعت السلطان إلى إعلان الحرب ضده من خلال المشاركة في معركة نزيب 1255هـ/ 1839م بالقرب من حلب التي انتهت بانتصار قوات إبراهيم باشا، حيث أحاطت بالدولة العثمانية مجموعة من الظروف من بينها وفاة السلطان محمود الثاني، فرغم هذه الظروف قام السلطان عبد المجيد¹، بمحاولة الجنوح إلى السلم من خلال إرسال رسوله عاكف أفندي إلى مصر لعرض معاهدة هدنة تمهيدا لإجراء الصلح بما يرضي الطرفين، حيث أبدى السلطان موافقته على تحويل مُجَّد علي باشا على حكم مصر بالوراثة وإقرار سلطاته على سوريا وجزيرة العرب فقد كان مُجَّد علي باشا شبه موافق شرط إبعاد الأطراف الأجنبية.²

1- السلطان عبد المجيد: 1816 - 1826: هو السلطان الحادي والثلاثين، تولى الحكم وعمره 16 سنة عام 1839، فكان أول سلطان يتحدث اللغة الفرنسية، كما تأثر بأفكار الثورة الفرنسية، اتبع برنامج والده الإصلاحية، انظر: عبد الوهاب الكيالي وآخرون، مرجع السابق، ج6، ص 853.

2- ابن الفضل مُجَّد عبد الفتاح، المرجع السابق، ص 202.

المبحث الثالث: حرب القرم 1853-1856م ومواقف الدول الأوروبية المختلفة:

1. ظروف وأسباب حرب القرم:

سميت بهذا الاسم لوقوعها في شبه جزيرة القرم شمال البحر الأسود حيث نبت هذه الحرب بين الدولة العثمانية بمساعدة فرنسا وبريطانيا ضد روسيا حيث تعتبر حرب القرم من أهم أزمات المسألة الشرقية بحيث بلغت المسألة الشرقية ذروتها في حرب القرم إضافة إلى ذلك إن الصراع في هذه الحرب أصبح صراع أوربي ووصل إلى حدّ المواجهة العسكرية بين الدول الأوروبية خاصة بين روسيا وبريطانيا¹.

حيث ان المنافسات كانت قائمة بين قساوسة الأرثوذكس والكاثوليك بشأن التملك وإقامة شعائر دينهم في الكنائس المعتبرة عندهم في مدينة أورشليم معهد الديانة المسيحية حيث كانت فرنسا حائرة على امتيازاتها لحماية الكاثوليك فسعت روسيا لتجريد الكاثوليك من هذه الامتياز ومنحه للأرثوذكس لتمكن من بسط سياستها ونشر نفوذها بين رعايا الدولة العثمانية² فشكّلت الدولة العثمانية لجنة من رجال الكنائس من مختلف المذاهب فاقروا بحق فرنسا وهددت روسيا بالحرب ومحاوله إعادة معاهدة خنكار إسكله سي لكن السلطان رفض ذلك فحاولت روسيا الاستعانة بإنجلترا وفرنسا لكنهما لم توافقا على العرض الروسي بالإضافة إلى رفض السلطان العثماني حق حماية روسيا للنصارى المقيمين في الدولة العثمانية وأعاد السلطان رشيد باشا للصدارة العظمى وهو من المعادين لروسيا³.

كما حلت إنجلترا محل روسيا في النفوذ لدى الباب العالي وصارت وحدها صاحبة الكلمة المسموعة في الأزمة الأخيرة عند رجال الدولة وتوصلت إلى إبطال معاهدة خنكار إسكله سي التي

1- هدى علي بلال، الصراع العثماني المصري علي بلاد الشام والوقف الدولي من 1830-1841، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية 59، مج 10، ع 4، جامعة الموصل 2011، ص 355.

2- نُجْدُ فريد بك الحامي، المرجع السابق، ص 491.

3- اسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 326.

خولت لروسيا حق إرسال جيوشها إلى قلب الدولة العثمانية التي حلت إنجلترا محلها¹ في حين هددت روسيا باحتلال الأفلاق والبغدان وتحركت الجيوش الروسية وتدخلت الدول الأوروبية، النمسا بروسيا وإنجلترا وفرنسا غير إن وساطة هاته الدول باءت بالفشل² ولإيجاد ذريعة لإيقاع المشاكل بين روسيا والدولة العثمانية أوعز القيصر "نيفو الأول" إلى "دانيلو" الذي كان حاكما على الجبل الأسود وتابعا للدولة العثمانية بأن يرفع راية العصيان في وجه الدولة وفعلا حرض هذا الأخير الجبل الأسود ونادهم باسم والديه الأرثوذكسيين للقيام في وجه الدولة العثمانية فلبوا نداءه وثاروا جميعا³.

أما فرنسا فكانت منشغلة بحروبها في الثورة ثم الحروب النابليونية لمدة 22 سنة تقريبا وبهذا ضعفت الحكومات الملوكية بعد ذلك وحصول ثورة 1848 لم يمكنها من المسك بحقوقها في حماية الكاثوليك فتعدى على امتيازات قساوستها الأرثوذكس وبعد إن عين نابليون الثالث⁴ رئيسا للجمهورية الفرنسية الثانية فعين الباب العالي لجنة من عدة أعضاء مختلفي المذهب لفصلها في المعاهدات القديمة وبعد عدة اجتماعات للجنة قررت أولوية الكاثوليك في امتلاك عدة كنائس لكن روسيا عرضت بشدة ذلك القرار من الاتفاقية المؤرخة في 06 فبراير 1852 وهددت الباب العالي بالحرب⁵، فاتخذت روسيا ضد الخلافة ذريعة لتنفيذ وصية بطرس الأكبر وأرسلت البرص (منشيكوف) من سان بطرسبورغ إلى الاستجابة بصفة سفير غير اعتيادي للمخاطبة في مسألة الأماكن المقدسة ظاهرا، حيث كان القصد من إرساله إيجاد أسباب الشقاق للتوصل لإعلان الحروب بحجة مقبولة لدى

1- مصطفى كامل، المرجع السابق، ص 75.

2- اسماعيل أحمد ياغي، المرجع سابق، ص 35.

3- مصطفى كامل، المرجع السابق، ص 76

4- نابليون الثالث: هو ابن لويس بونابرت أخ نابليون الأول في هو واسرته من فرنسا من فرنسا سنة 1815 موعند قيام ثورة 1848 م عاد إلى فرنسا مجددا وانتخب عضوا في الجمعية الوطنية بعدها انتخب رئيسا للجمهورية الثانية 1848-1852 م اتسم حكمه بالديكتاتورية بينما كان يتظاهر بالدفاع عن الديمقراطية وتوج نفسه امبراطورا على فرنسا سنة 1852 م. ينظر: علي المولا، المرجع السابق، ج7، ص 3340.

5- محمد فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص 492.

الدول¹، ومن جهة أخرى خابر نابليون الثالث حكومة الملكة فيكتوريا² بشأن الاتحاد مع الباب العالي لتنفيذ العهود السابقة المتعلقة بالأماكن المقدسة حتى لا يشتري نفوذ روسيا.³

لقد شكلت الاعتبارات الاقتصادية والاستراتيجية الأرضية الخصبة للنزاعات بين الدول الكبرى والدولة العثمانية، فكان بإمكان هذان الاعتباران تفجير حرب كبرى لكن في حقيقة الأمر الذي فجر الحرب كان سببه تافها في نظر الدولة العثمانية⁴. ولكنها في حقيقة الأمر قدمته هي بيدها إلى الدول الأوروبية⁵ على طبق من ذهب وذلك لضربها في الصميم ونعني بذلك منطقة الأماكن المقدسة في فلسطين بكنيسة القيامة الموجودة بيت المقدس، التي كانت ملكا مشتركا بين جميع الطوائف النصرانية، ففي صيف عام 1236هـ / 1847م فقدت في كنيسة المهد بيت لهم نجمة مزخرفة بالنقوش الفضية فذهب الكاثوليك يتهمون الأرثوذكس بسرقتها فراحت فرنسا تحتج على ذلك طالبة من الباب العالي أن يفصل في هذا الخلاف بمقتضى الحقوق والمعاهدات، فعين الباب العالي لجنة تحقيق مكونة من نصارى الكاثوليك والأرثوذكس لكي تحقق في هذا النزاع لكنها لم تصل إلى أية نتيجة⁶.

وفي سنة 1237هـ / 1848م تمّ انتخاب نابليون الثالث كرئيس للجمهورية الفرنسية الثانية، حيث عمل على إعادة إحياء الإمبراطورية مقتربا من الحزب الكاثوليكي لكي يعمل على تأييده في الحكم، كما اتخذ من مسالة الأراضي المقدسة مسالة كرامة لا رجوع فيها، ففي سنة 1239هـ / 1850م قدمت الحكومة الفرنسية إلى الباب العالي مذكرة تبين فيها مدى تمسك فرنسا بهذه الامتيازات وفق معاهدة 1135هـ / 1740م وان هذه الامتيازات لا تلغها امتيازات منحت لغير فرنسا بعد هذا التاريخ لكن الدولة العثمانية كانت مدركة تماما بأن القضية ليست مجرد حقوق

1- مُجّد فريد بك الحامي، المرجع السابق، ص 493.

2- الملكة فيكتوريا: ولدت سنة 1819 وتولت سنة 1937 تزوجت بالبرنس البرت أحد امراء ألمانيا وتوفيت سنة 1901.

3- مُجّد فريد بك الحامي، المرجع السابق، ص 494.

4- هيرت فيشر، تاريخ أوروبا في العصور الحديثة (1789-1950م، تر: أحمد نجيب وغيره، ط4، دار المعارف، مصر 1964، ص 219.

5- كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص 567.

6- فريد بك الحامي، المرجع السابق، ص 49.

ولكنها قضية سياسية¹، مما أثار غضب روسيا التي راحت تطالب هي الأخرى بحقوقها، إذا كانت هذه الأخيرة ذريعة مناسبة لخلق اضطرابات بينها وبين الدولة العثمانية².

فقد حاول الباب العالي التماطل وعدم الحسم في الأمر لمصلحة فريق آخر خاصة إذا علمنا أن كل دولة كانت لها القدرة على استعمال القوة لغرض احترام مواقفها وتدعيم نفوذها ومكانتها، وعليه انتهى عام 1241هـ/ 1852م ولم تصل الدولة العثمانية إلى حل نهائي للقضية³.

2. موقف ورد فعل الدول الأوروبية من الحرب:

— فرنسا: رأت أنه من واجبها التدخل في الحرب والوقوف إلى جانب الدولة العثمانية ضد روسيا وتمثل موقفها بحسب رأي زعيمها نابليون لإرضاء الحزب الكاثوليك لأنه دعمه في حكمه فعلى اثر ذلك قامت الأساطير البريطانية والفرنسية باجتياز مضيق الدردنيل وأعلنت عن وقوفها بجانب الدولة العثمانية في الحرب.

— بريطانيا: رأت إن التوسع الروسي لهدد مصالحها في الدولة العثمانية ويهدد الطريق إلى الهند فقد كان موقف رئيس الوزراء البريطاني والصحافة مؤيد لتدخل بريطانيا ضد روسيا والوقوف إلى جانب الدولة العثمانية.

— النمسا: كان موقفها من حرب القرم حيادي ولم تتدخل ولكنها كانت تراقب الأحداث⁴، وكان ضمان حياد النمسا والمجر من أهم أولويات السياسة الروسية⁵.

1- روبر مانتران، المرجع السابق، ص 132.

2- نادية محمود مصطفى، العصر العثماني من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة، ط1، المعهد العلمي الفكر الإسلامي، القاهرة 1990م، ص178.

3- أحمد عبد الله الجبري، مشاريع تقسيم الدولة العثمانية وموقف منه 1844-1856م، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، مج 7، ع 3، التربية العراق 2012، ص 5.

4- محمد فريد الحامي، المرجع السابق، ص 502.

5- هاشم صالح الكتلوكي، الصراع بين الكبرى في البلقان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، (د.ط)، 2008م، ص2.

كما إن دخول بريطانيا وفرنسا الحرب إلى جانب الدولة العثمانية كان يهدف لمنع روسيا تنفيذ سياستها الراسية للاحتلال الدولة العثمانية وكانت النمسا تحاول التوسط والضغط على روسيا والانسحاب من المناطق التي وقعت تحت سلطتها من الدولة العثمانية إلا إن مساعيها باءت بالفشل¹.

في أواخر أكتوبر 1853 أرسلت كل من إنجلترا وفرنسا قطعاً من أسطولها إلى مياه الدردنيل لتدعيم موقف الدولة العثمانية ولحماية الآستانة لكن هذا العمل لم يحل بين الأسطول الروسي وبين القضاء على الأسطول العثماني في البحر الأسود فثارت كل من إنجلترا وفرنسا وأعلنت الحرب على روسيا في مارس 1854 واجهت الدولتين مشكلة اختيار ميدان القتال في إرسال الأسطولين الإنجليزي والفرنسي في حماية للآستانة فقط لكن لا بد من القيام بعمل عسكري لوقف اعتداء روسيا على الدولة العثمانية ولما كانت القوات الروسية قد استولت على الأفلاق والبغدان (مولدافيا ووالاشيا) فقد خشيت روسيا إن يؤدي بقاؤها فيها إلى إغضاب النمسا ودخولها إلى مساندة فرنسا وإنجلترا وباشرت بإخراج قواتها منها فعملت النمسا على إرسال جزء من قواتها للمحافظة عليها².

كان من الممكن أن يؤدي انسحاب روسيا من الولايتين إلى انتهاء الحرب لكن إنجلترا وفرنسا وجدتا أن انتهاء الحرب على هذه الحال ودون القضاء على التهديد الروسي بصفة نهائية فلا بد إذا من استمرار الحرب.

أما عن المفاوضات التي دارت بينها النمسا وفرنسا في ذلك الوقت فقد حددت الأهداف المقصودة من هذه الحرب في النقاط التالية:

- ✓ وضع ضمان أوربي لولايتي الأفلاق والبغدان، محل حماية روسيا لهما.
- ✓ تقرير حرية الملاحة في نهر الدانوب.
- ✓ إعادة النظر في اتفاقية المضايق 1841 لصالح توازن القوى في أوروبا.

1- هاشم صالح الكتلوكي، المرجع السابق، ص3.

2- مُجّد محمود السروجي، المرجع السابق، ص 19.

✓ تنازل روسيا عن إدعاءاتها حق حماية الرعايا المسيحيين في الدولة العثمانية¹.

بحيث وافق الروس على النقاط المذكورة سابقا باستثناء النقطة الثالثة فيما يخص إعادة النظر اتفاقية المضائق 1841 لصالح تون القوى في أوروبا ومن أجل هذه أقاست الحرب إذا رأى الحلفاء تفوق قوة روسيا البحرية في البحر الأسود له أثر دون ريب على تركيا وهذا بدوره سيؤثر على التوازن الدولي في أوروبا²، حيث اختارت كل من إنجلترا وفرنسا وتركيا ميناء سيفاستوبول الروسي ليكون مركزا للعمليات الحربية ضد روسيا، لأنّ القضاء على القوة البحرية لروسيا يتم عبر تحقيق الهدف الثالث من الأهداف التي دعت إليها الحرب، ولذا أنزل الحلفاء قواهم قريبا من روسيا³.

اشتطت فرنسا لمواصلة الحرب في ذلك الوقت دخول، النمسا إلى جانبهم في الحرب فتهديد النمسا لروسيا حريا سيجيرها على وضع قوات حربية كبيرة على حدودها مما سيؤثر تأثيرا خطرا على الوضع الحرب في شبه جزيرة القرم⁴، ومع أن النمسا كانت تميل إلى الضغط على روسيا لقبول النقاط الأربع، وبذلك رأت النمسا عقد معاهدة مع إنجلترا وفرنسا تنص على أنه إذا لم توافق روسيا على النقاط الأربع وتوقيع الصلح مع الحلفاء قبل إن ينقضي عام 1800م. فعلى الدول الحليفة التشاور فيما بينها الاتخاذ الإجراءات الكفيلة بتحقيق ما تصبو إليه من أهداف، وما إن وقعت النمسا هذه المعاهدة إلّا وأعلنت روسيا في 29 ديسمبر 1854م قبولها للنقاط الأربع المشار إليها⁵.

واستمرت المعركة الحربية بين روسيا والدولة العثمانية ولم تجدد محاولات الصلح⁶، وكان موقف فرنسا وإنجلترا ضد روسيا خوفا على مصالحها لأحبا للمسلمين⁷، وجزء من الدولة العثمانية ضد روسيا لكي لا تتمكن الأخيرة من ضمّ أي جزء من الدولة العثمانية إليها واستمرت روسيا في

1- مُجّد محمود السروجي، المرجع السابق، ص 20.

2- محمود شاكر، المرجع السابق، ص 176.

3- مُجّد محمود السروجي، المرجع السابق، ص 21.

4- مصطفى كامل، المرجع السابق، ص 92.

5- مُجّد فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص 152.

6- اسماعيل سرهنك، المرجع سابق، ص 326.

7- عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص 228.

حربها تالاً إن المساعدات والإمدادات التي وصلت للعثمانية جعلت روسيا تنسحب من المناطق التي احتلتها ونقلت الدول المتحالفة إلى ارض روسيا وأخيراً تمّ عقد معاهدة باريس عام 1272هـ/ 1856م¹ حيث تمّ عقد مؤتمر باريس في 25 فبراير 1856 وهو مؤتمر الصلح، وتم عقده في باريس لتوقيع الشروط التي اتفق عليها فيما يلي:

أولاً: احترام استقلال الدولة العثمانية وعدم المساس بممتلكاتها وتعتبر معاهدة باريس أول معاهدة من نوعها توقع عليها الدولة العثمانية لا تنقص من ممتلكاتها أو تعمل على إضعاف قدرتها الدفاعية بل أعطتها هذه المعاهدة مركزاً أكبر من ذي قبل وبها ضمنت وقوف الدول الأوروبية إلى جانبها ضد روسيا واعترفت باستقلالها في إدارة شؤونها الداخلية.

ثانياً: إعلان حيادية البحر الأسود وهذه الحيادية كانت في الواقع حقيقة مسلم بها في ذلك الوقت فلم يعد لروسيا قوة بحرية في البحر الأسود تجعلها تعارض بشكل جدي في موضوع جدي في موضوع الحياد²، وبتسليم روسيا بهذا المبدأ لم تعد تهتم كثيراً بالشؤون الأوروبية وذلك لفترة خمسة عشرة عاماً وأهمته إهمالاً يكاد يكون تاماً وذلك لشعورها بالحرارة من موقف الدولتين الكبيرتين فرنسا وإنجلترا منها:

- تعتمد الدولة العثمانية بتحسين أحوال رعاياها المسيحيين في البلقان على ألا تتدخل أية دولة خارجية في شؤونها الداخلية.

- الاعتراف بحرية الملاحة في نهر الدانوب وكان هذا نجاحاً للنمسا فاستطاعت إبعاد الخطر الروسي عن مصب نهر الدانوب لكنها بهذا خسرت صداقة روسيا للأبد.

- الاعتراف بحق الدولة العثمانية في إغلاق مضيق البوسفور والدرديل في وجه المراكز الحربية لسائر الدول.

- تعديل الحدود بين روسيا والدولة العثمانية.

1- عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص 229.

2- مُجّد محمود السروجي، المرجع السابق، ص 24.

- في حالة حدوث خلاف بين الدولة العثمانية وغيرها من الدول يجب قبول مبدأ التحكيم لفض الخلاف قبل إن يستفحل خطره ويؤدي إلى نشوب حرب أوروبية¹.
- وان تبقى الأفلاق والبغدان تحت حماية الدولة العثمانية تبقى المدرب مرتبط بالدولة العثمانية ولها استقلالها الذاتي².

3. نتائج حرب القرم:

من أهم نتائج حرب القرم هو إصدار السلطان عبد المجيد في 18 فبراير 1856م الخط الهمايوني³ وذلك بعد انتصار الدولة العثمانية وحلفاءها إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وعللي روسيا في حرب القرم (1853-1856م) وذلك قبل أسبوع من انعقاد مؤتمر باريس جاء القانون هدية من جانب الدولة العثمانية للدول الأوروبية التي وفقت إلى جانبها في هذه الحربية ضد الأطماع الروسية⁴.

إن أكثر موارد في الخط الشريف الهمايون هذا الخط يتعلق بحقوق الطوائف غير الإسلامية ومصالحها وتأكيد للوعود والمبادئ التي نص على معاملة جميع (رعايا) الدولة معاملة متساوية مهما كانت مذاهبهم وأديانهم والإبقاء على كافة الامتيازات الممنوحة للطوائف المسيحية وكافة الملل غير الإسلامية وقبول جميع رعايا السلطان في الوظائف والمناصب الحكومية والمدارس الملكية والعسكرية دون فرق ولا تميز وسمح للطوائف بإنشاء مدارس الملكية وتعليم العلوم والفنون والصناعة وضمن حرية هذه المدارس التعليمية، ومن القضايا المهمة التي نص عليها تذكر إنشاء محاكم مختلطة للفصل في القضايا بين المسلمين وغير المسلمين ماعدا الدعاوى الخاصة بالأحوال الشخصية والإرث فتحال على محاكم الشرعية بالنسبة للمسلمين والى المحاكم الطائفية بالنسبة لغير المسلمين

1- مُجَّد محمود السروجي، المرجع السابق، ص 25.

2- إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص 326.

3- خط الهمايوني والمعروف أيضا بالخط الشريف هو مصطلح دبلوماسي لوثيقة أو مذكرة مكتوبة بخط اليد تتسم بطابع رسمي تُكتب بواسطة السلطان العثماني. وتلك المذكرات عادة ما تكتب بواسطة السلطان شخصيا.

4- مصطفى كامل، المرجع السابق، ص 77.

وفي الوقت أمر بإصلاح السجون ووضع نظاما للشرطة وحرمة التعذيب، وأوحى بتكوين مجالس للولايات، منع أيضا الموظفين إن يشتركوا في التزام الضرائب وأكد حق الدولة في تجنيد غير المسلمين، مع إعطائهم فرصة دفع البدل العسكرية، كما نص أيضا على وضع ميزانية مفضلة للدولة ومعاينة الرشوة والاختلاس على إنشاء البنوك وإصلاح النقد لتوفير رؤوس أموال تستخدم في تنمية الزراعة والصناعة وكان اخطر بند في المنشور ذلك الذي ينص على السماح للأجانب بالتملك العقاري في الدول العثمانية وفق شروط معينة وحتم بالقول إن تحقيق هذه الأغراض يكون عن طريق الانتفاع بعلوم أوربية وفنونها ورؤوس أموالها¹.

كما صدرت قوانين مكتملة لتنفيذ موارد في المنشور الهمايوني كان أهمها قانون الأراضي عام 1858م الذي هدف إلى تطوير الريف العثماني ليكون في مثال الريف الفرنسي، وإن كان هذا القانون كانت له نتائج مدمرة لأنها تسيء تطبيقه ولا ينفذ عمليا إلا على نطاق ضيق فقد مكن هذا القانون الأغنياء وأصحاب النفوذ من الاستيلاء ولاستحواذ على مساحات واسعة من لأراضي بطرق ملتوية، كالرشوة والتحايل، بينما كان الفلاح عاجزا على توفير المال اللازم الذي يدفعه قيمة تصرفه بالأرض وهذا الأمر إن دلّ على شيء، فإنما يدل إن رجال الإصلاح كانوا غير متبصرين حين أصدروا بطريقة إلية قوانين إصلاح الأرض مستلهمين بالنظم الفرنسية فقط دون فهم وإدراك للوضع القائم ونتائجه المحتملة².

نجاح بريطانيا في الحفاظ على ميزان القوى في القارة الأوروبية ومنع تقسيم الدولة العثمانية والوقوف في وجه الأطماع الروسية.

نجاح فرنسا في المحافظة على حقها في حماية المسيحيين في الشرق وامتلاك مفاتيح الأماكن المقدسة، كما أظهرت حرب القرم مدى ضعف الدولة العثمانية.

1- الغالي غربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288-1916م، (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص ص153-154.

2- نفسه، ص 154.

الفصل الرابع

إنعكاسات العلاقات العثمانية - الأوروبية (البريطانية والفرنسي)

على الجزائر في بداية القرن التاسع عشر

- ❖ المبحث الأول: الأوضاع الداخلية في الجزائر في بداية القرن التاسع عشر.
- ❖ المبحث الثاني: التنافس الأوربي العثماني في المتوسط وإنعكاساته على الجزائر.
- ❖ المبحث الثالث: الحملة الفرنسية على الجزائر والمواقف الدولية تجاهها.

المبحث الأول: الأوضاع الداخلية في الجزائر في بداية القرن 19م:

1. سياسيا:

اتسم الوضع السياسي للجزائر مع بداية القرن التاسع عشر 19 ميلادي، بالتجاوب والتناغم مع السياسة العامة العثمانية تجاه البلدان، التي خضعت لحكمهم والتي من أبرز معالمها عدم التدخل في الحياة الخاصة لهذه البلدان، مما يجعل الحكم العثماني فيها ظاهريا أكثر منه حقيقيا¹.

لكن في نفس الوقت عرفت الجزائر خلال هذه الفترة سلسلة من الأزمات الحادة التي أثرت بشكل فعال في أضعاف قدراتها، وإهدار إمكانياتها، حيث عاشت الجزائر حالة من عدم الاستقرار السياسي، على إثر اغتيال الداوي مصطفى² وتبع ذلك موجة من الاغتيالات طالت الدايات الذين تعاقبوا على كرسي البالكية، ويتعلق الأمر بالداوي أحمد باشا (1220-1223هـ / 1805-1808هـ) والداوي علي العسال (1223-1224هـ / 1808-1809م) الذي حكم مدة 06 أشهر، والداوي الحاج علي باشا (1223-1230هـ / 1805-1815م). واكب هذه الفوضى السياسية، قيام ثورات وتمردات عمت سائر البلاد: مثل ثورة "ابن الأحرش"³، في شرق البلاد، والتي أودت بحياة الباي العثماني، عثمان بن مُحمَّد بن عثمان الكبير وثورة ابن الشريف الدرقاوي في غربها⁴.

1- مُحمَّد خير فارس، المرجع السابق، ص54.

2- الداوي مصطفى: تولى الحكم بعد وفاة خاله "حسن باشا" في سنة 1212هـ/1798م، ارتكب أخطاء كثيرة أهمها تقريبه لليهودي "بوشناق" ومنحه سلطة واسعة جلبت عليها نقمة الميليشيا في ثورة أودت بحياتهما في سنة 1220هـ/1805م ينظر: حمدان بن عثمان خوجة: المرأة، تق وتع: مُحمَّد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص150.

3- ابن الأحرش: هو مُحمَّد بن عبد الله الدرقاوي المعروف بابن الأحرش، اتصفت شخصيته بالغموض، ألعن ثورته ضد بايات الشرق، بعد عودته من الرق ينظر: ناصر الدين سعيدوني، ورفات جزائرية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م، ص308.

4- عثمان بن مُحمَّد عثمان الكبير: خلف والده على رأس باليك الغرب لمدة 5 سنوات، نفي بعدها إلى البليدة لمدة عامين ثم عين على بابليك الشرق قتل في معركة "وادي الزهور" على يد جيش ابن الأحرش. ينظر: حسان خوجة: تاريخ بايات وهران (مخطوط 13 و، المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1643، الجزائر، ورقم 2 و3).

2. اقتصاديا؛

أما الأوضاع الاقتصادية، فلم تكن بأحسن حال من الأوضاع السياسية فقد كان الاقتصاد الجزائري يمر بأزمة حادة، تضاعف تأثيرها بتوالي سنوات القحط، الذي عن مختلف جهات البلاد بسبب الكوارث الطبيعية والتي أثرت بشكل حاد على الأوضاع المالية، وكذا على القدرة الشرائية للسكان إلى درجة أن الحكومة الجزائرية كانت تضطر إلى استيراد القمح من موانئ البحر الأسود وتشدد الحراسة على مخازن الحبوب¹.

هذا الوضع الاقتصادي الصعب، أثر سلبا على أوضاع السكان الاجتماعية إذ عانى الناس كثيرا من جراء ندرة الأقوات في السوق، وارتفاع أسعارها خاصة في مواسم القحط، والمجاعات مثل مجاعة 1800م ومجاعة 1805م حيث بيع الصاع الجزائري² من الحبوب بخمسة عشرة بوجو³.

3. خارجيا؛

عرفت الجزائر في أواخر القرن 18 وبداية 19 نوعا من الاستقرار في علاقاتها الخارجية مع أغلب الدول، حيث أبرمت سلسلة من المعاهدات والاتفاقيات مع كثير من الدول كالبرتغال التي أبرمت معها في البداية هدنة في سنة 1810م تلتها معاهدة سلام في سنة 1813م⁴ وذلك على غرار جارتها إسبانيا في نهاية القرن الثامن عشر كما قمت الجزائر بتوقيع معاهدة سلام، مع دولة الولايات المتحدة الأمريكية في نوفمبر 1795م⁵.

1- حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص16.

2- الصاع الجزائري: هو مقداره 34 كيلوغراما تقريبا، انظر: أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا داي الجزائر، 1766-1791م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص105.

3- البوجو أو البجة تساوي 313 فرنك ذهبية، انظر: أحمد توفيق المدني، نفسه، ص 106.

4- حول تفاصيل هذه الهدنة، والمعاهدة انظر: عبد الحميد زوزو: هدنة 1810 ومعاهدة 1813م بين الجزائر والبرتغال، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر 1981، رقم 11، ص 2111، ص 52.

5- اروين راي، العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة 1776-1816م، تع: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1978م، ص103، ص119.

المبحث الثاني: التنافس الأوروبي العثماني في المتوسط وإنعكاساته على الجزائر:

1. التنافس الإنجليزي الفرنسي في البحر الأبيض المتوسط وأثره على الجزائر:

ظهر التنافس الفرنسي الإنجليزي بحلول القرن التاسع عشر الميلادي بوضوح في البحر الأبيض المتوسط، فقد حاولت كل دولة من نفوذها إلى سواحل شمال إفريقيا، بعد أن فرضتا سيادتهما على مناطق حيوية به، وقد تركزت أطماع الدولتين على الجزائر، كونها تحتل منطقة استراتيجية، وغنية سوف تفتح لهما المجال واسعا لإنشاء نفوذ عسكري في الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط. تكون منطلقا لهما إلى بقية الأقطار الأخرى، هذا فضلا عن الثروات الطبيعية، التي تزخر بها الجزائر، والتي سوف تمثل المادة الأولية لصناعاتها الناشئة، من جراء التطور الصناعي، الذي بدأت تعرفه أوروبا الغربية في هذه الآونة، وخاصة بريطانيا وفرنسا، والذي سوف يضمن لهما مستقبلا زاهرا في المجالين الاقتصادي والاجتماعي¹.

تميز تنافس الدولتين بكونه صراعا حادا مدفوعا بعوامل تاريخية واستراتيجية، ففرنسا كانت تعتبر نفسها ذات حق تاريخي، وفي وضع جغرافي يعطيها الحق الشرعي دون غيرها من الدول في السيطرة على البحر الأبيض المتوسط، لذلك كانت ترى في بريطانيا دولة أجنبية ودخيلة على هذا البحر، وليس من حقها فرض نفوذها على شواطئه، في حين كان الواقع غير ما تتمناه فرنسا، فبريطانيا أصبحت تعتبر نفسها دولة متوسطة بعدما تمكنت من فرض سيطرتها على مناطق حيوية عديدة في البحر الأبيض المتوسط² كجبل طارق وميناء "ماهون" بجزيرة منوركا³، وجزيرة مالطا والجزر الأيونية⁴.

1- زهرة زكية: "التنافس الفرنسي الإنجليزي على الجزائر وموقف الباب العالي من 1792-1830م"، في م.د.ت، الجزائر 1421هـ/2000م، ع 11 و12، ص ص 304-306.

2- صلاح العقاد، المغرب العربي-الجزائر تونس المغرب الأقصى، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 1962م، ص81.

3- حصلت إنجلترا على جزيرة منوركا، وجبل طارق في سنة 1116هـ/ 1704م، وأقرت لها ذلك معاهدات "أورتخت" و"راستاد"، التي سوت مسألة الوراثة الإسبانية في سنة 1125هـ/1713م.

4- جزر في البحر الأيوني قبالة السواحل الغربية لليونان، احتلها البريطانيون 1809م، ينظر:

Ernest Mercier, *Histoire De L, Afrique Septentrionale Depuis les Tempsles plus réculésjusqu, à la conquête Française*1830, Ernest Leroux, éditeur, T3, Paris1891. p491.

ورغم هذا التنافس على الجزائر، فإنه لم يؤدي إلى الاصطدام العسكري بين القوتين الأوروبية، وانتهى النزاع بتغلب فكرة الوفاق الأوروبي، الذي ترتب عنه اتفاق القوى الأوروبية الكبرى، ومنها بريطانيا وفرنسا في مؤتمر فيينا، حيث اتفقت فرنسا وبريطانيا ولو مؤقتاً، حول هدف واحد مشترك في علاقاتها مع الجزائر، التي اعتبرت العدو المشترك الذي يهدد الملاحة في البحر الأبيض المتوسط، وخطراً حقيقياً يخل بالتوازن ويقف في وجه امتداد النفوذ الحضاري لأوروبا المسيحية في منطقة المتوسط¹.

تراجع تأثير فرنسا على العلاقات العثمانية البريطانية من بداية القرن السابع عشر 1603 إذ قامت الملكة إليزابيث بإرسال التاجر الإنجليزي وليم هاربون William Harbon إلى الولايات العثمانية لإقامة علاقات تجارية².

وقد حظيت بريطانيا في خلال النصف الأول من القرن 17 السابع عشر بالعديد من الامتيازات نظير تطور العلاقة بينها وبين الدولة العثمانية تمثلت في خفض الضرائب بالإضافة إلى فتح إنجلترا لسفارة رسمية في الدولة العثمانية³، في حين كان القرن يمثل التحرش الإنجليزي بالجزائر إذ تصدت الجزائر إلى أكثر من 10 عشرة هجمات بدأت منذ عام 1620 والتي منيت أغلبها بالفشل إلا الحملة الأخيرة⁴، نتيجة لعدم نجاح الإنجليز في اغلب حملاتهم البحرية أبرمت بريطانيا مع الجزائر أول معاهدة في 1682 بفضل القنصل صموئيل مارتن 1674-1682 Sameil Martin والتي تضمنت عدد المسافرين على السفن الإنجليزية والعديد من البنود المتعلقة بالسلامة والإذن بالدخول إلى مياه البحر المتوسط⁵.

1- زهرة زكية: المقال السابق، ص307.

2- إدريس الناصر رائي، العلاقات العثمانية الأوروبية في القرن السادس عشر، دار المعادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007، ص 260.

3- مبارك بن محمد الهاللي المبلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية الجزائر 1964، ص177.

4- وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تع وتق: عبد القادر زبادية، دار القصة للنشر الجزائر 2007، ص180.

5- سفيان الصغيري، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد رياس البحر في الجزائر 1671-1830، رسالة ماجستير غير منشورة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة الحاج لخضر باتنة 2012 ص 124.

سعت بريطانيا جاهدة إلى تعكير العلاقات الفرنسية العثمانية والفرنسية الجزائرية من خلال قنصلها ونشاطهم بهدف تحقيق مصالحها على حساب فرنسا¹.

كان نتيجة لانتصار القوات البريطانية على القوات الفرنسية في معركة الطرف الأغر في 1805 دور في حصول بريطانيا على امتيازات في الجزائر مثل حصولها على مركز القالة الذي كان بحوزة الفرنسيين واستغلته لمدة (10) عشرة سنوات.

حاولت بريطانيا جاهدة للحفاظ على مصالحها في الجزائر ففي 1810 حيث ساهمت في هدنة بين البرتغال والجزائر كما دعمت الأسطول الجزائري بثلاث سفن كبيرة مشحونة بالصواري والحبال والبارود للمدافع محاولة استغلال الفراغ الكبير بينها وبين الدولة العثمانية في هذه الفترة خاصة في ظل التقارب العثماني الفرنسي²، في حين كانت فرنسا تسعى إلى إيجاد مصالح لها في الجزائر ولكن بطرق مختلفة عن بريطانيا.

ساهمت قوة فرنسا في بدايات حكم نابليون وعلاقاته مع الدولة العثمانية والتي سعت بكل جهد إلى التحالف معه، دافعا قويا في التفكير في التوسع في شمال البحر المتوسط والتفكير في احتلال الجزائر خاصة وإن الدولة العثمانية قد رفعت يدها عنها.

كانت الجزائر بمثابة الساحة التي انتقل إليها الصراع والتنافس الفرنسي البريطاني بعيدا عن الدولة العثمانية فقد ضغط الإنجليز على الجزائر بعد الحملة الفرنسية على مصر لقطع علاقاتها مع فرنسا، وذلك عن طريق ضغط السلطان العثماني (1798-1805م) على الباي مصطفى وبالرغم من الحسابات التي حسبها الداوي والتي تصب في صالح الجزائر إلا أنه في الأخير أعلن الحرب على فرنسا³، ولم يكن لهذا تأثير كبير على العلاقات الفرنسية الجزائرية والتي عادت إلى سابق عهدها جراء إبرام

1- صغيري سفيان، المرجع السابق، ص130.

2- نفسه، ص 139.

3- أرجمنت كوران، السياسة العثمانية تجاه احتلال الجزائر 1827-1848، تر: عبد الجليل التميمي، (د.د)، تونس، 1974، ص19.

معاهدة 17 ديسمبر 1801 والتي رافقها طرد القنصل الإنجليزي فالكون Folcon من الجزائر¹.

عملت إنجلترا جاهدة من أجل قطع الطريق أمام فرنسا من خلال الضغط على الجزائر من جهة والسلطان العثماني من جهة أخرى متخذة توسعات نابليون على حساب الدولة العثمانية ذريعة وهو ما دفع الداوي مصطفى للاستيلاء على المؤسسات الفرنسية في الجزائر 1807 ومنحها لهم مقابل ضريبة سنوية².

بلغ التنافس الأوروبي في الجزائر في الربع الأول من القرن 19 ذروته ولعل السباق القائم بين فرنسا وبريطانيا من أبرز مظاهر هذا التنافس وذلك من أجل كسب صداقة دول المنطقة التي أصبحت تكتسي أهمية كبيرة بالنسبة لكليهما، سعت بريطانيا دوما لجر الجزائر إلى القطيعة مع فرنسا، مستعملة التوترات التي كانت تحدث من حين إلى آخر بين البلدين لكنها فشلت في مسعاها هذا سواء بالإغراء أو بالتهديد³.

وإذ كان حكام الجزائر خلال هذه الفترة، يفضلون دوما التعاون مع الفرنسيين على حساب الإنجليزي، فإن هذا الوضع لم يستمر، وأصبحت نظرة المسؤولين في الجزائر اتجاه تلك العلاقات تتغير، ويمكن أن نحصر أسباب ذلك فيما يلي:

- تأكد التفوق البحري الإنجليزي في البحر الأبيض المتوسط، بعد معركة الطرف الآخر في 21 أكتوبر 1805م بقيادة الأميرال الإنجليزي "نيلسون"، والتي ضمنت السيطرة البريطانية على البحر المتوسط، وأمنت طرق الملاحة التجارية فيه.

1- Gramau. H. D. F, **Histoir d'Alger sous la domination Turque 1515- 1830**, le roux, Paris 1887, p, 357.

2- Playeain. , R. L, **Eepsdes de histoir des relation de la grand britanie avec les etats barbeiqu avant les conquet francais**, r- a, N° 22 au 1878, p160.

3- على إثر توقيع الهدنة بين الجزائر وفرنسا في جويلية 1800، أرسلت سفينة انجليزية في ميناء الجزائر تحمل مبعوثا من طرف الأميرال "كيث"، يحمل راية موجهة للداوي يطلب فيها قطع الجزائر لعلاقتها من جديد مع فرنسا، وطردها، انزعج الداوي من طلب الأميرال الإنجليزي، فقام بإيفاد مبعوث إلى لندن ليؤكد للحكومة الإنجليزية، عدم قبول المساومة على حرية القرار السياسي الجزائري، مهما كانت الإغراءات، أو التهديدات، انظر: جمال قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790-1830، منشورات متحف المجاهد، الجزائر د ت، ص 123-126.

- اقتناع المسؤولين في الجزائر خاصة بعد الداى مصطفى أن الطرف الفرنسى لا يبادلهم نفس الحرص فى تعزيز العلاقات، بل وأظهروا تهاونا فى المحافظة على روابط الود بين البلدين¹.
- الحرص الدؤوب للإنجليز، من أجل التقرب من الجزائر، ونشاط قنصلها الحثيث فى سبيل تحقيق تلك الغاية، والعمل على كشف النوايا، والمخططات العدوانية الفرنسية ضد الجزائر، وفى هذا الإطار سلمت الحكومة البريطانية لنظيرتها الجزائرية، التصاميم والرسومات التى وضعت الجاسوس "بوتان" للمواقع العسكرية وتحصينات العاصمة فى 1808م.

كان من نتائج ذلك التحول أن عرفت العلاقات الجزائرية الإنجليزية تقاربا، خاصة فى المجال التجارى عندما فضلت الجزائر التعامل مع الإنجليز، وتسليمهم حق استغلال الامتيازات الإفريقية فى موانئ الشرق، بدلا من الفرنسيين بمقتضى عقد وقع عليه الداى أحمد باشا²، من الجانب الجزائرى والسيد هنرى بلانكى القنصل العام من الجانب الإنجليزى فى يوم 23 شوال 1221هـ/ 02 جانفى 1807م ينص العقد على أن بريطانيا تضطلع باستغلال المؤسسات التجارية فى عنابة والقالة كما يحق لها الاحتكار صيد المرجان، فى مقابل أن تدفع خمسين ألف دولار إلى الفرنسية المركزية للإيالة، كإتاوة سنوية³ وظلت بريطانيا تستغل المؤسسات التجارية فى تمويل حامياتها العسكرية فى كل من مالطا، وميناء ماهون بجزيرة ميورقة بالبحر الأبيض المتوسط.

أما عن علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية فقد استمرت فى استقرار حتى سنة 1812م، وهذا عندما قام الداى برفع طلبات جديدة تخص الضريبة السنوية التى تدفعها الولايات المتحدة الأمريكية للجزائر، نظرا للنمو الذى عرفه الاقتصاد الأمريكى فى البحر المتوسط نتيجة صادراتها نحو أوروبا، مستغلا موقفها الضعيف بسبب الحرب مع بريطانيا واستطاع بحارة الجزائر سنة 1812م

1- مُجَّد العربي الزبيرى، المرجع السابق، ص233.

2- أحمد باشا: تولى الحكم فى الإيالة خالفا للداى مصطفى كان متعلما، وذا عزم انتعشت على أيامه البحرية الجزائرية، ثارت عليه الانكشافية، وقتلته فى سنة 1808 ينظر:

Mouloud Gaid, *l'Algerie sous les tures*, 2édition, édition mimouni, Alger1991, pp171- 173.

3- مُجَّد العربي الزبيرى، المرجع السابق، ص234.

من الاستيلاء على سفينة تعود لسالم، واسترقاق طاقمها ورغم تدخل القنصل الأمريكي في تونس، بعرض 3000 دولار لشراء حرية الطاقم إلا أنه قوبل بالرفض، وأكثر من هذا فقد أعلن الجزائريون الحرب ضد الولايات المتحدة¹.

ولم يتوقف التنافس على الجانب الاقتصادي فقط فقد استعملوا الأوروبيين وسائل كبيرة ومن أبرزها الحملات العسكرية التي شنتها الولايات المتحدة الأمريكية في سنة 1815 والحملتان الإنجليزية في سنتي 1815 و1824 ولكن هذه الحملات فشلت إلا أن فرنسا نجحت في ما لم تنجح بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية فيه.

2. مؤتمر فيينا 1815م وتأثيراته على الجزائر؛

سعى المجتمعون في فيينا إلى إضعاف الجزائر لاحتلالها من خلال الضغط على السلطان العثماني لقطع الإمدادات على الجزائر والتعاون معهم وهذا ما سعت إليه فرنسا بجديّة على خلال بريطانيا التي تجسد موقفها من خلال وزير خارجيتها كاستلري الذي كان يسعى للحفاظ على السياسة التقليدية مع الجزائر ودول المغرب وعدم السماح لفرنسا بالسيطرة على شمال إفريقيا².

وبناء على التقارير المرفوعة إلى إسطنبول رفعت الدولة العثمانية يدها عن الجزائر وأباحت للدول الأوروبية التصرف بشكل فردي وهذا ما يمكن ان نجعل منه أول خطوة في تخلي الدولة العثمانية عن الجزائر، وصادفه في الوقت نفسه وخلال انعقاد المؤتمر هجمات أمريكية وتحرشات بالسفن الجزائرية والذي أسفر عن نجاح الهجمات واضطرت الجزائر إلى عقد صلح في نهاية 1815 أمنت بها الولايات المتحدة الأمريكية تجارتها في البحر المتوسط³.

1- Benguetaf A/hafid, **The Barbary Treaties between The USA and Algiers(1795- 1816)**, Revue ossour N°17- 18, jun- December, 2010, p293- 294.

2- صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحدث والمعاصر، (الجزائر، تونس، المغرب الأقصى)، مصر الجديدة 1993، ص 74

3- شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق، تاريخ أوروبا، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات القاهرة 2000، ص 169.

كانت نتائج مؤتمر فيينا بمثابة القطيعة بين الجزائر والدولة العثمانية والتي وافقت على كل مقرراته في حين رفضته الجزائر وأدى إلى أزمة بين سياسة الجزائر وبريطانيا في حين سعت كل من روسيا والنمسا وبروسيا وبريطانيا على عقد حلف يتعهد بالحفاظ على استقرار أوروبا خوفا من أطماع نابليون التوسعية¹.

3. نتائج مؤتمر فيينا:

أ. الحملة الأمريكية على الجزائر 1815م:

قبل نهاية الحرب الأمريكية البريطانية بقليل، كان بإمكان الولايات المتحدة أن تولي اهتمامه بالجزائر، ففي 23 فيفري 1815م، قام الرئيس ماديسون بإرسال رسالة إلى الكونغرس يطلب فيها إعلان الحرب ضد الجزائر، بعدها مرر الكونغرس مرسوما صودق عليه في 02 مارس يعلن الحرب ضد الجزائر².

وجهت معاهدة غانت 1815م، والتي أنهت الحرب الأمريكية البريطانية ضربة موجعة للاقتصاد الأمريكي، لكنها في المقابل منحتها قوة بحرية تستطيع الاعتماد عليها في حروبها البحرية وتكون الأسطول الأمريكي الموجه ضد الجزائر من السفن التالية: انديانوس، 74، غاريا، 44، المقدونية، 38، الكونغرس وكونستلايشن 36، ايري، أوتاريووايريغي 18، شيسواي 16، فلامبو ومبارك، 12، سبتفايروتوش 10، لينيكس 24 أي 44 سفينة في الجمل، تحمل 400 مدفع³.

وفي رسالة خاصة من لشبونة مؤرخة بتاريخ 02 ماي 1815 تؤكد نزول القائد البحري الجزائري الرئيس حميدو إلى البحر، مع أسطول مكون من 04 فرقاطات، 06 حراقات سفينتين ذات

1- ميلاد المقرصي، تاريخ أوروبا الحديث 1453-1848، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 1996، ص351-352.

2- Thomas Woodward, **Thecorts of state Sponsoredterrorism, Theexample of Barbary Pirates**, NationalTax Journal, vol57, N°3, september2004, p609.

3- Pris M. Davis, **An Authentic History of the latewarbetween the United Staes and Great Britain**, witha full Account of every Battle, bysea and land.. , New york, ebenezzer F. Baker, 1836, p323.

صاريين، شباك واحد، مركب شراعي، غالية واحدة و40 سفينة حاملة مدافع، 11 قاذفة في المجلد 66 سفينة، تحمل 463 مدفع، وعلى ظهرها 4745 رجل هدفها التعرض للسفن الأمريكية¹، يبدو أن الرقم فيه نوع من المبالغة أو عدم التدقيق في العدد، كون أسطول كهذا لا يخرج في العادة إلى البحر مجتمعاً.

أقلع الأسطول الأمريكي باتجاه البحر المتوسط، تحت إمرة ستيفن ديكاتور ووليام باينبرايدج، في 18 ماي 1815 يحمل على متنه وليام شالر كفنصل أمريكي جديد بالجزائر².

وأعطى الوكلاء تعليمات بضرورة التوصل إلى سلم دون استخدام العنف ومعاودة تقضي بتحرير الأسرى، وتخليص الولايات المتحدة الأمريكية من الضريبة وفي المقابل تدفع الولايات المتحدة طلوع مبالغ مالية، كذلك التي دفعها بريطاني وفرنسا قابلة للاستمرار ومن بين الهدايا التي حملت سيف للداي ضمن في لندن بمبلغ 5000 دولار³.

وصل الأسطول الأمريكي سواحل طنجة في 15 جوان 1815، وأعلم أن ثلاث فرقاطات جزائرية، وسفن أخرى تحت قيادة الرئيس حميدو، توجد بالقرب من السواحل الإسبانية بين ملقة وقرطاجنة⁴، يومين بعدها إلتقى القائد ديكاتور مع سفينة الرئيس حميدو واقترب منها ما مكن رماة البندقية الجزائريين من جرح العديد من الأمريكيين وكان الرئيس حميدو منتصباً وسط السفينة، لكن قبلة (19 كلغ) من سفينة الغاريار قسمته إلى نصفين⁵، وخلفه كقائد للسفينة أحمد ولد عمر،

1- Paris M. Davis, op. cit, p322.

2- Fatima Maameri, **Ottoman Algeria in western Didlomatic History With Particular Emphasis on With the United States of America, 1776- 1816**, The faculty of latters and languages, A theis for the Dgree of Doctorat d'etat, 2008, p364.

3- قرياش بلقاسم، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات 1671- 1830م، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة مصطفى إسطنبولي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية معسكر، الجزائر 2015-2016، ص94.

4- Daniel Panzac, **Barbarycorsasairs, The end of a lagend 1800- 1820**, Tr Victoria Hobson, Leide, Brill, 2005, p131.

5- Gregory Fromont- Barnes, **The War of The Barbarypirates to The Shores Of Tripoli, The Rise of the US Navay and Marimes**, OXFORD, osprey publishing, 2006, p270.

وبعد أن توفي الكثير من الجزائريين وجرح آخرون تمكن الأمريكيون من الصعود إلى السفينة الجزائرية وإخطار بحارتها بوفاة قائدهم ما جعلهم يتسلمون¹ وكانت الخسائر الجزائرية كبيرة، علما أن السفينة كانت تحمل 500 بحار جزائري في حين فقد الأمريكيون أربعة رجال² وفي 19 جوان إلتقى الأمريكيون مع سفينة أمريكية أخرى، تدعى "اسنديو" وبعد اشتباك عنيف بين الطرفين، تمّ أسر السفينة بعد فرارها نحو المياه الضحلة وكلا السفينتين وجهتا نحو قرطاجنة الإسبانية كغنائم حرب.

وفي رسالة مؤرخة بتاريخ 20 جوان 1815م إلى أمانة الولايات المتحدة عند القائد ديكاتور فيها عن سعادته لأسر السفينة الجزائرية أستوديو: لدي الشرف أن أخبرك أنه بتاريخ 19 جوان، بالقرب من رأس بالوس، تمكنت سرية بحرية كانت تحت قيادتي، من الاستيلاء على سفينة جزائرية، 22 وتحمل 180 بحار، ود على ظهرها 23 قتيلًا دون خسائر من جانبنا³.

وصل الأسطول قبالة السواحل الجزائرية، 29 جوان، ورفع العلم الأبيض على الغاريار كإعلان على الرغبة في التفاوض بعدها بقليل قدم قارب يحمل القنصل السويدي نوردارلينغ ومعه قبطان الميناء، وبعد أن أعلم القبطان عن الكارثة التي حلت بالأسطول قدمت له رسالة من المندوبين الأمريكيين تؤكد أنه:

لا معاهدة تفرض دفع ضريبة، وتحت أي شكل من الأشكال إضافة إلى إطلاق سراح الأمريكيين الموجودين في الجزائر، ودفع تعويض قدره عشرة آلاف دولار على السفينة "ايدوين" التي أخذها الجزائريون وغيرها من الممتلكات الأمريكية التي أخذت في المدينة.

إن مثل هذه الشروط كانت تعتبر مخزية، وكان من الممكن أن يرفضها الداوي لكن الوضع الراهن يفرض عليه أن يوافق عليها فالجزائر لم تكن تملك أسطولًا يحميها، فهو لا يزال موجودًا في البحر، وحتى وإن عاد سيقع في قبضته الأمريكيين، ما دفع الجزائريين إلى العمل على تسريع عمليات

1- أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص118.

2- Paris M. Davis, op. cit, p324.

3- Ibid, p326.

المفاوضة، ورغم أن الداى طلب مهلة ثلاث ساعات للتفكير إلا أن الأمريكيين أجابوه: ولا دقيقة إذا ظهر أسطولكم قبل توقيع المعاهدة وإطلاق سراح الأسرى الأمريكان، فإننا سنستولي عليه¹.

وفعلا فقد تمّ توقيع المعاهدة في الآجال المحددة، بعد المتوسط الذي قام به القنصل السويدي، وفي نفس اليوم عين وليام شالر كقنصل أمريكي في الجزائر، وتم استعادة كل الممتلكات الأمريكية التي أخذت في الجزائر، وقدمت تعويضات تقدر بـ 10.000 دولار عن أسر سفينة إيدوين وحمولتها ومن جانبه وافق ديكاتور على إعادة السفينتين الجزائيتين كحسن نية. كم احتوت المادة الثانية تحرير جميع الأسر الأمريكان المتواجدين في الجزائر، والبالغ عددهم عشرة أو أقل وفي المقابل يقوم الأمريكيون بتحرير جميع الأسر الجزائريين المتواجدين في حوزتهم والبالغ عددهم حوالي 500 أسير، دون دفع أي مبالغ لتحريرهم².

ب. الحملات الإنجليزية على مدينة الجزائر 1816-1824م؛

- الحملة الأولى 1816م؛

لم يكن للإنجليز خلال مؤتمر فيينا أية أطماع جدية في القارة الأوروبية وكل ما كانوا يمشدونه هو تحقيق توازنه في القوى بين دول أوروبا، لأنه الضامن في استقرار السلم والأمن في القارة، لكن في مقابل هذا الزهد الإنجليزي داخل القارة فإن وزير الخارجية البريطاني كاستلري، كان شديد الحرص والتمسك بسيطرة بلاده على البحر، والمناطق الحيوية بها كالجزر والمضايق، ومنها البحر الأبيض المتوسط³ وذلك من أجل حماية طرق المواصلات، والحفاظ على مصالحها في الشرق، وتأمين حاجات أسطولها، فكانت أن كوفئت في المؤتمر بحماية جميع الجزر الأيونية في مقابل

1- قرياش بلقاسم، المرجع السابق، ص96.

2- نفسه، ص96.

3- عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي، التاريخ المعاصر، أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، دار النهضة العربية، بيروت، 1973م، ص141.

تكليفها بتنفيذ قراراته المتعلقة بمحاربة القرصنة، واسترقاق المسيحيين في الإيالات البربرية¹.

حيث تمّ الاقرار بالتفوق البريطاني في البحر الأبيض المتوسط، وبتحكمها في مناطقه الحيوية من خلال امتلاكها لقواعد عسكرية: مثل جزيرة مالطا، وجبل طارق وميناء ماهون، بالإضافة إلى الجزر الأيونية. عقب انهيار الإمبراطورية النابليونية وانتصار الحلفاء أدرك هؤلاء أن الوقت حان لتسوية حسابها مع الإيالات المغربية التي لم تتوقف عن ممارسة القرصنة واسترقاق المسيحيين واستفزازها بإتاوات مع الإيالات المغربية، التي لم تتوقف عن ممارسة القرصنة واسترقاق المسيحيين واستفزازها بإتاوات مهينة، طوال سنوات الحرب.

لقد تغيرت نظرة الأوروبيين بعد مؤتمر فيينا في تعاملها مع تلك الإيالات، فالأسلوب القديم لم يعد مجديا معها، ولا بد من أسلوب يكون أرفع ويبدو أن مشروع "سميث" سالف الذكر لقي تأييدا من أطراف عديدة خاصة القنصل الفرنسي في بريطانيا جول دي بولينياك².

مما دفع إنجلترا إلى تجديد حملتها العسكرية على الجزائر في سنة 1816م، وبتفويض من المجتمعين في "فيينا" في النقاط التالية:

- 1- قضية القرصنة واسترقاق المسيحيين.
- 2- انتهاء الحروب وعودة السلم إلى أوروبا.
- 3- التنافس الإنجليزي الفرنسي في البحر الأبيض المتوسط.
- 4- إخفاق إنجلترا في إقامة قواعد عسكرية في الجزائر.
- 5- الرغبة في السيطرة على البحر الأبيض المتوسط³.

1- Ernest Mercier, op. cit, p491.

2- مُجّد خير فارس، المرجع السابق، ص134.

3- مُجّد العربي الزبيري، مقاومة الجزائر للكتل الأوروي قبل الاحتلال في الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1392هـ / 1973م، ع 12، ص122.

ولإعتبار الأوروبيين أن استرقاق المسيحيين من المواضيع التي تهتم جميع أمم أوروبا فإن هذه الأمم المجتمعة في "فينا" أثارت مسألة الإيالات المغربية خاصة إيالة الجزائر، التي ظلت تتابع جهادها البحري، والذي عرف نشاطا متزايدا في الآونة الأخيرة، فقد قدم سيدني سميث¹ Sidniy Smith إلى المؤتمر مذكرة ضد نشاط القراصنة المغاربة، أشار فيها إلى ضرورة وقف القرصنة، مبينا الوسائل المؤدية إلى ذلك، وطلب من جميع الدول الراغبة في تصفية القرصنة، تجهيز قوة بحرية مشتركة تراقب، وتلاحق القرصنة وأوكارها، وإقامة حكومات بها تحترم القوانين الدولية.

وعليه ففي أبريل 1816م أرسلت بريطانيا أسطولها البحري الموجود في البحر الأبيض المتوسط إلى شواطئ الإيالات البربرية، قصد إرهابها حتى تفرج عن الأسرى المحجوزين عندها، وتتعهد باحترام قوانين البحر، وفور رسوه بميناء الجزائر قدم قائد الأسطول الأدميرال اللورد "إكسموث" للداي عمر².

شروطا للسلم بين إيالة الجزائر، ومملكتي سردينيا و نابولي بموجبها يطلق سراح جميع أسرى المملكتين، مقابل فدية مقدارها 2500 فرنك للأسير الواحد بالنسبة للأسرى النابوليين، و1500 فرنك بالنسبة لأسرى سردينيا³، اعترض الداوي في البداية، لكنه قبل بالشروط تحت تهديدات القائد الإنجليزي بقصف المدينة⁴ بعد هذا الاتفاق توجه الأسطول الإنجليزي إلى تونس، وطرابلس في نفس المهمة، وأثناء عودته من طرابلس توقف الأدميرال الإنجليزي بالجزائر وأراد إرغام الداوي على

1- سيدني سميث (1771-1845م): أميرال انجليزي درس في "نيوكوليدج" بإكسفورد، أنشأ جريدة ايدنبورغ ريفيو في سنة 1802م، انتقل إلى لندن وأصبح محاضرا في الفلسفة بالمعهد الملكي، كان ضمن الجيش البريطاني الذي حارب "نابليون" في مصر سنة 1798م، ينظر: على تابلت: مذكرة سيدني سميث ضد النشاط البحري لدول المغرب، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر 1414هـ/1993م، ع 7، ص167.

2- الداوي عمر: داي الجزائر، تولى السلطة في 1815م بعد أن قتل سلفه الداوي مُجَّد وفي عهده حل الطاعون واجتاح الجراء إيالة، ووقع السلم مع الولايات المتحدة الأمريكية، انظر: مُجَّد العربي الزبيري، المقال السابق، ص124.

3- Ernest Mercier, op, cit, T3, P492.

4- عزيز سامح إتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تع: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، ج2، بيروت 1989م، ص606.

إنهاء أعمال القرصنة ومنع استرقاق المسيحيين لكن الداي رفض بشدة مطالب الأدميرال مفضلاً القتال إلى الموت على هذا الإذلال¹.

تعرض الأدميرال وضباطه أثناء نزولهم إلى البر إلى مضايقات الجماهير الغاضبة كما سلب منزل القنصل الإنجليزي، وأسيئت معاملة عائلته غادر الأدميرال الجزائر بعد أن تأكد فش حملته لم يعد أحد يشك في أن الرد سيكون وشيكاً، لذلك سارع الداي إلى الاستعداد، ووضع المدافع في حالة تأهب، وكتب باي قسنطينة يأمره بتدمير المنشآت الإنجليزية بالسواحل الشرقية وأسر موظفيها.

بالرغم من فشل الحملة الأولى إلا أن إنجلترا عاودت الكرة لتحرير الأسرى². حيث أبحر الأسطول الإنجليزي من ميناء "بورتسموث" في 24 جويلية 1816م ووصل جبل طارق يوم 13 أوت، حيث انضم إليه أسطول هولندي، الذي يتألف من ستة بوارج حربية بقيادة الأدميرال "فون كابلن" في جبل طارق في 14 أوت أوقع الأسطول المشترك تحت قيادة اللورد "إكسموث" باتجاه الجزائر التي وصلها في مساء 26 أوت.

وفي صباح 27 أوت انفصلت بارجة عن الأسطول، وتقدمت حتى أصبحت في مرمى المدفعية الجزائرية، وتوقفت حاملة علم الهدنة ثم أرسلت مركبا صغيرا يحمل راية التفاوض وإنذار أخير للحكومة الجزائرية بالشروط التالية:

1- التسليم الفوري لجميع الأسرى المسيحيين وبدون فدية.

2- إعادة المبالغ المالية التي تلقاها الداي كفدية عن الأسرى السردنيين والنابوليين.

3- الإعلان عن احترام حقوق الإنسان.

4- عقد سلام مع مملكة هولندا بنفس شروط الإنفاق الإنجليزي.

1- Henri Garrot, **Histoire générale de l'Algerie**, imprimerie Gescenzo, voutes, Bastion nord, Alger1910, p633.

2- وليام شالر: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م، تع وتق: اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص156.

وبينما كان الداوي وأعضاء الديوان يدرسون شروط تحرك الأسطول الإنجليزي الهولندي بادري الإنجليز إلى قصف الأسطول الجزائري عليه بادري مدفعية الميناء بإطلاق النار على أسطول التحالف¹. ومع استمرار المعركة ضعفت المقاومة الجزائرية، فسارع الداوي إلى عقد السلام بالشروط الإنجليزية الهولندية². حيث تم الاتفاق على:

- 1- استرجاع الأموال التي تسلمها الداوي كفدية عن الأسرى السردنيين والنابوليين.
- 2- تعويض الخسائر التي أصيبت بها القنصلية الإنجليزية.
- 3- تسليم جميع الأسرى الإنجليز على اختلاف جنسياتهم³.
- 4- إبرام اتفاق مع مملكة هولندا، بنفس شروط الاتفاق الإنجليزي.
- 5- غرق واحتراق معظم قطع الأسطول الجزائري.

كان نتيجة للحملة المشتركة الإنجليزية الهولندية تأزم العلاقات بين الجزائر وإنجلترا، مما دفع السلطات الجزائرية إلى التساهل في مفاوضاتها مع الحكومة الفرنسية والتي انتهت بإعادة حق استغلال الموانئ الشرقية للفرنسيين في سنة 1817م، وذلك كإجراء انتقامي من الإنجليز الذين تمتعوا به لمدة عشر سنوات تقريبا، واستمر الحال على ذلك طيلة الثماني سنوات، التي تلت الحملة وهي الفترة التي تزعمت فيها بريطانيا التكتل الأوروبي ضد الايالات المغربية، بحجة القضاء على القرصنة مثل الحملة المشتركة التي قادتها مع فرنسا في 1819م لإرغام الجزائر على تنفيذ قرارات مؤتمر أكس لاشايل⁴، المتعلقة بإنهاء القرصنة والرق أن الحملة الأوروبية المشتركة بزعامة بريطانيا على مدينة

1- جون باتيست وولف، الجزائر وأوروبا 1500-1830م، تع وتعل: أبو القاسم سعد الله، ط.خ، عالم المعرفة، الجزائر 2009م، ص445.

2- نفسه، ص446.

3- 1110 نابوليا وصقليا، 174 رومانيا، 226 إسبانيا، 62 سردينيا وجنويا، 28 هولندا، 18 إنجلترا، 7 برتغالين، 7 يونانيين، 6 بيدمونتيين، 6 توسكانيين، 2 فرنسيين، 2 نمساويين. انظر: حنيفي هلايلي: العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة 1815-1830م، ط1، دار الهدى عين مليلة، الجزائر 2007م، ص ص 29-30.

4- هي مدينة آخن تقع في ألمانيا انعقد فيها المؤتمر الشهير 1818.

الجزائر، وتدمير قوتها الدفاعية المتمثلة في الأسطول البحري، يعكس مدى التغيير الذي بدأ يطرأ في نظرة الأوروبيين في التعامل مع الايالات المغاربية، وخاصة الخاصة الجزائر مؤشرة بذلك على بداية نظام جديد في العلاقات الدولية، يقوم على مبدأ احترام حقوق الإنسان وعدم استعباده، وهي النظرة التي لم يستوعبها على ما يبدو حكام الجزائر عندما صمموا على استمرار القرصنة. مما دفع إنجلترا للقيام بحملة أخرى.

- الحملة الإنجليزية على الجزائر في سنة 1824م؛

بالرغم من النجاح النسبي الذي حققته الحملة البريطانية الهولندية المشتركة على الجزائر في سنة 1816م، إلا أنها فشلت في تجسيد أهم أهدافها وهو القضاء على القرصنة، حيث أعاد الجزائريون بناء أسطولهم واستأنفوا نشاطهم البحري منذ 1817 ابتداء من سبتمبر 1817م وبدأوا في تحصيل الغنائم من سفن بروسيا، وهولندا وهمبرج، وإنجلترا¹. الأمر الذي كان من بين أهم أسباب الحملة الإنجليزية. إضافة إلى حادثة القبائل الثائرة سنة 1823م والتي التجأ العديد من أفرادها إلى القنصليات الأوروبية مما شكل ازمة بين السلطة الجزائرية وقنصليات الدول الأوروبية². وبالرغم من تسليم اغلب القنصليات للأفراد الثائرة إلا أن إنجلترا رفضت ذلك واعتبرته تدخلا في شؤونها وتعاطف بقيت الدول مع الموقف الإنجليزي ونجم عنه في 02 ديسمبر 1823م إصدار لائحة احتجاج ثانية أبلغت على الفور إلى الداي، لكن هذا الأخير ردها عليهم مذكرا إياهم بأنه حر في تصرفه مع رعيته، كسائر الأمم المتحضرة³.

أمام هذا التحدي للحكومة الجزائرية أرسلت إنجلترا بارجة بحرية بقيادة القبطان "سبنسر" وصلت إلى ميناء الجزائر في 29 جانفي 1824م⁴ تحمل تعليمات إلى القنصل الإنجليزي، وأمام

1- حنفي هلايلي، المرجع السابق، ص32.

2- وليام شارل: المصدر السابق، ص ص 193-194.

3- محمد العربي الزبيري، المقال السابق، ص128.

4- وليام شارل، المصدر السابق، ص202.

الرفض الجزائري للتعامل مع القنصل ماك دونالد أقلعت البارجة الإنجليزية تحمل القنصل وعائلته راجعة إلى إنجلترا¹. وبلجوء القنصل الإنجليزي إلى بلاده توترت العلاقات بين البلدين لتطلق مدفعية الميناء طلقات إعلان الحرب².

وبوصول الأدميرال الإنجليزي "هاري نيل" بأسطول حربي أمام سواحل مدينة الجزائر وفرض حصار شديد على الجزائر، والمطالبة بتوسيع الحصانة الدبلوماسية إلى دار القنصل في الريف والاعتراف بالقنصل الإنجليزي كعميد للقناصل المسيحيين، ومنحه جميع الامتيازات المترتبة على ذلك، إضافة إلى عدم مراقبة الدبلوماسيين البريطانيين³.

استمر الحصار لمدة ستة أشهر أجروا خلالها عدة مفاوضات مع الجزائر باءت بالفشل بسبب تعنت الموقف الجزائري الذي أصر على عدم عودة القنصل "ماك دونالد"، ودفع إنجلترا للإتاوة كصفة الدول الأوروبية⁴.

عندما يئس الإنجليز من استسلام الإيالة بواسطة الحصار، لجأوا إلى استعمال القوة بواسطة أسطول بحري، مؤلف من اثنين وعشرين سفينة بدأ قصفه للمدينة يوم 11 جويلية 1824م بعد أن لجأ إلى الحيلة برفع راية المفاوضات، لكن المدافع الجزائرية لم تمهله، وشرعت في رمي قذائفها عليه فتراجع⁵.

أمام صمود الجزائريين أرغم الأدميرال "نيل" على المفاوضات، والتي انتهت يوم 26 جويلية 1824م بقبول الداى لشروط الإنجليز ما عدا عودة القنصل القديم، لأنه أضحى مكروها من الشعب⁶.

1- وليام شالر، المصدر السابق، ص204.

2- نفسه، ص206.

3- مُجَّد العربي الزبيري، المقال السابق، ص129.

4- شريف الزهار، المصدر السابق، ص ص 153-154.

5- نفسه، ص153.

6- وليام شالر، المصدر السابق، ص237.

وبذلك فشلت حملة "هاري نيل" في فرض سيطرتها على الجزائر، وأصبحت متأكدة أن القوة لا تجدي نفعا، ويتحتم عليها تغيير سياستها اتجاه الجزائريين بالعمل على التقرب منهم بدلا من إعلان الحرب عليهم.

تأثرت العلاقات الثنائية على إثر هذه الحملة، حيث كرسّت القطيعة في علاقات البلدين، والمتأزمة أصلا منذ حملة "إكسموث" في سنة 1816م وما كان يزيد في امتعاض المسؤولين الجزائريين من تصرفات الإنجليز في استمرار هؤلاء في انتهاج سياستهم العدوانية ضد الإيالة، بحجة محاربة القرصنة، وإنقاذ المسيحيين من الاسترقاق، فكما هو معلوم أن بريطانيا نصبت نفسها منذ مؤتمر فيينا سنة 1815م مدافعا عن السياسة الأوروبية من خلال تزعمها للتكتل الأوروبي ضد الايالات المغربية بصفة عامة، وإيالة الجزائر بصفة خاصة¹.

نتوقف هنا عند التناقض الذي ظهر إلى العيان بعد مؤتمر فيينا إذ بالرغم من التقارب الإنجليزي الجزائري والذي حقق هدفه بقطع الطريق أمام فرنسا التوسعية حيث لم تتوانى إنجلترا في القضاء على الأسطول الجزائري الذي عرف نوعا من القوة في ظل الصراع الأوروبي الأوروبي ولعل هذا ما حدث بعد أن تمّ الاتفاق عليه في مؤتمر فيينا 1815، والذي ستكمل فرنسا مشواره من خلال حملتها على الجزائر 1830².

1- مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص214.

2- BOUTIN. y. **Reconnaissance de villes sorts et batteries d'Alger**, Paris, 1929, p89.

المبحث الثالث: الحملة الفرنسية على الجزائر 1830م والمواقف الدولية منها:

1. خلفيات الحملة الفرنسية على الجزائر:

استغل نابليون العديد من الظروف التي ميزت فترة بداية القرن التاسع عشر فوطد علاقاته مع الدولة العثمانية من جهة وبدأ يفكر في إحتلال الجزائر وهذا ما يؤكده إرسال المهندس بوتان Bomtan إلى الجزائر في مهمة سرية سنة 1808م لإعداد مشروع غزو.

إضافة إلى ما ترتب عن نتائج مؤتمر فيينا من إعادة أسرة "آل بوربون" إلى عرش فرنسا في سنة 1815م ورغم أن الفرنسيين قد تعبوا من الحرب، فإن أفكار الإصلاح والحرية والدستور، التي بشرت بها الثورة الفرنسية في سنة 1789م بقيت حية فيهم قد تبني الملك "لويس الثامن عشر"¹ كثيرا من تلك الإصلاحات والأفكار النابليونية لكن الملكيين المتطرفين لم يكونوا راضين عن تلك الإصلاحات في سنة 1824م، كانت الحكومة في أيديهم، يدعمهم الملك الجديد "شارل العاشر"² الامر الذي جعلهم يعدون حملة ضد الجزائر لتكون جزءا من حل الأزمة التي تتخبط فيها فرنسا مستغلين الظروف الدولية، والأوضاع الداخلية في كل من فرنسا والجزائر في أسباب الحملة الفرنسية ضد الجزائر في سنة 1830م، وطبيعي أن تكون أسباب الحملة محل نقاش وجدل فالكتابات التاريخية الفرنسية، تعودت عندما تتعرض للأسباب أن تبرز في مقدمتها مسألة الديون، التي كانت للتاجرين اليهودية "بكري وبوشاق" على الخزينة الفرنسية، وحادثة المروحة الشهيرة. إضافة إلى حادثة السفينة لابروفانس التي وقعت يوم 03 أوت 1829م، عندما خرجت الباخرة "لابروفانس" من ميناء الجزائر، وعلى متنها قائد الأسطول المحاصر للسواحل الجزائرية

1- لويس الثامن عشر: ملك فرنسا (1815-1824م): شقيق لويس السادس عشر هاجر اثناء الثورة وعاد إلى حكم بلاده، بعد سقوط نابليون، عمل على حفظ حدود فرنسا، ومكانتها الدولية في معاهدة باريس، ومؤتمر فيينا في سنة 1815م. ينظر: أحمد مهدي شويجات، المرجع السابق، ص42.

2- شارل العاشر: ملك فرنسا (1824-1830م)، شقيق السادس عشر خلف أخاه لويس الثامن عشر، وبالغرم من نجاح الحملة على الجزائر في سنة 1830م إلا أنه اجبر على التنازل على العرش لصالح حفيده "لويس فيليب" بعد ثورة جويلية. ينظر: نفسه، ص 43.

"لابروتونيير"، وهو يحمل رد الداي على الشروط الفرنسية بشأن الهدنة المؤقتة، فعند مغادرته للميناء تعرضت السفينة البرلمانية لنيران المدفعية لأنها اقتربت كثيرا من الحصون الحربية بسبب قوة الرياح¹.

هكذا اتخذت فرنسا من قضية ديون اليهوديين ومن حادثتي المروحة والباخرة "لابروفانس" غير أن الأسباب الحقيقية والتي يمكن تلخيصها في:

- فكرة التوسع الإقليمي في شمال إفريقيا، والسيطرة على غرب الأبيض المتوسط حلما يراود الفرنسيين منذ زمن الملك "لويس الرابع عشر" خلال القرن السابع عشر الميلادي (17م)².
- محاولة استرضاء الرأي العام الفرنسي الغير راضي عن الأوضاع السياسية وعن سياسة شارل العاشر وحكومته الرجعية وتوجيه أنظاره إلى الخارج من خلال نشر الروح الوطنية ومنح التحركات الداخلية³.
- إضافة إلى الأسباب الاقتصادية التي تهدف إلى الاستفادة من الموارد الجزائرية⁴.
- تصوير الحملة على الجزائر بأنها حملة في صالح العالم المسيحي للتخلص من إي خطر إسلامي.

2. فرض الحصار البحري على الجزائر 1827-1830م؛

لقد كان الحصار الفرنسي للجزائر أهم حلقات السياسة العدوانية التي انتهجتها الدولة الأوروبية إزاء الجزائر فقد اعتمدت فرنسا على فرض شروط قاسية بعد حادثة المروحة مستعملة مبدأ القوة الحربية والأسلوب العسكري⁵، وكانت فرنسا تسعى في ذلك إلى جعل نفسها

1- Gabriel esquer, **les commencemenet d'un empire- la parise d'Alger 1830**, lors, Paris 1929, p18.

2- عمار حمداني، المرجع السابق، ص81.

3- في سنة 1823م اجتاحت الجيوش الفرنسية إسبانيا لمساعدة الملك "فرديناند السابع" ذي الأصول البرونوية للعودة إلى العرش بعدما أرغم على التنازل إثر انتفاضة 1820م. ينظر: نفسه، ص92.

4- نفسه، ص102.

5- حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 80

صاحبة الامتيازات الخاصة بإيالة الجزائر¹، وبعد الشروط الجائرة في بنود الصلح بعد الحادثة، رفض الداوي كل الشروط التي سبق ذكرها وقال الداوي: "يدهشني أنّ الفرنسيين لم يطلبوا زوجتي أيضا" وبحسب تقرير رفعه إلى السلطان قال: "أنّ الشروط من هذا النوع ليست من فعل رجال دولة أذكاء بل أشبه بكلام مجانين...". ولذلك فرضت فرنسا حصار على مدينة الجزائر وقد كان التردد واضحا بين أنصار إرسال الحملة إلى الجزائر، ولم يكن رئيس الوزراء الفرنسي في ظروف اتخاذ قرار متشددا فقد كان يصطدم في الداخل بنقمة الرأي العام بين إلغاء الحرس الوطني وازدياد المعارضة الخاصة، وقد كانت المسألة اليونانية تستأثر باهتمامه فقد كانت حكومته حريصة على تدخل مشترك مع روسيا إنكلترا في تدخل مشترك لدى السلطان كما أنّ وجود الأسطول الفرنسي في الأرخييل لا يسمح بتفكير في حملة، وكانت الحكومة تظن أنّ الحصار يكفي لتغيير الموقف، ولذا مالت الحكومة لفكرة الحصار². ولذلك فرضت حصار على الجزائر وقطعت علاقاتها بها³.

وفي سياق عملية الحصار قام الداوي بمجموعة من الترتيبات، وهي أنّه أمر باي قسنطينة الحاج أحمد باي بالاستيلاء على المؤسسات الفرنسية الواقعة في عنابة والقالة⁴، ومنذ فرض الحصار على الجزائر تشجع وتحمس دوفال لفكرة الاحتلال مؤكدا ببساطة يمكن عملية الإنزال، وقد أيده في ذلك كولي قائد الحصار لكن السلطات العليا رأت في نزول القوات مخاطرة كبيرة، وقد أيدت الأغلبية الإبقاء على الحصار⁵.

1- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص333.

2- محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 154، 165.

3- محمد علي القوزي، دراسات في تاريخ العرب المعاصر، دار النهضة للعربية للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1999، ص 465.

4- حنفي هلايلي، المرجع السابق، ص 82.

5- صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 82.

وقد حاول الجزائريون فك الحصار وخرجوا إلى رأس كاسكين فلم يفلحوا واضطروا أن يعودوا وفي الليلة الموالية ومن سوء حظ الجزائر في هذه الأزمة أنّ أسطولها كان خارج الجزائر مع الأساطيل العثمانية، في مواجهة ثورة اليونان واشتركوا في معركة نافارين 20 أكتوبر 1827 وتحطم الكثير من الأسطول، رغم أن الكثير من المصادر التاريخية ترجح عدم مشاركة القطع البحرية الجزائرية في هاته المعركة¹.

ولعلّ من أهم المعارك التي حدثت أثناء الحصار البحري تلك التي حدثت في 04 أكتوبر من سنة 1827 والتي إلتقى فيها الأسطول الجزائري مع الأسطول الفرنسي، وقد كانت السفن الفرنسية بقيادة كولي تضم 04 سفن وبارجة حربية كبيرة وسفينة شراعية وحرقة وعدد السفن الجزائرية 11 سفينة وقد دامت المعركة عدة ساعات تواجه فيها الأسطول الفرنسي وعادت السفن الجزائرية إلى الميناء بعد إلحاق الضرر بسفن الفرنسية²، وقد قدم كليرمونت تونير تقريرا في هاته الفترة إلى ضرورة القيام بحملة وقصف المدينة وقد أشار أنّ التغيرات التي حدثت في أوروبا تفرض ذلك، وقد قال أنّ العملية لن تعارضها الدول الكبرى في الحوض المتوسط (روسيا وإنكلترا)، لأنّ فرنسا لم تنافسهم في توسع شرقا، وقد أشار إلى الفوائد الكبيرة التي ستجنيها فرنسا، وقد عرض هذا التقرير في 20 أكتوبر 1827، إلّا أن وزير الخارجية الجديد الكونت دولافرناي كان مهتما بالمسألة الشرقية، وكان يعتبر مسألة الجزائر عبئا ينوي التخلص منه، وقد واجه من حيث المبدأ احتمال تدخل بحري يشترك فيها فرنسا وإنكلترا وروسيا لتجنب صراع بين لندن وباريس³.

واصل كولي حصار المدينة حتى سبتمبر 1829 ثم أصابه مرض فرحل وخلفه الضابط لابروتونير (La Bratounnir) ليواصل الحصار وقد حاولت 04 سفن جزائرية أن تفك الحصار ولم توفق واعتصمت برأس كاسكين⁴، وتشكلت بعدها دورية بحرية من 06 قطع أخرى لتمحور

1- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص 130، 132.

2- حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 84. ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، ص 274.

3- مُجّد خير فارس، المرجع السابق، ص ص 151، 162.

4- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 132.

أمام رأس الطيب بتونس وسواحل إيطاليا إلى جزر الباليار وبذلك وصل عدد القطع الفرنسية في مياه المتوسط إلى 50 قطعة، وكان هذا الاستعداد خشية تدخل من الباب العالي أو دول منافسة¹. ولم يكن وزير الخارجية الفرنسي الجديد من أنصار تقسيم أملاك الدولة العثمانية، وقد اعترض على ذلك أنصار الحصار الذين تخوف من نفقات الحصار العالية والذي كلف فرنسا أزيد من مليون فرنك سنويا دون أن يكون هذا الحصار محكما أو أن يؤثر تأثير كبير على حكومة الداوي حسين²، وقد تعرض الكثير من السفن الفرنسية لتلف جراء هذا الحصار حيث وصف أحد المهندسين في البحرية شارل دوبان ما يجري من خلال مذكرته، أن ما كان ينفق عليه بالملايين لا يعادل ما كان يعترضه من زوارق صغيرة لا تتعدى قيمتها 2000 فرنك بالإضافة إلى ذلك أن الحصار لم يحمي السفن التجارية من ضربات القراصنة³، ففي شهر أوت أيضا استولى الرياس على سفينتين فرنسيتين في ميناء وهران⁴.

ولما طال أمد الحصار على الفرنسيين عاد لابروتونيير إلى فرنسا واقترح على وزير البحرية هيدو نوفيل Hyde Neuville أن يكلف من يعرض على الداوي للمرة الثالثة لعله يقبل الصلح فاستحسن الوزير الفكرة وعندما وصل المبعوث الفرنسي إلى الجزائر في 23 جويلية 1829 رفض الداوي استقباله في البداية لكنه وافق فيما بعد وتم ذلك ورغم أن الاجتماع دام حوالي ساعتين إلا أن الداوي رفض إعلان الهدنة بل واشترط حسب رواية قارو أن تهدي له فرنسا باخرة ألبرت وهو يدعو للسخرية⁵، عندما خرجت الباخرة "لابروفانس" من ميناء الجزائر، وعلى متنها قائد الأسطول المحاصر للسواحل الجزائرية وهو يحمل رد الداوي على الشروط الفرنسية بشأن الهدنة المؤقتة، فعند

1- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، ص 375-376.

2- شارل أندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصر 1827-1871، تر: جمال فاطمة وآخرون، شركة دار الأمة للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 54، 55.

3- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 133، 134.

4- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م، ص1، دار هومة، الجزائر 2012، ص 244.

5- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 132، 133.

مغادرته للميناء تعرضت السفينة البرلمانية لنيران المدفعية لأنها اقتربت كثيرا من الحصون الحربية بسبب قوة الرياح¹.

3. المساعي الدبلوماسية العثمانية لفك الحصار عن الجزائر 1827-1830م

أ. مهمة خليل أفندي؛

رغم الخلافات بين الدولة العثمانية وفرنسا، فقد تحسنت هذه العلاقات بعد أن تصالحت مع الباب العالي اثر توقيع الصلح بين فرنسا وأوجاق الجزائر والحكومة الفرنسية سنة 1801، وبدأ اهتمام العثمانيين بالمسألة الجزائرية منذ فرض الحصار البحري عليها رغم أنها لم تقم بتحريك عسكري، فقد قامت الحكومة العثمانية بالاحتجاج بواسطة رئيس الكتاب على تهديد فرنسا بإعلان الحرب ضد الجزائر حيث أنه إذ لم يتدخل الباب العالي في تأديب الداوي لأنّ السفير الفرنسي بإسطنبول ديقمينيو De Guellemal، قدم مذكرة في 08 أوت 1827 إلى رئيس الكتاب جاء فيها "... وبما أنّ الداوي قد زاد بتحقيقه القنصل فإنّ ملك فرنسا اضطر لطلب ترضية مهددا بالحرب في حالة الرفض..."، ولكن رئيس الكتاب احتج على هذه المذكرة قائلاً ليس لفرنسا، الحق في أن تعلن حالة الحرب أو الحصار دون علم الباب العالي².

لكن الدولة العثمانية كانت في هذه الفترة منهمكة في إخماد ثورات مثلما ذكرنا، ففي اجتماع عقد برئاسة الصدر الأعظم وضمّ وزير الحربية خسرو باشا أكد على عدم التدخل الفعلي في الخلاف الناشب بين فرنسا وأوجاق الجزائر³ بعد توقيع الدولة العثمانية لمعاهدة أدرنة مع روسيا في سبتمبر 1829م زادت من اهتمامه حول القضية.

1- Gabriele Esquer, **les commencemen et d'un empire-** la parise d'Alger 1830, lors, Paris 1929, p18.

2- أحمد عميروي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، ط1، شركة دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2004، ص 17، 18.

3- أرجمنت كوران، المرجع السابق، ص 41.

وتؤكد بعض المراجع أنّ سفير النمسا كان وراء المهمة وذلك لهدفين: أولهما أنّ الحكومة النمساوية كانت تستهدف بهذا المسعى التوفيقى بقاء الداى حسين محايدا في النزاع الذي نشب بينها وبين مراكش، أمّ الهدف الثاني فيكمن في أنّ رئيس وزراء النمسا كان يعمل على عدم إحداث تغيير في منطقة البحر المتوسط في الوقت الراهن¹، وقد أقلعت السفينة الإنجليزية Pelouse، متجه إلى مدينة الجزائر وعلى متنها خليل أفندي، وفور وصوله إلى مدينة الجزائر في 29 نوفمبر 1829م، أصّر خليل أفندي على الداى الجزائر أن يرسل سفيرا لفرنسا من أجل تقديم اعتذار على "حادثة المروحة" و"حادثة لابروفانس" وهذا ما رفضه الداى بقوة، فكتب خليل أفندي للأميرال ماهون قائد الحصار، آخر عروض الداى حسين²، ومع وصول خليل أفندي إلى الجزائر قام بمجموعة من المباحثات على الطرفين ولم يتوصل إلى حل بسبب شروط فرنسا المجحفة³.

ب. جهود المبعوث العثماني طاهر باشا:

كان المبعوث العثماني طاهر باشا يحمل نص فرمان من الديوان الهمايوني إلى علماء الجزائر وأوجاق الجزائر بحل الخلاف وحل الموضوع دون الوصول إلى حرب وأن بعد عودة خليل أفندي فالخلاف غير ناجم عن طرف واحد⁴.

وفي 16 أفريل 1830م كانت البارجة الحربية "نسيم ظافر" قد أقلت من إسطنبول في طريقها إلى الجزائر وعلى متنها المبعوث العثماني، يرافقه كاتبه الخاص ومترجمه كان طاهر باشا محملا برسالة من السفير الفرنسي بإسطنبول إلى قائد الحصار الفرنسي بالجزائر⁵.

1- مُجّد زروال، المرجع السابق، ص154.

2- كانت الشروط تتضمن عدم السماح لفرنسا بإعادة بناء الباستون وعطاء فرنسا المزيد من الامتيازات التجارية التي طلبتها فيما يتعلق بصيد المرجان. ينظر: jean serres; op; cit p17

3- مسعودي أحمد، المرجع السابق، ص70.

4- عزيز سامح التري، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1989، ص ص 641، 642.

5- مُجّد زروال، المرجع السابق، ص 158

وفي حالة رفض قائد الحصار ذلك عليه أن يطلب من الحكومة الفرنسية تعيين موظف له صلاحيات التباحث مع طاهر باشا ويدخل إلى مدينة الجزائر إذا كانت الحكومة الجزائرية ترى بأنّ الشروط مجحفة فعلى طاهر باشا أن يبحث على الموظف الذي توفده الحكومة الفرنسية¹، وقد بيّن طاهر باشا لأعيان الجزائر الأخطار التي ستترتب عن الحرب، كما ذكرهم برغبة السلطان بحل الأزمة إذا لم يتوصل الطرفان إلى تفاهم يرسل طاهر باشا إلى الباب العالي يبلغه بذلك ويشرح له أو لكن عليه قبل كل شيء عليه أن يعمل ما بوسعه لحل الأزمة²، وقد قيل أنّ هناك تعليمات سرية سلمها السلطان إلى طاهر باشا كان مفادها هو الاستيلاء على الحكم الأمر وإعدام الداوي حسين إذا اقتضى الأمر لكن لحد الآن ليس هناك وثائق تؤكّد صحة أو بطلان ذلك³، رغم أن أحمد الجزائري وهو شاهد عيان قد جاء في ذكر الجزئية قد تؤكّد ذلك حيث ذكر أنه جرت محاولات لقتل حسين داوي من طرف أنصار الصلح وهذا ما دعى الداوي لقتل الكثير⁴.

غير أنّ طاهر باشا قد تسلّم قبل ذلك رسالة، من السفير الفرنسي لمساعدته على دخول الجزائر ولكن قائد الحصار الفرنسي دوكليرفال Declairval، وقد منعه أيضا حسين باشا حسب ما ذكر سامح التر بدخول إلى الجزائر، وكانت فرنسا تخشى من ذلك لأنّه ان دخل وحل المشكل فلن يكون هناك سبب لصراع القائم وتبخّر حلم غزو الجزائر واضطر أن يذهب إلى تونس⁵.

غير أنّ التونسيين لم يسمحوا له أيضا بتوجه إلى الجزائر، لأنّ الفرنسيين قد أخبروه بأنّ الأتراك إذا قاموا بربط الإدارة الجزائرية مباشرة بدولة العثمانية، فإنّهم سوف يطبقوا نفس النظام في

1- مُجّد شيخ براج، مواقف دول غرب المتوسط من الاحتلال الفرنسي للجزائر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2006-2007، ص 104.

2- أرزقي شوتيام، مواقف الدول من احتلال الفرنسي للجزائر، مجلة الدراسات التاريخية، ع6، جامعة الجزائر، 1992، ص ص 120، 121.

3- أرزقي شوتيام، مواقف الدول...، ص 121

4- أحمد الجزائري، المصدر السابق، ص 14.

5- عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 643. سعودي أحمد، المرجع السابق، ص 74.

تونس، ويلغون نظام باي البايات فلم يسمح له باي حاكم تونس بالمرور¹، ويشير البارون ألفونص روسو في كتابه حوليات تونسية أنه في أعقاب ذلك عاد طاهر باشا في سفينته إلى حلق الواد فصادف مجيئه سفينة عثمانية كانت تقل 200 من الجنود الأتراك التي أرسلتها الدولة العثمانية لمساندتها إلا أنهم أجبروا من طرف الأسطول الفرنسي على التحول إلى تونس وكان أولئك الجنود وأصبح الأمر يندرج بالخطر في حلق الواد وكان طاهر باشا وكان يفكر بالإطاحة بالحكم التونسي².

خلال إقامته بتونس سعي الباي في عرقلة عن الاتصال بالجزائر، ونصحه بعدم الإقدام على النزول بأرض الجزائر لما يكثر فيها من أوبئة، وكان بمقتضى نصوص قانون الوفاية العام، يمنع السماح لأي أحد بالتجول والسياحة في أرض موبوءة، تمّ هذا الأمر بإيعاز من فرنسا لأنها رأت في لقاء طاهر باشا بداي الجزائر فشلا لمشروعها، فأندرت باي تونس بضرب حصار على مملكته، إن هو سمح له بتخطي الحدود التونسية إلى الجزائر، وطلبت منه مراوغته وصرف نظره عن الجزائر فأسعفها الباي، وبقي مبعوث الباب العالي في تونس³:

4. الغزو العسكري الفرنسي وسقوط الإيالة الجزائرية 1830م؛

اتخذت الحكومة الفرنسية قرار إعلان الحرب على الجزائر في اجتماع مجلس الوزراء المنعقد بباريس في 06 جانفي 1830م وذلك بعد دراسة استغرقت أربع ساعات ثم صادق عليه الملك "شارل العاشر" في 07 فيفري، وقد اتخذ هذا القرار مع اعطاء التعليمات لقائد الحملة وذلك بإمكانية قبول الصلح إذا عرض الداوي ذلك ولكن بشروط قاسية⁴.

1- وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 220. أرزقي شويتم، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر السياسي والعسكري الفترة العثمانية 1519-1830، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010، ص121.

2- ألفونص روسو، الحوليات التونسية منذ الفتح العربي إلى احتلال فرنسا للجزائر، تر: محمد عبد الكريم الوافي، ط1، منشورات جامعة قار يونس، طرابلس، د ت، 359.

3- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص 386.

4- جمال قنان، نصوص ووثائق...، المرجع السابق، ص ص295-298.

شرح في الإعداد والتحضير بعدما أصدر الملك مرسومة الملكي القاضي بتعيين الكونت "دي بورمون"¹ قائدا عاما للحملة، والأميرال "دوبيري" قائدا للأسطول، وبدأت الاستعدادات لتجهيز الحملة، ففي 12 مارس 1830م أرسلت الحكومة الفرنسية مذكرة إلى الحكومات الأوروبية تعلمها بالقرار الذي اتخذته مرفوقة بتوضيح المبررات المختلفة التي دفعتها لاتخاذ القرار².

في أواخر شهر أبريل كانت الاستعدادات قد اكتملت، وقد قدرت القوات بأكثر من 37 ألف جندي، معظمهم من القوات البرية، وما يقارب 700 سفينة، منها 103 سفينة حربية وتجمعت هذه القوات بمعداتها في المناطق الساحلية، الممتدة من طولون إلى مرسيليا وأصبحت جاهزة للانطلاق³.

أقنع الأسطول الفرنسي من ميناء "طولون" في 02 ذو الحجة 1245هـ / 25 ماي 1830م وتوقف في خليج بلما بجزر البليار⁴ بسبب سوء الأحوال الجوية وقد سبب هذا التوقف قلقا في الجيش، وفي أوساط الحكومة إلى درجة اتهام الأميرال "دوبيري" بالخيانة، وفي العاشر من شهر جوان استأنف الأسطول سيره نحو الجزائر، ووصل بعد أربعة أيام إلى الساحل "سيدي فرج" حيث بدأت عمليات إنزال الجيش يوم 14 جوان.

كان الداوي حسين على علم بمجيء الحملة ومكان نزولها لكن إهماله في اتخاذ الاحتياطات الكافية لإحباط عمليات الإنزال "بسيدي فرج" حيث كان يعتقد أن الحملة الفرنسية لن تتعدى الضرب من البحر شأنها شأن الحملات الأوروبية السابقة، وما دامت الواجهة البحرية قد حصنت فإنه لا خوف من عواقب الحملة.

1- دير بورمون: هو لويس اقيست دي بورمون "1773-1846م" louis- Auguste victor De Bourmont - عمل في الجيش الفرنسي الجزائري في حروب نابليون في أوروبا، اتم بالخيانة بعد هروبه من معركة "واترلو" waterloo في سنة 1823م، عزل بعد ثور جويلية 1830م، ينظر: عمار حمداني، المرجع السابق، ص171.

2- جمال قنان، العلاقات الفرنسية...، المرجع السابق، ص380.

3- Galibert, op. cit, pp266- 271.

4- جزر البليار: جزر اسبانية تقع قبالة ساحلها الشرقي اهمها جزيرة "مايوركا"، فورمانتيرا"، وضعتها الحكومة الاسبانية تحت تصرف الحملة الفرنسية ضد الجزائر للتزود بالمؤونة وغيرها. ينظر: فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص96.

إضافة إلى اعتقاده أن الفرنسيين لن يتخلوا عن فكرة التفاوض، ومما كان يرسخ لديه هذا الاعتقاد كثرة الرسل والبعثات، التي كانت تأتي إليه طالبة التفاوض منذ إعلان الحصار.

واعتماده على المساعدات البريطانية، على اعتبار أن بريطانيا عدو تقليدي لفرنسا وكانت من الدول المعارضة للمخطط الفرنسي، الذي يستهدف احتلال الجزائر كما أن القنصل البريطاني ما فتئ مع قنصل نابولي يقومون بنشاط ملحوظ منذ سنة 1827م، وأن مصالح بريطانيا تقتض استمرار القائم في الجزائر¹.

بعد إعلان الداوي حالة الاستنفار العام في كامل البلاد، أرسل يدعو إلى الجهاد ضد الفرنسيين واستطاع أن يجمع حوالي خمسين ألف مقاتل: سبعة آلاف من الميليشيا التركية، وحوالي أربعين ألف من المتطوعين، الذين جاؤوا من مختلف جهات البلاد². كما أرسل إلى باي وهران³ يأمره بتحسين الميناء، وأرسل كذلك إلى باي قسنطينة يأمره بتحسين ميناء عنابة لكن رغم هذه الاستعدادات الظاهرية⁴، إلا إن لقوات الفرنسية الفرصة في النزول بالشاطئ دون أي قلق، فأضاع الجزائريون أول فرصة في تكبيد القوات الغازية أضرار وخسائر⁵.

بعد نزول القوات الفرنسية "بسيدي فرج"، وتحطيمها لدفاعاتها الضعيفة أصلا جاءت الأوامر من الداوي للقائد "الآغا إبراهيم" بالانسحاب نحو هضبة "سطاوالي" والتمركز بها إلى حين وصول القوات المحاربة من البايات والقبائل⁶. بالرغم من أن الإمدادات لم تصل إلى إبراهيم آغا أو أنها كانت

1- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث - بداية الاحتلال -، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982م، ص36.

2- عمار حمداني، المرجع السابق، ص195.

3- باي وهران: هو حسين باي الذي دفعته شيخوخته للاستسلام حكم مدة سبعة أشهر باسم الفرنسيين لكنه فر إلى مصر ومنها إلى مكة حيث قض ببقية حياته. ينظر: حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 187.

4- حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص190.

5- نفسه، 161.

6- Gabriel Esquer, op. cit, pp300- 301.

ضعيفة مقابل القوة الفرنسية¹. بالرغم من المحاولات المتكررة للهجوم على القوات الفرنسية والتي منيت أغلبها بالفشل إلى غاية استيلاء الفرنسيين على حصن "مولاي حسن"، أصبحت مدينة الجزائر تحت رحمتهم وانتشرت فيها الفوضى، والإشاعات وبدأ السكان في هجرها. عندئذ جمع الداى حسن أمناء البلاد ووجهائها، ورجال التشريع وغيرهم وشرح لهم الحالة الخطيرة التي أصبحت عليها البلاد وطلب منهم النصيحة لمعالجة الوضع².

وفي ظل هذه الظروف أرغم الداى حسين في 04 جويلية 1830م على إرسال كاتبه مصطفى مصحوبا بالقنصل الإنجليزي "سانت جون" إلى مقر القيادة الفرنسية، للتفاوض مع "دي بورمون" الذي أجابهم بقبول اقتراح الداى، الذي ينص على الاستسلام، وبعد التفاوض ومراجعة الداى وقعت المعاهدة يوم 14 محرم 1246هـ / 05 جويلية 1830م³.

وباستسلام حكومة الداى حسين ورحيله من الجزائر بعد ذلك مع فرق الإنكشارية انتهى العهد العثماني في الجزائر، وتكون بذلك الحملة في سنة 1830م هي الحملة الوحيدة التي نجحت في وضع نهاية للإيالة الجزائرية، التي طالما وقفت في وجه الحملات العسكرية الأوروبية على مدى أكثر من ثلاثة قرون، وكان من نتائج الحملة:

- توقيع الداى حسين لمعاهدة الاستسلام 05 جويلية 1830م⁴ دخول القوات الفرنسية وانزال الرايات العثمانية⁵.

- مصادرة الأوقاف الإسلامية وأملاك البايليك بمقتضى مرسوم 08 سبتمبر 1830م وأصبحت

1- جمال قنان، معركة سطواوي، مجلة الدراسات التاريخية، ع8، الجزائر 1993-1994م، ص58.

2- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص44.

3- عن المعاهدة وما جاء فيها. ينظر: حمدان خوجة، ص203-204.

4- عمار عمورة، الموجز في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص135.

5- محمد عبد القادر، المرجع السابق، ص135.

تابعة لأملاك الدولة¹، وربط اقتصاد الجزائر بفرنسا وصك النقود الفرنسية، وفتح أسواق الجزائر للمنتجات الفرنسية²، وإبادة اقتصاد الجزائر الخاص بإحراق الغابات والمزارع والحقول وردم العيون والآبار وبهذا وقعت مجاعات وقحط وغلاء الأسعار³.

- القضاء على البنية الاجتماعية حيث اختفت تماما فئتا الكراغلة والأتراك⁴. وتشنت وحدة الشعب الجزائري⁵.

5. المواقف الدولية من احتلال الجزائر؛

من أجل تهيئة الظروف الملائمة لتنفيذ حملتها العسكرية على الجزائر ثم نجاحها فيما بعد قامت فرنسا بنشاط دبلوماسي، لزعزعة المعارضين من طريقها، من ناحية وكسب مؤيدين وأنصار لتدعيم صفها من ناحية ثانية وطبعي أن تكون للمصالح دور في تحديد مواقف الدول، وخاصة الدول الأوروبية الفاعلة فسارع بعضها إلى مباركة الحملة في حين عارضتها دول أخرى.

أ. موقف الدولة العثمانية من احتلال الجزائر وجهودها السياسية والعسكرية لاستردادها؛

- المساعي السياسية؛

علم الباب العالي بأن الحكومة الفرنسية تصنعت جهلها بمهمة طاهر باشا وراوغته في احتلال الجزائر⁶، الذي حاول طوال مدة مكوثه في طولون الاتصال بملك فرنسا شارل العاشر ليعرض عليه محتوى تعليمات السلطان العثماني، لكنّ السلطات الفرنسية رفضت الاعتراف به

1- محفوظ قداش وجيلالي صاري، الجزائر صمود ومقاومات 1830-1962م، تر: خليل أوزانية، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، 2012م، ص 104

2- جيلالي صاري، تجريد الفلاحين من أراضيهم 1830-1962م، تر: قندور عباد فوزية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 الجزائر 2010، ص 15

3- صالح العنزي، مجاعات قسنطينة، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1974، ص 54.

4- بوعزة بوضرساية، المسألة البربرية في السياسة الاستعمارية الفرنسية 1830-1930م، مرجع سابق، ص 88.

5- نفسه، ص 90.

6- أرجمنت كوران، المرجع السابق، ص 61.

كمبعوث رسمي للباب العالي، بل فضلت أن تحجزه في مدينة طولون وهذا ما تؤكد رسالة الوزير الخارجية الفرنسية إلى طاهر باشا في أوّل جوان عام 1830م، حيث جاء فيها: "أنكم لم تردوا على السؤال الأول والأساسي الذي تشرفت بطرحه عليكم حتى أعرف إن كنتم تتمتعون بكل الصلاحيات التي تؤهلکم للتباحث مع فرنسا في المسائل المتعلقة بحرب الجزائر"¹، وبذلك تكون فرنسا قد راوغته إلى أن نفذت مخططها واحتلت مدينة الجزائر بعد بلوغه خبر احتلال مدينة الجزائر اهتز الباب العالي للمساس بالسيادة الإقليمية، ويصف شارل أندري جوليان موقف الباب جراء انتهاك سيادته الإقليمية والذي لا يتعدى حدود "الاحتجاج العذري"².

وقد كلف الباب الوزير بإجراء مقابلة بين رئيس الكتاب والسفير الفرنسي ولما قبل السفير الفرنسي ذلك، قدم مع مترجمه لمنزل حميد باي في 14 أوت 1830، وقرر الباب العالي الاستماع إلى أقوال السفير دون أن يرد عليه بأي شيء في الوقت الحاضر وفي أوّل المقابلة وضع السفير أنّ الجزائر أصبحت تحت التصرف الفرنسي بموجب أصول الحروب.³

ومع ذلك أخبر رئيس الكتاب عن رغبة الحكومة الفرنسية بحث هذه القضية مع الدولة العثمانية مع أخذها بنظر الاعتبار صداقتها مع الإمبراطورية العثمانية، وأضاف السفير أنّه أحضر مذكرة سيقروها المترجم بحسن نوايا الحكومة الفرنسية وبعد نهاية المقابلة صرح حميد باي بأنّه غير مكلف بالرد، لم يضبط نفسه من الاعتراض على وجود صلاحية تصرف فرنسا في الجزائر واكتفى برد على قول السفير بأنّ الجزائر يشكل حكومة مستقلة وأعلن رئيس الكتاب بأنّ الأوجاق ملك الدولة العثمانية وأنّ الجزائريين مواطنوها بعدها قدم السفير الفرنسي إلى حميد باي مذكرة احتوت على 11 شرطا إذا قبلتها الدولة العثمانية فان فرنسا تتعهد بمنحها الجزائر جاء فيها⁴:

1- ناصر الدين سعيدوني، دراسات ووثائق...، المرجع السابق، ص 120.

2- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 107

3- أرجمنت كوران، المرجع السابق، ص 61

4- نفسه، ص 62.

- تبقى المنطقة الممتدة من حدود تونس حتى سلسلة الجبال المنتهية عند رأس بوجاروني في يد فرنسا.
- تتعهد فرنسا بتخليها عن تعويضات الحرب.
- تصبح مدينة الجزائر ميناء تجاريا ولن يملك الوجود سفنا حربية.
- يشترط إرسال باشا عثماني إلى الجزائر لمدة خمسة أعوام على أن توجد تحت تصرفه عساكر نظامية فقط.
- على الحكومة العثمانية دفع ديون الحكومة السابقة.
- منح الخلافة العثمانية عدّة امتيازات لفرنسا.
- لن تخرج فرنسا من الجزائر قبل تحقيق الخلافة العثمانية لكل هذه الشروط¹.

كانت هذه المذكرة تتضمن شروط تعجيزية ومحففة والذي ينظر إليها يدرك أن فرنسا من خلالها تتقمص دور الراغب في حل سلمي لكن العكس يظهر في شروطها، وقد جاء على رأس هذه البنود أن فرنسا ستعيد الجزائر إلى الخلافة بحكم الروابط الدينية تسلمها بسيادتها الكاملة². الغريب فيما ذكره جون سارس أن في المذكرة هناك منطقة ستبقى تحت الاحتلال وهو يذكر بأن فرنسا ستسلم الجزائر بكامل سيادتها من هنا يظهر التلاعب الفرنسي بوضوح، وقد أعلنت إسطنبول رفض الأمر وقد كسبت تأيد بعض الأطراف أبرزها منافس فرنسا في الحوض المتوسط إنكلترا³.

- محاولة التدخل العسكري بالأسطول العثماني لاسترداد الجزائر:

قدم السفير العثماني في باريس نوري أفندي مذكرة تبين حق العثمانيين في الجزائر وأرسلها إلى باريس حيث قدّمها روح الدين إلى وزير الخارجية في 19 جوان 1835، بعد أن ترجمها إلى الفرنسية إلا أنّ رئيس المترجمين في الوزارة المذكورة أعادها بعد ثلاثة أو أربع ساعات لروح الدين

1- أرجنت كوران، المرجع السابق، ص62

2- Jean serres, op, cit, pp55, 56.

3- عزيز سامح ألتز، المرجع السابق، ص 107.

أفندي، مخيرا إياه، أنّ الوزير لن يستطيع أن يقبل مذكرة كتلك وقد رفضت فرنسا المذكرة العثمانية مما دفع نوري أفندي للتقابل مع سفير روسيا من جديد، وعندما اطلع هذا الأخير على متن المذكرة أبان أن أحسن تصرف هو إرسال عن المذكرة إلى اللورد بلمرستون، وطبقا لهاته النصيحة وتقابل السفير نوري أفندي مع وزير خارجية إنجلترا في 14 جويلية 1835 حيث شرح له رفض الوزير الفرنسي للمذكرة التي قدّمها القائم بالأعمال العثماني في باريس إلّا أنّ اللورد ردّ عليه بأنه يكون من الأفضل أن لا يبحث مطلقا في الوقت الحاضر شيئا بهذا الشأن لقد فهم بشكل قطعي أنّ استرداد الجزائر من فرنسا بالمباحثات السياسية فقط، غير ممكن إذ كان على الدولة العثمانية أن تسلك طرقا أخرى للوصول إلى الهدف¹.

وعليه فقد أقدم الباب العالي في ربيع سنة 1835 على محاولة جريئة على سبيل حل قضايا شمال إفريقيا، إذا أنّ الخلاف في طرابلس الغرب بين ابن يوسف باشا وحفيده وهما من سلالة القرماني قد اشتدّ بعد تدخل قنصلي إنجلترا وفرنسا في ذلك وعلى رغم من إرسال السلطان العثماني أمر بتولية علي باي ابن يوسف باشا على طرابلس الغرب لم ينته الخلاف وعليه أعدّ الباب العالي حملة بحرية لإلحاق هذه الولاية بالمركز مباشرة، والفعل وصلت إلى ميناء طرابلس الغرب في 26 ماي 1835 قوة بحرية عثمانية بقيادة الفريق نجيب، وقد أنزل هذا الأخير قواته النظامية للبر، ثمّ حبس علي باشا ومعينه الذين قدموا لباخرة القيادة².

ويشير كاملومنفروني أنه تتضح يد إنكلترا في تلك الحملة وكان يهمهم منع فرنسا على فرصة للتدخل كما فعلت قبل سنوات في الجزائر، وهناك أدلة كثيرة تثبت أن فرنسا كانت تضع عينيها على تونس وطرابلس الغرب، كما توجد أدلة أخرى أن الدولة العثمانية كانت تفكر في ضمّ تونس بالإضافة إلى طرابلس كما منعتها المراقبة الفرنسية بقوتها البحرية وهكذا بعد أن فقدت تركيا

1- أرجنت كوران، المرجع السابق، ص ص 87، 88.

2- نفسه، ص 88، 89.

الجزائر ظلت سيدتها على تونس ومصر اسمياً تعود مرة أخرى رجل في هذه البلاد¹.

وبعدها ذلك أرسل الباب العالي طاهر باشا إلى طرابلس الغرب لمعرفة الأوضاع لكن لم يرضى بتلك الأوضاع حيث أدرك أن الحملة لم تخضع إلا لمنطقة الساحل أما درنة وتاجوراء والعديد من المناطق الداخلية كانت في حالة عصيان حيث كان عبد الجليل سيف النصر منفرداً بحكم سرت وكان عثمان آغا على مصراته².

وبعد العديد من المباحثات أفلح الأسطول العثماني في أواخر جويلية 1837م متوجهاً إلى طرابلس الغرب بقيادة وزير البحرية أحمد فوزي باشا، وجد الباب العالي أن عليه إبلاغ باي تونس مصطفى باشا عن النية الحسنة التي يكتنفها السلطان له، إلا اللورد بتسني، سفير إنجلترا، لم يصب ظهور الأسطول العثماني في تونس دون سابق إنذار، وكان يوصى سرا بأن ترسل تعليمات السلطان إلى باي تونس بواسطة موظف، حال وصول الأسطول العثماني إلى طرابلس الغرب، كما رأى من الواجب قبل أن يتحرك قائد البحرية إلى تونس أن يتخذ القرار بهذا الشأن³.

في تلك الأثناء كان الأسطول العثماني قد وصل إلى طرابلس الغرب بعد مروره بحر إيجه، وطبقاً لنصيحة السفير الإنجليزي، أرسل القائد البحري أحمد توفيق باي إلى تونس باخترين في أواخر أوت 1837م بغرض مقابلة الوالي مصطفى باشا إلا أنّ المقابلة لم تتم، وعاد الأسطول العثماني إثر رسو خمس قطع بحرية فرنسية في ميناء تونس بعد وصوله إليها بثلاثة أيام، رغم أنّ والي تونس أبلغ المأمور العثماني رجاءه إلغاء قدوم وزير البحرية إلى تونس⁴ إلا أنّه بعث بهدايا

1- كاملومنفروني، إيطاليا في الأحداث البحرية الطرابلسية، تر: عمر محمد الباروني وصلاح الدين السوري، ط1، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1988، ص 89.

2- شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي وحتى الغزو الإيطالي، تر: محمد عبد الكريم الوافي، ط1، منشورات جامعة قار يونس، طرابلس، 1994، ص 454.

3- أرجمنت كوران، المرجع السابق، ص 104، 105.

4- نفسه، ص 105، 106.

إلى السلطان مسترضيا إياه¹.

وفي هذه الفترة راجت إشاعة في تونس مفادها أن قائد الأسطول العثماني يعترم القدوم للبلاد التونسية لإلحاقها بطرابلس وأبدت الطبقة الحاكمة ممثلة في الداوي وأعوانه استعدادا كاملا في المواجهة البحرية مع العثمانيين إن أدت الحاجة إلى ذلك قصد ضمان استقلالية البلاد وساد في ذلك التاريخ خطاب شبه رسمي يؤكد استقلالية البلاد ولا غرابة أن يصبح استعمال مصطلح "مملكة" في كتابات تلك الفترة أكثر من غيرها وكانت فرنسا حريصة أن لا تقع البلاد التونسية تحت النفوذ المباشر للدولة العثمانية كما حدث ذلك بنسبة لطرابلس إذ يعتبر ذلك تهديد مباشر لمصالحها في المستعمرة الجزائرية²، وقد قابلت فرنسا الأمر أنها قامت بإرسال سفن حربية من أسطولها إلى تونس³.

ب. مواقف الدول الأوروبية:

- موقف بريطانيا:

لم تستطيع بريطانيا إخفاء استياءها وغيرها وهذا ما عبر عنه سفيرها في باريس اللورد "ستيوارت روتسي" ونفس الأمر حصل مع إسبانيا ومملكة سردينيا.

فقد كانت بريطانيا من أشد الدول معارضة للانفراد الفرنسي بغزو إيالة الجزائر، ويمكن تفسير الاهتمام البريطاني بهذه المنطقة بتحول بريطانيا إلى دولة ذات مصالح هامة في البحر المتوسط بعد أن اعترف مؤتمر فيينا لها بجزر (الأيونيون - مالطا - جبل طارق) ولهذا ردّت على المشروع الفرنسي لغزو الجزائر بواسطة مُجدّ علي بأنها ستمنع ذلك بالقوة، وكانت الوزارة البريطانية قد خشيت منذ أول الشروع في فبراير سنة 1830 بالتجهيز للحملة بأنّ الحملة العسكرية تنتهي بعملية استيلاء، وأضافت إلى ذلك أنّ إنشاء دولة متحدة مع فرنسا على الساحل الإفريقي يمكنه أن يهدد نفوذ وتجارة بريطانيا في الحوض المتوسط حتى أنّها ذهبت إلى حدّ التلميح بخطر صدام

1- أحميدة عميراوي، المرجع السابق، ص 78.

2- عبد الحميد هنية، تونس العثمانية بناء الدولة والمجال، ط1، منشورات تير الزمان، تونس، 2012، ص 217.

3- Jean serres, op, cit, p178.

مسلح لكن التهديد الإنجليزي بقي شفهيًا نظرًا للصعوبات الداخلية التي كانت تمر بها¹، واكتفت بأن أعلنت رغبتها في أن تحتفظ بالإشراف على مضائق "صقلية وجبل طارق"² مبدية تحفظها على عواقب هذا التوسع في الأخير ولما وقع الانفراد الفرنسي بغزو الجزائر عام 1830 لم يكن رد الفعل البريطاني عنيفًا واكتفت بالضغط السياسي بحمل فرنسا على إصدار بيان يوضح هدف وأبعاد الحملة، ثم تابعت الوضع بحظر فقد لاحظ قنصل فرنسا "بكورفو Corfou" أن الإنجليز بالرغم من التهاني التي قدموها بدافع اللباقة كانوا في واقع الأمر متأسفين جدًا، حتى أنهم نسوا موت ملكهم جورج الرابع "George" الذي لم يمر وقت طويل على موته³، ويمكن أن نعزو هذا الموقف إلى اشتغال بريطانيا آنذاك بأزميتين على الصعيدين البرلماني والاقتصادي ومحاوله منها أن لا تفوت الفرصة في مساومة فرنسا في استئثارها بالمشرق الإسلامي (مصر)، ولم تكن معارضتها للحملة وإدعائها عدم شرعية الاحتلال إلاّ من باب الدبلوماسية المرنة، لتعترف بدورها سنة 1837م بالغزو الفرنسي للجزائر.

- موقف الدول الأوروبية الأخرى:

أما بخصوص الدول الأوروبية الأخرى، فإن فرنسا لم تلق معارضة بل على العكس فقد عبر القيصر الروسي "نيقولا الأول" عن ارتياحه لقرار الحكومة الفرنسية، الرامي إلى القيام بهذه الحملة واتخذ ملك بروسيا نفس الموقف، وعرض بعض ضباطه للخدمة في الجيش الفرنسي، ولعل كان هدف بروسيا من وراء هذا الموقف، هو أن يتحول اهتمام فرنسا إلى مناطق بعيدة، ليخلو لها الجو في الراين.

1- بوعزة بوضرساية، موقف حاكم مصر علي باشا من الاحتلال الفرنسي للجزائر، مجلة الذاكرة، ع03، جانفي 1955، ص 186-187.

2- Paul GAFFAREL, **la conquet de l'Algerie jusque a la Paris de constanintine**, Libraire de firmin Didot et c i e mesinil, 1956, p 77.

3- أرزقي شويتام، مواقف الدول...، المرجع السابق، ص

أما النمسا فأبدت في البداية تحفظاً، لكن حساباتها روسيا وبروسيا جعلتها تبارك الحملة وأرسلت ضباطاً للمشاركة فيها، منهم الأمير "فريدريك شوارتزمبرغ". وفيما يتعلق بالموقف الإسباني فقد بدأ عليه التردد في البداية، لكنها قبلت باستخدام موانئها في تموين الأسطول الفرنسي، وتخصيص مستشفى عسكري في جزر البليار. أما سكانها في تلك الجزر فهللوا للحملة واستقبلوا الأسطول الفرنسي بحماس¹.

1- أرزقي شويتام، مواقف الدول...، المرجع السابق، ص186.

الخاتمة

خاتمة

من خلال عرضنا لما سبق من أحداث ووقائع نستنتج:

أن للبحر الأبيض المتوسط أهمية بالغة في عدة مجالات تاريخية واستراتيجية، وكذا جغرافية وهذا منذ القدم، جعلت منه مهذاً للحضارات القديمة، ومنطقة جاذبة ومحبة لدى كثير من الشعوب، ضف إلى ذلك موقعه الجغرافي المتميز وملائمة مناخه، كل هذه العوامل مجتمعة جعلت منه نقطة صراع بين شعوب القارات الثلاث بالإضافة إلى اشتداد التنافس بين الدول الأوروبية حول المنطقة للسيطرة على أهم المضائق والمنافذ المتواجدة فيه.

ومع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر عاشت الدول الأوروبية صراعات سياسية وعسكرية تمثلت في تنافسها على مناطق النفوذ في البحر الأبيض المتوسط، في وقت كانت فيه الدولة العثمانية تعاني من الاضطرابات الداخلية وضعفها ورغبة تلك الدول في تقسيم تركتها، حيث يمكن تقسيم هذا التنافس إلى قسمين: قسم التنافس الأوروبي - الأوروبي، والذي كان بين الدول الأوروبية فيما بينها من خلال إبراز علاقاتها فيما بينها وتحالفاتها وخلافاتها حول منطقة البحر الأبيض المتوسط، أما القسم الثاني فهو عن التنافس الأوروبي - العثماني والذي تطرقنا فيه أيضا إلى العلاقات الأوروبية العثمانية وأهم المعاهدات والاتفاقيات بين الدول العظمى والدولة العثمانية.

وتوقفنا عند جملة من الاستنتاجات جراء دراستنا للعلاقات الفرنسية والإنجليزية مع الدولة العثمانية لخصناها فيما يلي:

1- ساعد التنافس الأوروبي والذي ازدادت حدته مع بداية القرن التاسع عشر. وأقرته المصالح الاقتصادية في الحفاظ على بقاء الدولة العثمانية، ولو شكليا كقوة مرجحة لموازن القوى.

- 2- تأثر العلاقات الفرنسية- العثمانية والفرنسية- الأوروبية، بعد الثورة الفرنسية لتخوف الأخيرة من مبادئ الثورة خاصة بعد بداية انتشارها خارج فرنسا، مما نجم عنه أزمة داخلية وتحالف أوروبي ضدها، مما جعل فرنسا تتقرب من الدولة العثمانية بالرغم من موقفها من الجمهورية.
- 3- بالرغم من العلاقة التقليدية التي ميزت الدولتين الفرنسية والعثمانية والتي تعود إلى القرن السادس عشر إلا أن الحملة الفرنسية على مصر أثرت عليها خاصة في فترة حكم نابليون، وما رجوع العلاقة إلى طبيعتها إلا لتخوف الدولة العثمانية من أطماع الدول الأوروبية الأخرى.
- 4- تأثر العلاقة العثمانية الفرنسية راجع إلى المساعي الروسية لإفشال هذا التقارب الذي يهدد مصالحها وامتيازاتها في المضائق والبحر المتوسط في مقابل منح حرية الملاحة لفرنسا.
- 5- تأثر العلاقات العثمانية الفرنسية بعد الحملة على الجزائر 1830 أمام فشل كل التدخلات الدبلوماسية للدولة العثمانية، والتي انتهت بالتدخل العسكري الفاشل بإرسال حملات من تونس 1835 ثم من طرابلس 1837.
- 6- الاتصال الدائم بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية دبلوماسيا والذي أدخل على المجتمع العثماني من خلال سفارتها مبادئ غربية حملها سفراء من أمثال مصطفى رشيد والتي نرى أنها سرّعت في سقوط الدولة العثمانية نتيجة الصراع بين المؤسسات التقليدية العثمانية والغربية الجديدة.
- 7- اعتبار أن الامتيازات الأجنبية إحدى أهم أسباب سقوط الدولة العثمانية، والتي كانت تجعل من الامتيازات وسيلة ضغط لتوازن القوى في المتوسط، إلا أن هذا ما انفك ينعكس عليها مع أواخر القرن الثامن عشر خاصة بعد معاهدة كوجك كينارجي التي بموجبها حصلت روسيا على امتيازات أصبحت تمس بكيانها وتنخر جسدها.
- 8- نجاح الدبلوماسية العثمانية المتمثلة في شخص مصطفى رشيد في ظل التنافس الإنجليزي- الفرنسي، وتضارب المصالح والتناقضات التي انجرت عن ثورة محمد علي، وأطماع فرنسا في الجزائر حيث توصل إلى عقد اتفاقية - خنكاراسكلسي-.

9- استغلال الدولة العثمانية للصراع الإنجليزي- الفرنسي الذي انجر عنه الموقف المعادي لثورة مُحمَّد علي من طرف إنجلترا، ومنحا امتيازات تجارية أكدتها معاهدة التجارة 1837، والتي على أساسها كان تأييد إنجلترا لها ضد توسعات مُحمَّد علي.

10- كان للمصالح العثمانية في اليونان دور في تراجع موقفها من احتلال فرنسا للجزائر، ومحاولة استردادها مخافة المساس بكيانها أمام ارتباط العلاقة بين الباب العالي وعدد من البلاد التابعة له للعلاقات الدولية والمصالح الاقتصادية.

11- بالرغم من المساعي الدبلوماسية للدولة العثمانية والتي وإن استطاعت أن تؤجل سقوطها بفضل جهود مصطفى رشيد وذكائه، ولعبه دورا كبيرا في استغلال الظروف الدولية لصالح الدولة العثمانية ولو مؤقتا، إلا أنه فضل التنازل عن الجزائر مقابل الحفاظ على مناطق أخرى لم تساهم في منع سقوط الدولة العثمانية.

وباشتداد التنافس ظهر لنا ما يصطلح عليه بالمسألة الشرقية التي كان لها الأثر البالغ في إنعاسات على الدولة العثمانية والأقاليم التابعة لها وباعتبار الجزائر إحداها، توقفنا عند أهم ما انعكس عليها من جراء تذبذب العلاقات وتضارب المصالح، والذي تجسد في مجموعة الحملات التي شنتها بعض الدول الأوروبية على إيالة الجزائر، والتي خصصنا بالذكر منها الحملة الأمريكية على إيالة الجزائر 1815م، والحملتان الإنجليزيتان 1816م و1824م، ومن خلال تتبعنا لمراحل تلك الحملات، استنتجنا أنها لم تنجح منها سوى الحملة الفرنسية، حيث استطاعت هذه الأخيرة الانقضاض على إيالة الجزائر سنة 1830م، متذرعة بعدة أسباب وذرائع، وكان لهته الحملة عدة نتائج على جميع الأصعدة التاريخية السياسية الاقتصادية وكذا الاجتماعية الثقافية والدينية.

البيبيوغرافيا

البيبلوغرافيا

أولاً: المصادر باللغة العربية والمعربة:

1. ابن خلدون عبد الرحمان بن مُجَدِّد، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان 1424هـ / 2004م.
2. أبو القاسم الحجري، ناصر الدين على القوم الكافرين، تح: مُجَدِّد زروق، مطبعة النجاح، الدار البيضاء 1987م.
3. أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.
4. أحمد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومُجَدِّد الناصري، ج9، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1956م.
5. أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، ج5، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999م.
6. تشارل تشرشل، بين الدروز والموارنة في ظل الحكم التركي، تر: فندي الشعار، دار الفارابي 1980م.
7. الجبرتي عبد الرحمن، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج1، دار الجيل، بيروت، (د.ت.).
8. الجبرتي عبدالرحمن، مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيين يوميات الجبرتي، ج2، دار المعارف، القاهرة، (د.ت.).
9. سرهنك اسماعيل، حقايق الأخبار عن دول البحار، ج1، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، 1894.
10. سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تق وتع: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.

11. شارووم بك، ميخائيل، الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث، ج3، مطبعة بولاق، القاهرة، 1898م.
12. شكيب أرسلان، الدولة العثمانية، تح: حسن السماحي سويدان، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 2001م.
13. صالح العنتري، من مجاعات قسنطينة، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1974م.
14. عزيز سامح إتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تعر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، ج2، بيروت، 1989م.
15. على أكبر، تاريخ سياسي ودبلوماسي ايران، مج 1، (تهران، 1342).
16. عمر لطفي بك، الامتيازات الأجنبية مطبعة الشعب، مصر 1322هـ.
17. مُجَّد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، شرح وتع: ممدوح حقي، ط2، دار اليقظة العربية، بيروت، 1964م.
18. مُجَّد فريد بك، تاريخ الدولة العثمانية العلية، تح: إحسان حقي، ط1، دار نفائس، بيروت، 1401هـ/1981م.
19. مصطفى كامل، المسألة الشرقية، (د.ط)، الهداوي للثقافة والتعليم، القاهرة، 1898م.
20. ميرزا مهدي خان استربادي، جهانكشاي نادري، (تهران، 1331).
21. وليام شالر: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م، تع وتع وتق: اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.

ثانياً: المراجع باللغة العربية والمعربة:

22. اباضة، فاروق عثمان، الحكم العثماني في اليمن 1872-1918، القاهرة، 1975م.
23. إبراهيم عبد الفتاح، على طريق الهند، جمع وتع: شهاب أحمد الحميد، تق: كمال مظهر أحمد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط3، بغداد، 2004م.
24. إبراهيم، شحاته عيسى، القاهرة، دار الهلال، القاهرة، (د.ت).

25. أبشيرلي، مُجّد، نظم الدولة العثمانية، ضمن كتاب (الدولة العثمانية تاريخ وحضارة)، مج 1، إشراف: أكمل الدين إحسان أوغلو، تر: صلاح سعادوي، إسطنبول، 1999م.
26. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار البصائر، ج5، طبعة خاصة، الجزائر 2007م.
27. أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث - بداية الاحتلال-، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982م.
28. أبو حاكمة، تاريخ شرقي الجزيرة العربية، نشأة وتطور الكويت والبحرين 1750-1800، تر: مُجّد أمين عبد الله، دار الحياة، بيروت، 1965م.
29. ابو زيدون وديع، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، عمان، 2003م.
30. أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492هـ/1792م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1976م.
31. أحمد حافظ عوض، نابليون بونابرت في مصر، (د.ط)، كلمات عربية للنشر والتوزيع والترجمة القاهرة، (د.ت).
32. أحمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، دار الشرف ط1، القاهرة، 1982م.
33. أحمد فؤاد، متولي، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، القاهرة، 2005م.
34. أحمد كمال مظهر، النهضة، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، 1979م.
35. أحمد كمال مظهر، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، بغداد، 1985م.
36. أحمد كمال مظهر، من تأريخ الحروب الإيرانية الروسية، بغداد، 1984م.
37. إدريس الناصر، العلاقات العثمانية الأوروبية في القرن 16، ط1، بيروت، 2007م.
38. ازوتونا يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، مج 2، ط1، مؤسسة فيصل للتمويل، استنبول 1990م.
39. أسد رستم، لبنان في عهد المتصرفية، دار النهار للنشر، بيروت، 1973م.

40. الإسكندري عمر وآخرون، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، مر: الميجر. ج، سفد. ج، مطبعة المعارف، القاهرة، 1924م.
41. أكمل الدين إحسان أغلو، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تر: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول، 1999م.
42. أمال السبكي، أوروبا في القرن التاسع عشر، فرنسا في مئة عام، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، 1405هـ / 1985م.
43. أمال السبكي، أوروبا في القرن التاسع عشر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت).
44. اميل خوري وعادل إسماعيل، السياسة الدولية في المشرق العربي، 1789-1958 من الثورة الفرنسية إلى مؤتمر فينيا 1815، ج1، دار النشر للسياسية والتاريخ، بيروت، 1959م.
45. أميني ايرج، نابليون وإيران، تر: اردشير لطيف عليان، طهران، 1378م.
46. أنجلو ساماركو، قناة السويس مشكلاتها وتاريخها، تر: ولاد عفيفي عبد الصمد وآخرون، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، (د.ت).
47. انيس مُجَّد، الدولة العثمانية والشرق العربي 1514-1914، مطبعة الأنجلو المصرية، (د.ت).
48. أنيل ألكسندر روفادولينا، الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر، مُجَّد إبراهيم المعهد الاعلى، (د.م)، 1999م.
49. ايفا نون نيقولاوي، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574م، نقله إلى العربية يوسف عطا الله، مر: مسعود ظاهر، دار الفارابي، ط1، بيروت، 1988م.
50. براون كارل، السياسة الدولية والشرق الأوسط، تر: عبد الهادي حسين، مر: سعد ناجي، بغداد، 1978م.
51. البراوي فتحية وآخرون، الخليج العربي، دراسة في تاريخ العلاقات الدولية، منشأة المعارف الإسكندرية، (د.ت).

52. بطرس غالب، فرنسا صديقة ومحامية، (د.ط)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1923م.
53. بكديلي كمال، الدولة العثمانية من معاهدة قينارجة الصغرى حتى الانهيار، ضمن كتاب (الدولة العثمانية تاريخ وحضارة)، مج 1.
54. بولارد ريد، بريطانيا والشرق الأوسط من أقدم العصور حتى 1952، تر: حسن أحمد السلمان، مطبعة الرابطة، بغداد، 1956م.
55. البير اورتالي، العثمانيون في ثلاث قارات، تر: عبدالقادر عبد اللي، مر وتح: مركز التعريب والبرمجة، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، 1435هـ/ 2014م.
56. التكريتي، هاشم، المسألة الشرقية المرحلة الأولى 1774-1856، بغداد، 1990م.
57. ثريا فاروقي وآخرون، تاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية، تر: قاسم عبدة قاسم ط1، مج 2، دار المدار الإسلامي، 2007م.
58. جرانت أ. ج. وآخرون، أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين 1789-1950، تر: أحمد عزت عبد الكريم بهاء فهمي، (د.ط)، (د.د)، القاهرة، 1967م.
59. جفري برون، تاريخ أوروبا الحديث، تر: على مرزوقي، الاهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2006م.
60. جلال يحيى، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى، المكتب الجامعي الحديث، ج2، ط3، 2014م.
61. جلال يحيى، مصر الحديثة، (د.ط)، مطابع الإسكندرية، الإسكندرية، مصر، 1969م.
62. جمال قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790-1830، منشورات متحف المجاهد، الجزائر، (د.ت).
63. جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830م، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007م.
64. جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830م، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1987م.

65. جمال محمود حجر، القوى الكبر والشرق الأوسط في القرنين التاسع عشر والعشرون، تق: عمر عبد العزيز عمر، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1409هـ / 1989م.
66. جميل عبيد، قصة احتلال مُجَّد على اليونان 1824-1827، الهيئة العامة لمكتبة، الإسكندرية، 1990م.
67. جون باتيست وولف، الجزائر وأوروبا 1500-1830م، تعر وتغ: أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م.
68. جيلالي صاري، تجريد الفلاحين من أراضيهم 1830-1962م، تر: قندور عباد فوزية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2010م.
69. حسن حسني، عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، دار الكتب العربية، ط3، تونس، 1373هـ.
70. حسن حلاق، تاريخ الشعوب الإسلامية الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، لبنان، ط1، 2006م.
71. حسن عبد الفتاح أبو علي، الدولة العثمانية الوطن العربي الكبير، دار المريخ، الرباط، 2008م.
72. حسون، علي، العثمانيون والبلقان، ط2، بيروت، 1986م.
73. الحصار ميلاد المقرحي، تاريخ أوروبا الحديث 1453-1848م، منشورات جامعة قاروش، ط1، بنغازي، 1996م.
74. حقي احسان، أمام التحدي العالمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1403هـ / 1983م.
75. الحمداني، طارق نافع، ملامح سياسية وحضارية في تأريخ العراق الحديث والمعاصر، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1989م.
76. حنيفي هلايلي، الجزائر خلال العهد العثماني، ط1، دار الهدى الجزائر، 2007م.

77. حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة 1815-1830م، ط1، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2007م.
78. الحويك، الياس، تأريخ نابليون الأول، ج2، منشورات دار الهلال، بيروت، 1981م.
79. خالد زيادة اكتشاف التقدم الأوروبي دراسة في المؤثرات الأوروبية على العثمانيين في القرن 18، ط1، دار الطليعة للنشر، بيروت، 1981م.
80. خالد زيادة، الإصلاح العثماني في القرن الثامن عشر، ط1، بيروت، 1983م.
81. خالد فهمي، كل الرجال الباشا محمد علي وجيشة وبناء مصر حديثة، تر: شريف يونس، ط1، القاهرة، 2001م.
82. الخطاب، رجاء حسين، العراق والصراع العثماني الفارسي، بغداد، 2001م.
83. الخطيب، مصطفى عقيل، التنافس الدولي في الخليج العربي 1622-1763، المكتبة العصرية، بيروت، 1981م.
84. خليل اينا لجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، تر: محمد الارناؤوط، بيروت، 2002م.
85. خليل مراد وآخرون، دراسات في التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1988م.
86. خوري، أميل وآخرون، السياسة الدولية في المشرق العربي من سنة 1789 إلى سنة 1958، ج1، بيروت، 1959م.
87. الدجيلي حسن مجيد، ايران والعراق خلال خمسة قرون، دار الأضواء، بيروت، 1999م.
88. الدسوقي محمد كمال، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، القاهرة، 1976م.
89. الرافي عبد الرحمن، تأريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، ج2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958م.
90. الراقد محمد عبد المنعم، الغزو العثماني لمصر ونتائجه على الوطن العربي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة، الإسكندرية، 1972م.

91. رزق، يونان لبيب وآخرون، تاريخ العلاقات المغربية المصرية منذ مطلع العصور الحديثة حتى العام 1914، الدار البيضاء، 1980م.
92. رفاعي عبد العزيز، انتصار، مصر في رشيد 1807، دار القلم، القاهرة، 1962م.
93. رفعت، مُجّد، تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية، دار المعارف، القاهرة، 1959م.
94. روبر ما نتران، تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير السباعي، ط1، ج2، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، باريس 1989م.
95. روبر مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير السباعي، دار الفكر، ج2، القاهرة 1993م.
96. رولان موسية، تاريخ الحضارات والعالم عهد الانوار، تر: يوسف اسعد وفريد داغر، منشورات عويدات ط2، بيروت، 1987م.
97. زكي عبدالرحمن، القاهرة تاريخها وأثارها 969-1825، الرابطة المصرية للتأليف والنشر القاهرة، 1966م.
98. زيادة خالد، اكتشاف التقدم الأوروبي، دراسة في المؤثرات الأوروبية على العثمانيين في القرن الثامن عشر، دار الطليعة، بيروت، 1981م.
99. زين نور الدين زين، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولاية سوريا ولبنان، ط2، دار الناشر، (د.ت).
100. السروجي مُجّد، محمود، تاريخ الإسكندرية وحضارتها منذ أقدم العصور، الإسكندرية، 1963م.
101. سليمان بن مُجّد الغانم، قراءة جديدة لسياسة مُجّد علي باشا التوسعية 1811م-1840 في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا، ط1، مطبعة الكتب، رياض، 1980م.

102. سمير عبد الرسول العبيدي، السياسة العثمانية حيال البحر الأبيض المتوسط، جزيرة رودس أمودجا، الجامعة المستنصرية، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، قسم التاريخية، (د.ط)، (د.ت).
103. سنوا عبد الرؤوف، العلاقات الروسية العثمانية (1878-1987) سياسة الاندفاع عن المياه الدافئة، الحلقة الأولى، ع 73-74، تاريخ العرب والعلم، بيروت، 1984م.
104. السيد رجب جرار، المدخل إلى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال البريطاني 1882-1517، (د.ط)، (د.د)، القاهرة، 1970م.
105. سيد مُجَّد السيد، دراسات في التاريخ العثماني، ط1، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1416هـ/ 1996م.
106. شببكة، مكّي، تاريخ شعوب وادي النيل مصر والسودان في القرن التاسع عشر الميلادي، بيروت، 1965م.
107. شكري مُجَّد فؤاد وآخرون، نصوص ووثائق في التاريخ الحديث والمعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ت).
108. الشناوي عبد العزيز مُجَّد، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980م.
109. شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000م.
110. صالح زكي، بريطانيا والعراق حتى عام 1914، دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري، بغداد، 1968م.
111. صالح، مُجَّد مُجَّد، أوروبا من عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية 1500-1789، بغداد، 1982م.
112. صبري مُجَّد، تاريخ العصر الحديث معرض مُجَّد علي إلى اليوم، ط2، مطبعة مصر، القاهرة، 2000م.

113. صفوت مُجَّد مصطفى، المسألة الشرقية ومؤتمر باريس، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، 1958م.
114. صفوت مُجَّد مصطفى، إنكلترا وقناة السويس 1854-1951، مطابع رمسيس، الإسكندرية، 1952م.
115. صفوت مصطفى مُجَّد، محاضرات في المسألة الشرقية ومؤتمر باريس، (د.ط)، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، 1958م.
116. الصلابي علي مُجَّد، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، القاهرة، 2004م.
117. صلاح العقاد، المغرب العربي الجزائر-تونس-المغرب الأقصى، مكتبة المصرية، القاهرة، مصر، 1962م.
118. طقوش مُجَّد سهيل، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة 1299-1914، بيروت، 1995م.
119. طه جاد، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، دار الفكر العربي، القاهرة، 1969م.
120. الطويل مُجَّد سعيد، البحرية الطرابلسية في عهد يوسف القرملي (1795-1832م)، ط1، دار الكتب الوطنية بنغازي، ليبيا، 2000م.
121. العابد صالح، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي 1798-1810، مطبعة العاني، بغداد، 1979م.
122. العامر، يقظان سعدون، نشاط شركة الهند الشرقية الإنكليزية في البصرة، مطابع التعليم العالي، البصرة، 1990م.
123. عائض بن حزام الرواقي، حروب مُجَّد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية 1247-1255هـ / 1831-1839م)، مطابع جامعة ام القرى، الرياض، 1998م.
124. عبد الرحمن الرافعي، عصر مُجَّد علي، مطبعة دار المعارف، القاهرة، 2001م.
125. عبد الرحمن الرافعي، عصر مُجَّد علي، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1989م.

126. عبد الرحمن تشانجي، المسألة التونسية 1881-1913، تر: عبد الجليل التميمي، تونس، 1973م.
127. عبد الرحمن زكي، إبراهيم باشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1948م.
128. عبد الرؤف سنو، العلاقات الروسية العثمانية سياسة الاندفاع نحو المياه الدافئة، الحلقة الأولى، ع 74. 73، تاريخ العرب والعالم، بيروت، 1984م.
129. عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1، مطبعة الانجلو مصرية القاهرة، 1983م.
130. عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد ننعني، التاريخ المعاصر، أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، دار النهضة العربية، بيروت، 1973م.
131. عبد العزيز سليمان نوار، التاريخ الأوروبي الحديث، من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ط1، مصر، 2005م.
132. عبد العزيز نوار، الشعوب الإسلامية الأتراك العثمانيون الفرس، بيروت، دار النهضة العربية، 1396هـ/ 1972م.
133. عبد الفتاح ابو الفضل عبد الفتاح، الصحوة المصرية في عهد محمد علي، (د.ط)، القاهرة، 1998.
134. عبد الفتاح ابو علية واسماعيل أحمد ياغي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ط3، دار المريخ للنشر، الرياض، السعودية، 1993م.
135. عبد الفتاح حسن أبو عليه، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، (د.ط)، دار المريخ للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1989م.
136. عبد الكريم، أحمد عزت، دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1970.
137. عبد المنعم شعيب، المختصر في تاريخ مصر من أقدم العصور حتى الاحتلال البريطاني، ط1، دار للنشر والتوزيع، مصر، (د.ت).

138. عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، مج 7، (عهد بني مرين والوطاسيين)، مطابع الفضالة بالمحمدية، المغرب الأقصى، 1986م.
139. عرف حسن الدراندلي، الحملة الفرنسية على مصر، في ضوء مخطوط عثمانية، مخطوطة ضيان امه، تر جمال سعيد عبد الغني، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1999م.
140. العقاد، صلاح، الاستعمار في الخليج العربي، القاهرة، (د.ت).
141. علي حسون، العثمانيون والروس، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1402هـ/ 1986م،
142. علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، ط1، المكتب الإسلامية، بيروت، 1402هـ/ 1982م.
143. علي حيدر سليمان، تاريخ الحضارة الأوروبية الحديثة، دار واسط للدراسات والنشر، بغداد 1990م.
144. علي سلطان، تاريخ الدولة العثمانية، (د.ط)، منشورات مكتبة طرابلس، (د.م).
145. علي عبد المنعم شعيب، الصراع الإيطالي الفرنسي علي بلاد الشام (1960-1941م)، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2002م.
146. عمار حمداني، حقيقة الغزو الجزائري، تعر: لحسن زغدار، ط2، منشورات ثالة، الجزائر، 2008م.
147. عمر الإسكندري وآخرون، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، ط1، مكتبة مديبولي، القاهرة، 1996م.
148. عمر الإسكندري وآخرون، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، مر: الميجر. ج، سفد. ج، مطبعة المعارف، القاهرة، 1924م.
149. عمر عبد العزيز عمر، تاريخ لبنان الحديث 1516-1915، دار النهضة العربية، بيروت، 2004م.

150. عمر عبد العزيز عمر، دراسات في التاريخ العربي الحديث والمعاصر (1516-1922م)، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).
151. عمر عبد العزيز، محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، (د.م)، 2010م.
152. عيسى الحسن الدولة العثمانية عوامل البناء وأسباب الانهيار، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2009م.
153. عيسى الحسن تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2008م.
154. الغالي عربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288-1916م، (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، أكتوبر 2007م.
155. الغنام، سليمان، سياسة محمد علي باشا التوسعية في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا 1811-1840، ط2، (بيروت، 2004).
156. فشر، هيرت، اصول التأريخ الأوروبي الحديث من النهضة الأوروبية إلى الثورة الفرنسية، تر: زينب عصمت راشد، وأحمد عبد الرحيم مصطفى، (دار المعارف، القاهرة، 1962).
157. فشر، هيرت، تاريخ أوروبا في العصر الحديث 1798-1950، تعر: أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، ط2، (القاهرة، 1972).
158. فهمي خالد، كل رجال الباشا محمد علي وجيشه وبناء مصر الحديثة، تر: شريف يونس، ط1، القاهرة، 2001م.
159. فيدوسوف، بيفانوف، تاريخ الاتحاد السوفيتي، تر: خيرى الضامن ونيقولا طويل، (دار التقدم، موسكو، د.ت).
160. فيليب حي، لبنان في التاريخ، تر: أنيس فريجة، دار الثقافة، بيروت، 1959م.
161. القدوري عبد المجيد، سفراء عرب في أوروبا (1610-1922م)، الوعي بالتفاوت، دار المطابع الشرقية، (د.م)، 1998م.

162. قيس جواد الغزاوي الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الإنحطاط، ط2، مطبعة المتوسط، بيروت، 2003م.
163. كارل براون، السياسة الدولية والشرق الإسلامي، تر: عبد الهادي حسنين، بغداد، 1987م.
164. كارل بركلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر نبيه أمين فارس، ط6، دار العلم للطالبين، بيروت، 1974م.
165. كبة، إبراهيم، دراسات في تاريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي، ج1، (ط2، بغداد، 1977).
166. كرد علي محمد عبد الرزاق، خطط الشام، ط3، مكتبة النوري، دمشق، 1983م.
167. كمال الدين حسان أوغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تر: صالح سعداوي، (د.ط)، إسطنبول، 1999م.
168. كواترت، دونالد، الدولة العثمانية 1700-1922، تر: أمين منازي، (الرياض، 2004).
169. كيلبي، جون، بريطانيا والخليج العربي 1795-1870، ج1، تر: محمد أمين عبد الله، (مطبعة عيسى البابي وشركائه، 1965).
170. لبيب حسين، تاريخ الأتراك العثمانيين، ج2، تر حبيب لبيب، (د.ط)، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.
171. لبيب، حسين، تاريخ المسألة الشرقية، (مطبعة الهلال، القاهرة، 1921).
172. لوتسكي، فلاديمير، تاريخ الأقطار العربية الحديث، تر: عفيفة البستاني، (دار التقدم، موسكو، 1971م).
173. لونكريك، ستيفن همسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، تر: جعفر خياط، (بغداد، ط4، 1968).
174. ليفيير، جورج، عصر الثورة الفرنسية، تر: جلال يحيى، (دار الكتب الجامعية، الإسكندرية، 1970).

175. ليلي الصباغ، الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين 16-17، بيروت، ط1، 1989م.
176. مانتران، روبير، الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر، الضغط الأوروبي، ضمن كتاب (تاريخ الدولة العثمانية)، ج1، (د.ت).
177. محفوظ قداش وجيلالي صاري، الجزائر صمود ومقاومات 1830-1962م، تر: خليل أوذانية، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، 2012م.
178. مُجّد إبراهيم حسن، دراسات في جغرافية أوروبا وحوض البحر المتوسط، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر 1999م.
179. مُجّد أحمد ترحيني، الاسس التاريخية لنظام لبنان الطائفي، دراسة مقارنة دار الآفاق الجديدة، بيروت، 2012م.
180. مُجّد التونخي، بلاد الشام إبان العهد العثماني، (د.ط)، (د.د)، بيروت، 2004م.
181. مُجّد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792-1830م، ط2، م.و.ك، الجزائر، 1984م.
182. مُجّد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
183. مُجّد جميل بيهم، الحلقة المعقودة في تاريخ العرب، ط1، (د.م)، 1993م.
184. مُجّد حسين كامل، طائفة الدرّوز تاريخها وعقيدتها، دار المعارف للطباعة، القاهرة 1960م.
185. مُجّد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط2، مكتبة الشرق، لبنان، 1969م.
186. مُجّد رفعت بك، التيارات السياسية في حوض البحر الأبيض المتوسط، ملتزمة الطبع والنشر لجنة البيان العربي، مصر، 1949م.
187. مُجّد سعيد العثماني، تاريخ المصريين (مصر والحملة الفرنسية)، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1999م.

188. مُجَّد سعيد العشماوي، مصر والحملة الفرنسية، (د.ط)، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1999م.

189. مُجَّد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط3، دار النفوس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2013م.

190. مُجَّد عابدين حمادة، تاريخ الشرق والغرب منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى نهاية

الحرب العالمية الأولى.

191. مُجَّد عبد الستار البدري، المواجهة المصرية الأوروبية في عهد مُجَّد علي، ط1، دار الشروق، مصر، 2001م.

192. مُجَّد عبد الفتاح أبو الفضل، الصحوة المصرية في عهد مُجَّد علي، (د.ط)، القاهرة، 1998م.

193. مُجَّد عبد اللطيف البحراوي، حركة الإصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني 1808-1839، ط1، القاهرة، 1978م.

194. مُجَّد علي الغنيت، الشرق والغرب، مطابع الدار القومية للطباعة والنشر، (د.ت).

195. مُجَّد فؤاد شكري، مصر مطلع القرن التاسع عشر، مطبعة جامعة القاهرة، 1958م.

196. مُجَّد فويدك المحامي، تاريخ الدولة العثمانية، تح: إحسان حقي، ط11، دار النفائس، بيروت، 2009م.

197. مُجَّد كامل الدسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، (د.ط)، مطبعة القاهرة، القاهرة، 1976م.

198. مُجَّد مصطفى صفوت، محاضرات في المسألة الشرقية ومؤتمر باريس، (د.ط)، معهد الدراسات العالية، القاهرة، 1958م.

199. مُجَّد، نجاح، من معطيات المسألة الشرقية العربية، التآمر البريطاني-العثماني والوجود المصري في شبه جزيرة العرب 1811-1840، دراسات تاريخية، بيت الحكمة السنة الحادية والعشرين، ع 71، 72، (بغداد، 2000).

200. محمود السروجي، مصر والمسألة الشرقية في النصف الثاني من القرن التاسع، (د.ط)، جامعة الإسكندرية مطبعة المصري، (د.ت).
201. محمود باشا مُجّد، الاستلاء على إيالة الجزائر أو ذريعة المروحة، تع: عزيز نعمان، دار الأمل، الجزائر، 2005م.
202. المسعودي، الدولة العثمانية في لبنان وسورية حكم أربعة قرون 1517، (د.ط)، (د.م)، 1916م.
203. مصطفى أحمد عبد الرحيم، أصول التاريخ العثماني، ط1، دار الشرق، بيروت، 1402هـ/ 1982م.
204. مصطفى الغاشي، الرحالة الفرنسيون والدولة العثمانية، كلية الآداب، تطوان.
205. مصطفى عبد القادر، التاريخ السياسي لإمارة عربستان العربية 1897-1925، (دار المعارف، مصر، 1971).
206. مصطفى، أحمد عبد الرحيم، أصول التاريخ العثماني، (بيروت، 1982).
207. المقرحي، ميلاد، تأريخ أوروبا الحديث 1453-1848، (منشورات جامعة قار يونس بنغازي، 1996).
208. المنور مروش: دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، دار القصة للنشر، ج2، الجزائر، 2009م.
209. مولاي بلحميسي، الجزائر والغزو البحري في القرن 16م، في م.ت.ح.م، جامعة الجزائر، 1968م، ع4.
210. مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، ج1، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2007م.
211. نادية محمود مصطفى، العلاقات الدولية في تاريخ الإسلام في العصر الحديث من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية، المعهد العلمي للفكر الإسلامي، 1981م.

212. نادية محمود مصطفى، **العصر العثماني من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة**، ط1، المعهد العلمي الفكر الإسلامي، القاهرة، 1990م.
213. نجم الدين بير قدار، **العثمانيين حضارة وقانون**، بيروت، 2014م.
214. نوار، عبد العزيز، **داود باشا والي بغداد**، (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968)، هامش رقم (3).
215. نوال قاسم، **تطور الصناعة المصرية منذ عهد محمد علي حتى عبد الناصر**، القاهرة، 1987م.
216. نور الدين حاطوم، **تاريخ القرن التاسع عشر في أوروبا والعالم**، ج2، ط1، دار الفكر، دمشق، 1416هـ / 1995م.
217. نورس، علاء، **العراق في العهد العثماني دراسة في العلاقات السياسية 1700-1800**، (دار الحرية للطباعة، بغداد 1979).
218. هارولد ف. يعقوب ك. س. آي، **ملوك شبه الجزيرة العربية**، تر: أحمد الضواحي، ط2، دار العودة، (بيروت، 1988).
219. هارولد لامب، **سليمان القانوني**، تر: شكيب محمود، بغداد، 1961م.
220. هاشم صالح الكتلوكي، **الصراع بين الكبرى في البلقان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر**، (د.ط)، 2008م.
221. هيرت فيشر، **تاريخ أوروبا في العصور الحديثة (1789-1950م)**، تر: أحمد نجيب وغيره، ط4، دار المعارف، مصر، 1964م.
222. هند لورنس وآخرون، **الحملة الفرنسية في مصر**، (د.ط)، سينا للنشر، القاهرة، 1990م.
223. هنري لورنس، **الحملة الفرنسية على مصر بونابرت والإسلام**، تر: بشير السباعي، ط، مصر، 1990م.
224. وديع أبو زيدون، **تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط**، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2003م.

225. الوردى علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج1، من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر، قم، 2004م.
226. ياغي، اسماعيل أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، الرياض، 1996م.
227. يحيى، جلال، البحر الأحمر والاستعمار، القاهرة، 1962م.
228. يسري الجوهري، جغرافية البحر المتوسط، منشأ المعارف بالإسكندرية، القاهرة، 1984م.
229. يشر روجر، أوروبا العثمانية 1354-1804م في أصول الصراع العرقي في العرب والبولسنة، تر: عصام الدسوقي، ط1، القاهرة، 1994م.

ثالثاً: المقالات باللغة العربية:

230. إبراهيم سعيود، القرصنة المتوسطة خلال الفترة الحديثة "القرصنة الإيطالية نموذجاً"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع11، 145-162، قسم التاريخ المركز الجامعي غرداية، الجزائر، 2011م.
231. إبراهيم، افندي، المصباح الساري ونزهة القاري، بيروت، 1855م.
232. إبراهيم، محمد فؤاد وآخرون، اللورد نلسن، مجلة المعرفة، مج 17، ع 77، جنيف، 1971م.
233. أحمد عبد الله الجبري، مشاريع تقسيم الدولة العثمانية وموقف منه 1844-1856م، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية والتربية، مج 7، ع 3، العراق، 2012م.
234. اسماعيل العربي، قصف الأسطول البريطاني للجزائر وأثره في الأدب الإنجليزي، الثقافة، الجزائر، ع 42، 1398هـ / 1978م.
235. اسماعيل، جاكلين، سياسة بريطانيا في الخليج والكويت في القرن التاسع عشر، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، ع 16، السنة الرابعة عشر، الكويت، تشرين الأول، 1978م.
236. أمين عبد الأمير محمد، سجلات يوميات مقيمة البصرة 1798-1811، مجلة المؤرخ العربي، ع 4، بغداد، 1980م.

237. أمين مُجَّد، القرصنة وشروط افتداء الأسرى الإسبان بالجزائر في القرن الثامن عشر، مجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع21، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، سبتمبر 2000م.
238. انيس مُجَّد، النشاط الأوروبي بمصر وجيرانها اواخر القرن الثامن عشر - مصادره - وثائقه، المجلة التاريخية المصرية، مج 2، ع 2، القاهرة، تشرين الأول، 1949م.
239. ايمان متعب، مقال السياسة الخارجية والداخلية في روسيا في عهد بطرس الكبير (1672-1725م)، مجلة المستنصرية، الجامعة المستنصرية، قسم التاريخ، العراق، (د.ت).
240. البديري خضير مظلوم، العلاقات الفرنسية الإيرانية 1804-1809، مجلة القادسية، مج 1، ع 3، أيلول / تشرين الأول، القادسية، 2001م.
241. البيضاني إبراهيم سعيد، العلاقات البريطانية-الفرنسية 1798-1815 وتأثيرها في الولايات المتحدة، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، ع 6، بغداد، 2001م.
242. التكريتي، هاشم صالح، الصراع الدبلوماسي بين إنكلترا وفرنسا قبيل حرب المئة عام 1329-1337، المجلة التاريخية العراقية، ع 4، بغداد، 1975م.
243. التكريتي، هاشم، الصراع الروسي-الفرنسي في البلقان في مطلع القرن التاسع عشر، مجلة المؤرخ العربي، ع 40، السنة الرابعة عشر، بغداد، 1989م.
244. جاسم، عبد الجبار عطوي، ملاحظات حول أساليب تغلغل النفوذ الأوروبي في الخليج العربي قبل الحرب العالمية الأولى، مجلة الخليج العربي، ع 10، جامعة البصرة، 1978م.
245. جمال قنان، معركة السطاوالي، في م.د.ت، الجزائر، ع 8، 1993-1994م.
246. الجوراني، عبد الزهرة مكطوف، دور روسيا القيصرية في الأطاحة بنابليون، مجلة الفتح، الجامعة المستنصرية، مج 2، ع 3، بغداد، 1998م.
247. جيروم، ب. وايز، المغرب وقرصنة المغاربة في القرن السابع عشر ميلادي، تعر: طارق العسكري وعبد الهادي التازي، مجلة البحث العلمي، جامعة مُجَّد الخامس، السنة السادسة عشر، ع 29-30، الرباط، المغرب 1399هـ/1979م.

248. حاتم، صالح مُجَّد، النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية في الهند والمحيط الهندي (1600-1756)، مجلة المعلم الجامعي، جامعة البصرة، ع 3، 1999م.
249. حيدر صبري شاكر الخيواني وآخرون، نتائج الحرب الروسية العثمانية 1877-1878م، مجلة جامعة كربلاء العلمية، مج 13، ع 2، 2015م.
250. زهرة زكية: التنافس الفرنسي الإنجليزي على الجزائر وموقف الباب العالي من 1792-1830م، في م.د.ت، الجزائر، ع 11 و 12، 1421هـ/2000م.
251. السامرائي، نوري، تطلعات روسيا القيصريّة نحو فلسطين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة المجمع العلمي، ج 4، مج 51، بغداد، 2004م.
252. سنو عبد الرؤوف، العلاقات الروسية العثمانية (1687-1878) مسألة البحر الأسود والأزمة البلقانية، مجلة تاريخ العرب والعالم، ج 4، ع 79-80، بيروت، 1985م.
253. سوسه، أحمد نسيم، التعليل التاريخي لمنشأ الامتيازات الأجنبية في الإمبراطورية العثمانية، جريدة السياسة، جريدة نداء الشعب، بغداد، ع 380، 12 شباط 1931، ع 386، في 22 شباط، 1931، بغداد، في 13 و 20 كانون الثاني، 1931م.
254. سيار جميل، البحر المتوسط، الشرعية التاريخية العربية، (مساهمة معرفية في تصحيح بعض المفاهيم)، مجلة دراسات عربية، دار الطليعة، ع 9، بيروت، 1988م.
255. صفوت مُجَّد مصطفى، الجلاء الإنكليزي عن مصر وبعثه سير هنري دروم ندولف، المجلة التاريخية، مج 2، ع 1، القاهرة، 1949م.
256. الصياد، مُجَّد محمود، الرحالة الأجانب في الجزيرة العربية قبل القرن التاسع عشر، مجلة المؤرخ العربي، ع 14، بغداد، 1980م.
257. العابد، صالح مُجَّد، هل استهدفت الحملة الفرنسية لمصر غزو الهند، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، ع 1، بغداد، 1981م.
258. عبد الجليل التميمي، رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في ق 16م، المجلة التاريخية المغربية، ع 29-30، 1983م.

259. عبدالله بن مُحمَّد بن حسين أبو داهش، ظهور الشيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب في بلدان جنوب الجزيرة العربية، مجلة الدارة، ع 10، الرياض، 1984م.
260. على تابست، مذكرة سيدني سميث ضد النشاط البحري لدول المغرب، في م.د.ت، جامعة الجزائر، ع 7، 1414هـ / 1993م.
261. علي شاكرا، تجربة مُحمَّد علي باشا (1805-1840)، مجلة آفاق عربية، ع 9، ايلول، بغداد، 1993م.
262. غالب أحمد العربيات وآخرون، الموقف الروسي من التدخل المصري في بلاد الشام 1831، 1814، قراءة جديد في التدخل الدولي، ع 117-118، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن، 2012م.
263. مجلة المؤرخ العربي، ع 31، السنة الثانية عشرة، بغداد، 1987م.
264. مُحمَّد العربي الزبيري، مقاومة الجزائر للتكتل الأوروبي قبل الاحتلال، الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ع 12، 1392هـ / 1973م.
265. مُحمَّد محمود السروجي، التنافس بين بريطانيا وفرنسا في البحر المتوسط، مجلة المؤرخ العربي، ع 4، المطبعة الجامعية، بغداد، 1977م.
266. محمود عبد الواحد وآخرون، الدولة العثمانية بين الميول الانفصالية ومحاولات الحكم المركزي 1808-1839، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، ع 7، بغداد، 2001م.
267. محمود، صالح رمضان، الصراع الإنكليزي الفرنسي في مصر 1763-1882، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، ع 17، تموز، الكويت، 1976م.
268. المشهداني، خليل إبراهيم صالح، موقف بريطانيا من نشاط القوى المحلية والأقليمية والدولية في الخليج العربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية العشرين، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع 54، بغداد، 2001م.
269. ناصر الدين سعيدوني، الحصار البحري الفرنسي على السواحل الجزائرية 1827-1830م، في م.د.م، تونس، ع 5، جانفي 1976.

270. النجار، مصطفى عبد القادر، شركة الهند الشرقية ملامحها وأبرز سماتها في الخليج العربي 1600-1858، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، ع 15، السنة الرابعة، الكويت، تموز، 1978م.
271. النجار، مصطفى عبد القادر، عربستان وشخصيتها العربية، مجلة الخليج العربي، مج 13، ع 12، البصرة، 1981م.
272. نورس، علاء، الدبلوماسية البريطانية في العراق 1808-1823، مجلة المؤرخ العربي، ع 18، 1981م.
273. نورس، علاء، مدى مسؤولية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية، مجلة كلية الآداب، ع 30، بغداد، 1981م.
274. هدى علي بلال، الصراع العثماني المصري علي بلاد الشام والوقف الدولي من 1830-1841، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية 59، مج 10، ع 4، جامعة الموصل، 2011م.
275. وليد العريضي، تاريخ الامتيازات في الدولة العثمانية وآثارها مجلة الدراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 4، ع 1، الكويت، 1997م.
276. وليد صبحي العريض، تاريخ الامتيازات في الدولة العثمانية وآثارها، مجلة دراسات عربية، ع 1، مج 4، الأردن، 1997م.
277. اليوسف، عبد القادر أحمد، العصور الوسطى الأوروبية 476-1500، بيروت، 1967م.

رابعاً: المذكرات والأطروحات باللغة العربية:

▪ أطروحة دكتوراه:

278. أحمد، بان غانم، العلاقات العثمانية الألمانية، 1882-1918، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، 2001م.
279. الأموي، محمد عصفور سلمان، حركة الإصلاح في الدولة العثمانية وأثرها في المشرق العربي 1839-1908، أطروحة دكتوراه، مقدمة الكلية الآداب، جامعة بغداد، 2005م.

280. إيمان بنت علاء الدين إبراهيم صائغ، العلاقات العثمانية النمساوية (1219-1284هـ) (1804-1868م)، دراسة تاريخية حضارية، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ، السعودية، 1436هـ / 2015م.
281. البديري خضير مظلوم، سياسة بريطانيا تجاه إيران 1896-1919، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب جامعة بغداد، 1991م.
282. بوعزة بوضر ساية، المسألة البربرية في السياسة الاستعمارية الفرنسية 1830-1930م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، الدولة في التاريخ، جامعة وهران، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ والآثار، 2004م.
283. صالح، خليل إبراهيم، العلاقات البريطانية الإيرانية 1857-1907، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، 1997م.
284. الصياد، سامي صالح، الصراع البريطاني الفرنسي على مشروع قناة السويس، أطروحة دكتوراه قدمت إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، 2006م.
285. العبيدي، سؤدد كاظم، السياسة البريطانية تجاه منطقة القرن الأفريقي، 1839-1914، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، 2002م.
286. قرباش بلقاسم، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830م)، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف بوغفالة ودان، جامعة مصطفى إسطنبولي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، معسكر الجزائر، 2015-2016م.
287. المشايخي، علي خضير، السياسة البريطانية في البحر الأحمر 1798-1882، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية لآداب، جامعة بغداد، 1997م.
288. نسيم عبد العزيز عبد الحاج علاوي، الاتجاهات الإصلاحية في الدولة العثمانية 1623-1789، أطروحة دكتوراه، كلية الأدب، جامعة الموصل، 2006م.
289. هادي، جاسم مُجّد، التغلغل البريطاني في الهند 1668-1764، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، 2001م.

▪ رسالة ماجستير:

290. إحسان سعيد، التدخل الاجنبي في شؤون لبنان من 1840 إلى 1861، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب، 1977م.
291. التكريتي، نصير خير الله نحمد، التغلغل الأجنبي في مصر، 1863-1879، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية، جامعة تكريت، 2005م.
292. الجبوري، أحمد عبد الله، الفكر السياسي في مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الأولى 1850-1914، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، 2001م.
293. الدليمي فواز مطر، تغلغل النفوذ البريطاني في العراق 1869-1914، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، 1989م.
294. الربيعي، هيفاء شاكر، التطورات السياسية في إيرلندا 1789-1868، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، 2000م.
295. الزبيدي، عدنان هرير جوده، عمان وسياسة نادر شاه التوسعية، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، 1983م.
296. زهراء أحمد خليل، الامتيازات الأجنبية في بلاد الشام في العهد العثماني من أواسط القرن 18 حتى الحرب العالمية، رسالة ماجستير، جامعة البصرة.
297. الشويلي، زيدان حسان حاوي، مؤتمر فينا 1814-1815، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، 2004م.
298. صالح حمر، التحالف الأوروبي ضد الجزائر عام 1541م وتأثيرات الإقليمية والدولية، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر 2006-2007م.
299. العبيدي، أحمد ناطق، مضائق البسفور والدردييل 1774-1815، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، 2003م.

300. علي حودة صبيح، روسيا القيصرية في عهد الإمبراطورية كاترين الثانية 1712-1796، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة، كلية الدراسات التاريخية، 2010م.
301. عمار عياد المبروك، البحرية في عهد الموحدين، رسالة ماجستير، جامعة الفاتح، ليبيا، 1991م.
302. غانية بعيو، التنظيمات العثمانية واثرها على الولايات العربية، الشام، العراق نموذجاً 1839-1876، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف الغالي غربي، جامعة الجزائر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2008-2009م.
303. فاطمة بوجلطي، انعكسات الامتيازات الاجنبية على بلاد الشام خلال القرن 19م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف الغالي غربي، جامعة الجزائر2، بوزريعة كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، 2010/2011م.
304. الفتلاوي، آلاء حمزة، السياسة البريطانية تجاه تركيا 1919-1923، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب جامعة بغداد، 2000م.
305. القيسي، محمود عبد الواحد، النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية الإنكليزية في الهند 1600-1668، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد.
306. كمل حسنة، العلاقات العثمانية الفرنسية في عهد السلطات سليم الثالث 1789-1807، رسالة ماجستير كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2005-2006م.
307. مُجَّد السعيد بوبكر، العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية خلال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي (1119-1206هـ / 1708-1792م)، مذكرة ماجستير، مركز الجامعي غرداية، الجزائر 2010-2011م.
308. المكصوسي، علي حسن علي، تطورات ايران الداخلية في ظل الاحتلال الأفغاني 1722-1729، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية، جامعة واسط، 2006م.
309. الياسري، يونس عباس، سياسة بريطانيا تجاه مستعمراتها في أمريكا الشمالية 1762-1776، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية، جامعة بابل.

خامساً: القواميس والموسوعات:

310. أحمد مهدي الشويخات، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط2، ج9، الرياض، 1999م.
311. أحمد مهدي الشويخات، الموسوعة العربية العالمية، موسوعة إلكترونية، ط3، (د.د)، المملكة العربية السعودية، 1425هـ/2004م.
312. جوان ادوار، مصر في القرن التاسع عشر، تر: مُجّد مسعود، ط2، القاهرة، 1931م.
313. جودت، تاريخ جودت، مج8، إسطنبول، 1309م.
314. حسين مُجّد نصار، الموسوعة العربية الميسرة، المكتبة العصرية، ج2، ط2، بيروت، 2009م.
315. روجر باركنس، موسوعة الحروب الحديثة، ج2، تر: عبد الرحيم الجلبي، دار مأمون، بغداد، 1990م.
316. الشويخات امد مهدي مُجّد، الموسوعة العربية العالمية، ج19، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، 1999م.
317. العريس، مُجّد، موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر العثماني، (دار اليوسف، بيروت، 2005).
318. المبارك صفاء عبد الوهاب، البصرة في العهد العثماني 1638-1800، موسوعة البصرة الحضارية الموسوعة التاريخية، جامعة البصرة، 1989م.
319. مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافيا، (د.ط)، ج8، مؤسسة متياد، لبنان، 1997م.
320. مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج12، دار النهضة، بيروت، 1998م.
321. موسوعة التاريخ الحديث، ج2، تر: سوسن فيصل، بغداد، 1992م.

سادسا: المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

بالإنجليزية:

1. Anderson, M. S. The Eastern Question 1774- 1923, A Study in International Relation, (New York, 1966).
2. Anderson. M. Britain's Discovery of Russia 1553-1815, (London, 1958).
3. Anderson. M. S. The Great Powers and the Near East 1774-1923. Documents of Modern History, (London, 1970).
4. Anglo -Turkish Relations 1826-1853, (New York, 1970).
5. Antoine, A, Memoirs of Napoleon Bonaparte, Edited by R. w. Phipps, Vol 11, (New York, 1991).
6. Armajani, yahya, Middle East past and present, (New Jersey, 1970).
7. Benguetaf A/hafid, The Barbary Treaties between The USA and Algiers (1795-1816). Revue ossour N°17-18, jun-December, 2010.
8. Brace. M. Richard, The Making of Modren world, (New york, 1960).
9. Capitulation between France and Great Britain and Turkey, 30, August 1801, Quoted in: The Consolidated Treaty Series, Vol 56
10. Cavin, Aden under British rule 1839 -1967, (London, 1975).
11. Cook, History of the Ottoman mpire to 1730, (Cambridge, 1976).
12. Crawley, The Near East andthe Ottoman Empire 1798- 1830 in the New Cambridge Modern History, Vol. IX, (CambridgeUniversitypress, 1965). p 544
13. Creasy. E. S., History of Ottoman Turks, from the beginning of Empire to the present time, Vol. II, (London, 1956).
14. Daniel Panzac, Barbarycorsasairs, The end of a lagend 1800-1820, Tr Victoria Hobson, Leide, Brill, 2005.
15. Dowell, Henry, The founder of modern Egypt A study of Muhammad Ali, (Cambridge, 1931).
16. Duffy, Christopher, Russia's Military way to the west Origins and Nature of Russian Military Power 1700-1800, (London, 1973).

17. Fatima Maameri, Ottoman Algeria in western Diplomatic History With Particular Emphasis on With the United States of america, 1776-1816, The faculty of latters and languages, A theis for the Degree of Doctorate d°etat, 2008.
18. Findiey. r. carter, The Foundation of the Ottoman foreign Ministry, international of Juornal of middle East studies, vol. 3, (Cambridge, July, 1972)
19. George. M. F. A History of England, (New York, 1957).
20. Grant. A. G. A History of Europe, Part IV Europe in the nineteenth Century 1789 -1918, (London 1968).
21. Gregory Fromont-Barnes, TheWar of The Barbary pirates to The Shores Of Tripoli, The Rise of the US Navay and Marimes, OXFORD, osprey publishing, 2006..
22. Hayes. J. Carlton, History of Europe, Vol. V, (New York, 1949).
23. Heniry -la frame déramât le monde pains 1945.
24. Holt, P. Egypt and the fertile crescent 1516-1922 Apolitical History, (New York, 1966).
25. Hurewitz. J C. Diplomacy in the Near and Middle East, A Documentary Record 1535-1914, Vol. I, (New York, 1956).
26. Hurewitz. J. C. The Middle East and North Africa in world Politics, A documentary Record, Vol. I, Second Edition, (London, 1975)
27. Kaman. Henry Spain 1469-1714 A Society of Conflict, Second Edition, (London, 1991).
28. Karpat. H. Kemal, The, Transformation of the ottoman state, 1789-1908, in international
29. Kinross, The ottoman centuries, The rise and Fall of the Turkish Empire, (New York, 1977).
30. Lenczwski. G. The Middle East in world Affairs, (London, 1980).
31. Lewis, G, Turkey, Second edition, (New York, 1960).
32. Lipson. E, Europe in the nineteenth century 1815-1914, 6th edition, (London, 1944).

33. Lunt. M. E, History of England, Third Edition, (New York, 1947).
34. Marriott, the Eastern Question, An Historical Study in European Diplomacy, (Oxford, 1969).
35. Masani, R. P, Britain in India an Account of British Rule in the Indian Sub continent, (oxford university press, 1962).
36. Miller. W, The Ottoman Empire and its Successors 1801 -1927, (London, 1966).
37. Pares, B. A History of Russia, (New York, 1948).
38. Parker and Others, Modern. Turkey, (London, 1940).
39. Plump. J. H. England in the Eighteenth Century 1714-1815, (London, 1950).
40. Preliminary Articles of peace between France and Great Britain 1 October 1801, cited in: The Consolidated Treat Series, Vol 56.
41. Preliminary Articles of peace between France and Turkey 9 October 1801, cited in: The Consolidated Treaty Series, Vol 56.
42. Pris M. Davis, An Authentic History of the late war between the United States and Great Britain, with a full Account of every Battle, by sea and land.. , New York, Ebenezer F. Baker, 1836.
43. Puryear, v, J, Napoleon and Dardanelles, (university of California press, 1951).
44. Quoted in: the Consolidated Treaty Series, Edited by Clive Parry, (New York, 1969).
45. R. B. Mowat, Europe and the Modern world 1492-1918, (oxford, 1929).
46. Renouf. V. A, Outlines of General History, (London, 1910).
47. Rifaat Bey. M. The Awakening of Modern Egypt, (London, 1961).
48. Robeinson. J. H. and Others, A General History of Europe, part II, Recent European History, (Boston, 1926).
49. Rywikin M. Russian Colonial Expansion to 117, (New York, 1965).
50. Savory. R. M. British and French Diplomacy in Persia 1800-1810, Iran Journal of the British Institute of Persian studies, (London, 1972). Vol X.

51. Show Stanford, History of Ottoman Empire and Modern Turkey, Vol. I, Empire of the Gazis. The Rise and Decline of the Ottoman Empire 1280-1808, (Cambridge university press, 1976).
52. Smith. G. R. Alon, The Emergence of A Nation State, The Common wealth of England 1529-1660, Second Edition, (London 1997).
53. The Russo-Turkish Treaty of Alliance 23 September 1805, Quoted in: Anderson, thegreat power andneareast,
54. Thomas Woodward, ThecortsofstateSponsoredterrorism, of Barbary Pirates, National Tax Journal, vol57, N°3, september 2004.
55. Thomson, David, Europe Since Napoleon, (London, 1954).
56. Vernadsky, Political and Diplomatic History of Russia, (Boston, 1936).
57. William, Basil. The British Empire, Second Edition, London, 1944,
58. Williams. A, Britainand France in the Middle East and North Africa 1914-1967, (New York 1968).
59. Williamson. A, James, A Short History of British Expansion, The Modern Empire and Commonwealth, Second Edition, (London. 1934).
60. Wilson. Arnold, The Persian Gulf An History Stitch From The Earliest Times to the Beginning of the Twentieth Century, (London, 1954).
61. Wood, Alfred Cecil, History of Levant company, Second Edition, (London, 1964
62. Wren. C. Melvin, The Cores of Russian History, Second Edition, (New York, 1963).

بالفرنسية:

63. A de lamartine, HISTOIRE DE LA TURQUE, rublication du constitutionnel, Tome 1, Paris 1855.
64. Berbrugger et Bresnier, La Première Proclamation adressée Par les français aux Algériens, in R. A, Alger 1862, vol06.
65. Bertrand barbilles un tnc paris 1806-1811 relation de voyage et de mission mouhib. effandi; ambassadeur saultan salimIII; dapres unmanuscrit autographe. edition bossard. paris 1920.

66. Bigont, une lettre du bey de contantine en 1827, in R. A, Alger 1899, vol42.
67. Bonapret Napoleon, corespondance de Napoleon 1er pubile par ordre de lemereur napoleonIII, du vol 4a15, henri plon, paris 1860.
68. BRADEL Fernond, la Méditerranées et le monde Méditerranéen à l'époque de philippe2, Tome 2, paris, 1976.
69. C, lamouche, historiique de la turque depuis les origuins jusque nou jour, 1935.
70. Ch. Desplat; Henri IV et les ottomane. Colloque III, paris 1989
71. Charles-André-Julien, Marseille et la Question d'Alger à la veille de la conquête, inR. A; Alger 1919, vol60,
72. Chretien, Histoire De L` Egypt Modern, (Paris, 1951).
73. Coquelle. p. Napoléon et l'Angleterre 1803-1813 plom paris 1904
74. De la jonquiene; histoire de Lemire ottomane; Parise; 1881
75. E. de. mercier une ambassade a comstantimble. politique ouate de la révolution française tom2 Felix Alcan paris 1927
76. Edouard diaule. la question dourent depuis ses origins jusqu a nou jour, felix alcon, paris 1898
77. Edouard diaule, Napoléon et l'Europe la politique extérieure de premier consul 1800-1803; Felix alcom; paris 1910
78. Edouard, driault, la t figure de Napoleon, albert morance, paris sd, p126.
79. Ernest Mercie, Histoire De L, Afrique Septentrionale Depuis les Tempsles plus réculesjusqu, à la conquête Française 1830, Ernest Leroux, éditeur, T3, Paris1891.
80. G. F. DE Martens, supplementau recueil des principoux trautes de leurope depuis 1761 jusqu a present, tom cher heneri dietrech a gottingue, 1802.
81. G. R. Geblesco; la quistion doriète et on caractere economique; libarie edetion; paris; 1904.
82. Gabriel Esquer, les commencements d'un empier- la paris d'Alger 1830, Laroze, Paris 1929.
83. Henri Garrot, Histoire générale de l'Algerie, imprimerie GES envoutes, Bastion nord, Alger 1910

84. Henri Garrot, Histoire générale de l'Algerie, imprimerie Gescenzo, voutes, Bastion nord, Alger 1910
85. Jonquier, Histoire De L' Empire Ottoman, (Paris, 1914).
86. Julien (CH. A). Histoire de L, algérie contemporaine la conquête et les débuts de la colonisation 1827-1871, éditions casbah, Alger 2005..
87. Léon Galibert, l, Agerie Amciénne et moderne, furne et cie, libraires-éditeurs, paris 1844
88. M. A. thiers, histor de la consulat et de lumpier, Tom 1, paul librare editeur, paris, sd.
89. M. J. J. Marcel, legypte depuis la conquet de arabes jusqui a la domination francais sous la domination, firmin didot frers editeurs, paris 1848
90. M. vertrary, journal dun affier de l arme degypte, larmer francaise en Egypt 1798-1801 manuscrit inus en order et publie par II Galli Gharpentier, editeur, paris 1883.
91. Mouloud Gaid, l'Algerie sous les tures, 2édition, édition mimouni, Alger 1991.
92. Olivier. G. Voyage Don's Empire Ottoman, I. Egyte et persie 1801-1807, Tome I, (Paris).
93. Paul Azan, lereport de Marquis De clermont-Tonnerre, ministre de la gue sur une escpéditionà, Alger 1827, in R. A, Alger 1929, vol70.
94. Philip boucler; la rusduom Leja silice Edition demanda; paris 1989.

الفهارس

- فهرس الأعلام.
- فهرس الأماكن.
- فهرس المحتويات.

فهرس الأعلام

إسحاق بيه 52
 اشيلدوهارلي 50
 168، 170، 211، 227، 230، 233
 إكسموث 254، 250، 249
 آل بوربون 255، 136
 آل عثمان 37
 ألكسندر الأول 166، 165، 160، 42
 167، 170، 171، 186، 201
 إليزابيث 239، 85، 84، 83، 76
 أليور 51
 الأمير عبد القادر 39
 أمين آغا 196
 أنطوني جينكسون 82
 أوتو 174
 أودبيردوي 65
 أولفييه 96
 إيتالينسكي 185

ب

بارندييه 188، 187
 بالدوين 96
 بالمرستون 223

أ

إبراهيم آغا 265
 إبراهيم باشا 214، 210، 209، 60
 215، 216، 217، 218، 219، 223، 225
 إبراهيم بك 96
 ابن الأحرش 236
 ابن الشريف الدرقاوي 236
 ابن دي لاهاي 51
 ابن يوسف باشا 270
 أبي القاسم الحجري 28
 أحمد الثالث 60
 أحمد الجزائري 262
 أحمد باشا الداوي 242، 236
 أحمد باشا 72
 أحمد بك أبو ذهب 95
 أحمد عاطف 107
 أحمد فوزي باشا 271
 أحمد محب أفندي 163
 أحمد ولد عمر 245
 إدوارد أوزبورن 85
 آرثر باجت 198

ت

تاليران 189، 188، 183، 178، 123، 105
 تشارتوريسكي 186
 تولستوي 199
 توماس سميث 85
 توماس لويس 192

ث

ثورستون 88

ج

جوبير 183
 جورج الرابع 273
 جورج بالدوين 95
 جوزيف بونايرت 180
 جول دي بولينيكا 248
 جون الفنستون 101
 جون بلانكت 108
 جون موراي 101
 جون نيوبري 83
 جيم 47
 جيمس بروس 102

ح

الحاج أحمد باي 257

بالي خوجة 132
 بايزيد الثاني 47
 بت 175، 174، 104، 100
 بتسني 271
 برباروس 28
 برودل 28
 بروغير 96
 برون 187، 182
 بسمارك 41
 بسياني 77
 بشير الشهابي 216، 215، 214
 بطرس الأكبر 227
 بطرس الأول 99، 98، 97، 42
 بكري جوزيف 125، 123، 119، 118
 255، 128، 127
 بليار 177، 176
 بني أيوب 36
 بوتان 255، 242، 138
 بوشناق 255، 127، 125، 123، 119، 118
 بونيف 222
 بيرد 181
 بيرس 88
 بينو 73
 بيير دو فال 137، 123

د

83 داماد باشا.
 227 دانيلو .
 57 دو فينلينوف .
 50 دو كليف .
 264 دوبيري .
 194 ، 193 دو كورث .
 258 دولافرناي .
 175 دونداس .
 266 ، 264 دي بورمون .
 52 دي فرجين .
 53 دي كورش .
 51 دي لاهاي .
 51 دي مارسفيل .
 ، 132 ، 131 ، 128 ، 127 ديو تانفيل .
 137 ، 136 ، 135 ، 134

60 ديتوت .
 175 ديفيد بيرد .
 260 ديقمينيو .
 247 ، 246 ، 245 ديكاتور ستيفن .

ر

200 راغويل باشا .
 176 ، 175 رالف أبركرومي .

236..... الحاج علي باشا الداى
 193..... حاجي صالح باشا
 130 ، 129 حاجي يوسف
 116..... حسن الخزندار .
 266 ، 119 ، 117 حسن الداى
 122..... حسن باشا .
 115..... حسين أفندي زادة .
 ، 262 ، 261 ، 259 ، 138 حسين الداى
 266 ، 264
 262 ، 216 ، 176 حسين باشا .
 63 حسين جاوئش .
 61 حسين كئشك باشا .
 200..... حقي باشا .

خ

36 الخديوي إسماعيل .
 260..... خسرو باشا .
 260..... خليل أفندي .
 261..... خليل أفندي .
 219..... خليل باشا .
 216..... خليل بن بشير الشهابي .
 64 خليل حميد باشا .
 157..... خليل رفعت باشا .
 27 خمينيس .

63 سلیمان آغا
 82 سلیمان الأول
 147 سلیمان البستاني
 73 سلیمان الحلبي
 48، 37 سلیمان القانوني
 106، 93 سلیمان باشا
 249 سمیث سیدني
 248، 174، 109، 108، 107 سمیث
 157 سيستيان
 194 سينافين

ش

188 شارل أرثنوت
 48، 47، 37 شارل الخامس
 267، 263، 256، 255، 39 شارل العاشر
 104 شارل مكالون
 78 شارلس أريتون
 28 شارلكان
 199 شامبني
 90 شوفاليه

ص

106، 92 صمويل مانستي
 239 صمويل مارتن

226، 217، 216، 147، 146 رشيد باشا
 219 رشيد بك
 50 رشيليو
 204، 201، 200، 199 روبرت أداير
 59 روبين
 26 روجر النورماني
 263 روسو ألفونص
 193 روفين
 86 ريتشارد فوستر
 245، 244 الرئيس حميدو
 85 ريشارد ستاير
 51 ريشيليو
 53 ريموند فرينياك

س

266 سانت جون
 252، 107، 106 سبنسر سمیث
 163، 162 سيستيان
 272 ستيوارت روتسي
 197، 182 ستيوارت
 44 سليم الأول
 67، 66، 62، 61، 53، 52 سليم الثالث
 146، 142، 141، 133، 125، 107، 79
 165، 163، 162، 161، 160، 159، 155
 194، 193، 190، 187، 184، 183، 166

علي بك 94، 95، 102
عمر الداى 249

غ

غالب أفندى 190، 192
غريغورى أورلوف 101، 102

ف

فالكون 132، 241
فالير 118
فانتيلدوهاى 56
فرانسوا الأول 37، 47، 48
فرانسيس دريك 82
فرنياك 65
فريدريك شوارتمبرغ 274
فريزر 195، 196
فرينياك 65
فؤاد باشا 144، 152
فوبآن 61
فوكس 194، 195
فون كابلن 250
فير بول 51
فيكتوريا 228
فيليب الخامس 35
فيليو 108

ط

طاهر باشا 261، 262، 263، 267، 268،
271

ع

عاكف أفندى 225
عالي باشا 144، 150
عباس الكبير الشاه 87
عبد الجليل سيف النصر 271
عبد الحميد الأول 60، 64، 145
عبد الحميد الثانى 143، 145، 155
عبد الرؤوف سنو 206
عبد العزيز الأول 145
عبد الله باشا 214، 215
عبد المجيد الأول 143، 145، 147، 150،
225، 233
عثمان آغا 271
عثمان باشا 216
عثمان بن محمد بن عثمان الكبير 236
علمدار مصطفى 164
علي السلانكلى 197
علي العسال الداى 236
علي باشا 88، 194، 199، 270
علي باى 270

لويس الرابع عشر..... 51، 63، 256
 لويس الرابع..... 35
 لويس السادس عشر..... 52، 61
 لويس سان لوي..... 36
 ليل..... 104
 ليو العاشر..... 29

م

ماديسون..... 244
 مارشان..... 40
 ماك دونالد..... 253
 ماكنزي فيزر..... 195
 مانجالو..... 68
 ماهون الأميرال..... 261
 محب أفندي..... 189
 محمد أفندي..... 56، 64
 محمد بلطجي باشا..... 99
 محمد بن عثمان خوجة الداى..... 114، 115
 محمد عبد الكرىم..... 70
 محمد عثمان الداى..... 116
 محمد على باشا..... 59، 74، 142، 147،
 157، 162، 191، 197، 205، 209، 210،
 211، 212، 213، 214، 215، 217، 218،
 219، 220، 221، 222، 223، 224، 225،
 272

ك

كاترين..... 61، 76، 99
 كار مارتن..... 95
 كارلس الثاني..... 50
 كاستلري..... 243، 247
 كايث..... 132
 كتشنز..... 40
 كجوك حسين باشا..... 129
 كليبر..... 72، 133
 كوت..... 177
 كورنواليس..... 180
 كولي..... 257، 258
 كولير..... 98
 كولير..... 51

ل

لابروتونيير..... 256، 258، 259
 اللورد باجت..... 98
 لونكريك..... 89
 لويس التاسع..... 36
 لويس الثالث..... 50
 لويس الثامن عشر..... 255
 لويس الثامن..... 136
 لويس الحادي عشر..... 47

مونتيسكيو 25
 مونوفال 167
 ميد 197
 ميشيان 200
 ميلوش أوبرنوفيتشي 170
 مينو 177، 176، 175، 133، 73
 مينوس 25
 ميور 68

ن

نابليون الأول 167، 166، 165، 161، 158
 169
 نابليون الثالث 228، 227
 نابليون بونابرت 106، 38، 37، 35
 118، 127، 126، 123، 122، 121، 120،
 131، 140، 159، 162، 167، 168، 171
 172
 نابليون 62، 54، 53، 43، 39، 38، 34
 65، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 77، 78
 79، 105، 108، 109، 120، 122، 132
 133، 134، 135، 136، 137، 159، 160
 161، 163، 164، 165، 166، 167، 168
 169، 170، 171، 174، 175، 177، 180
 181، 183، 185، 186، 187، 188، 189

نجد كريم 69
 محمود الثاني 60، 141، 142، 143، 145
 146، 147، 148، 156، 157، 168، 169
 170، 201، 209، 213، 225
 مدحت باشا 155، 152، 145، 144
 مراد الثالث 84، 63
 مراد الرابع 63
 مراد بك 73
 مسيت 196
 مصطفى (الكاتب) 266
 مصطفى الأول 50
 مصطفى الباي 240
 مصطفى الثالث 101، 95، 64
 مصطفى الداى 131، 130، 129، 128
 132، 134، 236، 241، 242
 مصطفى الرابع 199، 169، 168
 مصطفى باشا 131، 130، 126، 125، 121
 133، 156، 157، 271
 مصطفى رشيد باشا 149، 146، 144
 مصطفى علي 130
 ملمسيري 104
 منشيكوف 227
 مهيب أفندي 65
 موري 108
 موليتدو 126، 122، 119

182 هتشنسوناوبدى
 242 هنري بلانكي
 91 هنري جرينفيل
 175، 174 هنري دونداس
 86 هنري ليلو
 183، 182، 181، 180 هوراس سبستياني
 199، 194، 193، 190، 189
 186 هوكزيري
 183 هويتورث

و

200 وحيد أفندي
 245 وليام باينبرايدج
 247، 245 وليام شالر
 85 وليام كاريت
 86، 84 وليم هاربورن

ي

119، 29 يوحنا
 270، 196 يوسف باشا
 176 يوسف ضياء باشا

190، 191، 192، 197، 198، 199، 201،
 229، 240، 241، 244، 255
 88 نادر خان
 89 نادر شاه
 218 نامق باشا
 98 نعمان باشا
 246 نوردارلينغ
 224 نوري أفندي
 227 نيفو الأول
 273، 221 نيقولا الأول
 77 نيقولا الثالث
 253 نيل
 241، 78، 70، 69، 38 نيلسون

ه

107، 106 هارفورد جونز
 86 هارفي ملرز
 36 هارون الرشيد
 254، 253 هاري نيل
 133 هتشنسن
 181، 179، 176 هتشنسون

فهرس الأماكن

الإسكندرونة..... 38، 86
 الإسكندرية..... 38، 69، 70، 72، 73، 86،
 133، 160، 162، 174، 175، 176، 177،
 178، 179، 182، 183، 195، 196، 199،
 203، 210، 221
 آسيا الصغرى..... 175، 216، 221
 آسيا ... 24، 32، 35، 102، 191، 210، 213
 أضنة..... 219
 إفريقيا..... 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29،
 30، 39، 40، 43، 238، 243، 256، 270
 أفغانستان..... 105
 الأفلاق 162، 163، 164، 166، 167،
 168، 170، 211، 227، 230، 233
 ألبانيا..... 167، 185
 الألزاس..... 41
 ألمانيا..... 41، 50، 174، 208
 إمبابة..... 38
 أمريكا..... 38
 أميان 78، 79، 135، 160، 161، 173،
 179، 180، 181، 182، 183، 185
 الأناضول..... 81، 130، 211، 212، 217

أ

أبو قير 70، 72، 73، 78، 122، 159،
 176
 أترانتو..... 185
 أترخت 35
 أدرنة 77، 163، 211، 221، 260
 أراغون..... 27
 أرضروم..... 211
 أرفورت..... 166
 أزمير 81، 86، 223
 آزوف 97، 99، 100
 إسبانيا..... 27، 28، 29، 35، 48، 50،
 56، 117، 166، 237، 272
 الآستانة..... 48، 147، 162، 167، 230
 إسطنبول 20، 50، 52، 53، 60، 63، 64،
 65، 82، 83، 85، 86، 90، 91، 93، 94،
 99، 101، 106، 117، 131، 155، 157،
 162، 163، 164، 165، 167، 178، 180،
 182، 185، 187، 188، 189، 190، 192،
 193، 194، 199، 200، 202، 204، 211،
 217، 221، 243، 260، 261، 269

إيطاليا 23، 34، 41، 44، 119، 124،

165، 206، 233، 259

الأيونيون 272

ب

باريس..... 56، 63، 64، 94، 95، 150،

157، 161، 172، 174، 178، 181، 183،

199، 223، 232، 233، 258، 269، 272

بالمال 264

البحر الأبيض المتوسط 22، 23، 24، 25،

26، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35،

36، 39، 43، 44، 54، 55، 58، 68، 77،

78، 79، 100، 101، 102، 105، 120،

124، 125، 126، 134، 159، 175، 186،

200، 208، 213، 238، 239، 240، 241،

242، 243، 245، 247، 248، 249، 261،

272

البحر الأحمر 24، 29، 30، 58، 93، 94،

95، 105، 108، 175، 177، 208، 224

بحر الأدرياتيكى 24، 37، 43،

البحر الأسود 24، 42، 43، 49، 58، 76،

77، 78، 97، 98، 100، 102، 103،

161، 167، 169، 188، 208، 211، 224،

226، 230، 231، 232، 237

بحر البلطيق 42، 98، 100، 101، 192،

إنجلترا 34، 35، 36، 38، 40، 41، 62،

63، 65، 68، 69، 70، 71، 73، 75، 85،

101، 105، 119، 120، 150، 157، 159،

160، 161، 162، 163، 164، 165، 166،

168، 169، 181، 212، 223، 226، 227،

230، 231، 232، 233، 239، 241، 248،

250، 251، 252، 253، 254، 257، 258،

269، 270، 271، 273

أنجلوشتاد 174

الأندلس 27، 28

أنطاكيا 223

أورشليم 226

أوروبا 23، 24، 27، 29، 31، 32، 40،

43، 47، 48، 55، 56، 64، 73، 75، 82،

83، 97، 102، 105، 108، 123، 143،

145، 146، 147، 158، 159، 161، 164،

165، 166، 167، 168، 179، 184، 189،

191، 198، 206، 207، 221، 223، 230،

231، 238، 242، 244، 247، 248، 249،

258

أوسترلنتز 43، 163

أولم 174

أيتكرمان 167

إيرفورت 169، 201

إيرلندا 105

بغداد.... 36، 83، 90، 93، 106، 107، 223
 البغدان..... 162، 163، 166، 167، 168،
 170، 211، 227، 230، 233
 البلغار..... 167، 211
 بلغاريا..... 43، 162
 بلغراد..... 57، 75، 100
 البلقان..... 43، 97، 101، 103، 162، 166،
 185، 186، 207، 208، 211، 232
 بندر عباس..... 88، 89، 91
 البندقية..... 29، 37، 48، 50، 56، 98، 161،
 245
 بوجاروني..... 269
 بوخارست..... 170
 بورتسموث..... 250
 بورودينو..... 171
 البوسفور..... 24، 33، 58، 76، 125، 157،
 208، 219، 222، 232
 البوسنة..... 167، 208
 بوشار..... 91
 بولندا..... 43، 98، 171، 214
 بولونيا..... 50، 83
 بونة..... 39
 بيت المقدس..... 228
 بيروت..... 216

بحر إيجة..... 24، 43، 164، 200، 271
 بحر مرمرة..... 24، 43، 193، 194
 بحيرة تشاد..... 39
 البرتغال..... 82، 240
 برلين..... 35، 190، 192
 برنر..... 33
 بروث..... 211
 بروسيا..... 43، 52، 163، 167، 168، 169،
 206، 208، 227، 244، 252، 273، 274
 بريطانيا..... 31، 34، 42، 49، 52، 67، 74،
 76، 77، 78، 79، 81، 84، 90، 91، 92
 93، 94، 95، 96، 98، 99، 100، 101
 102، 103، 104، 105، 107، 109، 110
 118، 122، 123، 124، 125، 132، 156
 157، 178، 179، 180، 181، 183، 184
 185، 186، 187، 188، 189، 190، 191
 192، 193، 195، 197، 198، 199، 200
 201، 202، 203، 204، 206، 208، 210
 214، 218، 219، 220، 221، 222، 223
 224، 225، 226، 229، 230، 234، 238
 239، 240، 241، 242، 243، 244، 248
 249، 251، 254، 265، 272، 273
 بساريا..... 170، 190
 البصرة..... 83، 88، 89، 90، 91، 92، 93
 106، 107

119، 120، 121، 122، 123، 124، 125،
 126، 127، 128، 129، 130، 131، 132،
 133، 134، 135، 136، 137، 138، 139،
 157، 160، 208، 213، 235، 236، 237،
 238، 239، 240، 241، 242، 243، 244،
 245، 246، 247، 248، 249، 250، 251،
 252، 253، 254، 255، 256، 257، 258،
 259، 260، 261، 262، 263، 264، 265،
 266، 267، 268، 269، 270، 271، 272،
 273

الجزر الأيونية.....186، 238، 248
 جزر البليار 274
 جشمة..... 101
 جنوة..... 24، 113، 114
 جولخانه..... 146

ح

الحبشة..... 41
 حلب..... 38، 83، 86، 90، 216، 225
 حمص..... 216

خ

خرسون 103
 الخليج العربي..... 58، 95
 خنكار إسكله سي 220، 222، 223، 226

ت

تاجوراء..... 271
 تازة 33
 ترانسلفانيا 43
 تركيا..... 35، 40، 167، 231، 270
 تورانتو..... 185
 تولون..... 39، 127
 تونس..... 23، 26، 39، 40، 41، 126،
 127، 130، 160، 208، 243، 249، 259،
 262، 263، 269، 270، 271، 272
 تيليس 43، 77، 162، 166، 167،
 168، 197، 201
 تيندوس..... 192، 193، 194

ج

جاسي..... 76
 جبال لبنان..... 33
 الجبل الأسود..... 227
 جبل الدرور 215
 جبل طارق..... 23، 24، 33، 34، 35، 118،
 123، 248، 250، 272
 جدة 94، 95
 الجزائر 29، 31، 39، 40، 41، 45، 111،
 112، 113، 114، 115، 116، 117، 118

الراين 273
 رشيد 197
 رودس..... 107، 47، 29
 روسيا 51، 43، 42، 36، 35، 34، 22
 52، 54، 57، 62، 65، 66، 70، 71، 75
 76، 77، 78، 93، 97، 98، 99، 100
 101، 102، 103، 124، 142، 157، 158
 160، 161، 162، 163، 164، 165، 166
 167، 168، 169، 170، 171، 181، 184
 185، 186، 187، 188، 190، 191، 192
 193، 195، 197، 198، 199، 203، 206
 208، 209، 210، 211، 213، 214، 217
 219، 221، 222، 223، 226، 227، 228
 229، 230، 231، 232، 233، 244، 257
 258، 260، 270، 274
 روما 122، 43، 25
 رومانيا 169
 الروملي 164

ز

زمرنج 33
 الزوامل 176

س

سان برنارد 33

خيوس 200، 101

د

الدانوب 165، 164، 163، 43، 33، 23
 170، 171، 198، 199، 211، 221، 224
 230، 232

الدجلة 33
 الدردنيل 157، 125، 76، 75، 33، 24
 188، 190، 192، 193، 194، 196، 197
 200، 202، 204، 208، 219، 229، 230
 232

درنة 271
 دلنا الطونة 169
 دلماسيا 37
 دمشق 216، 215، 213
 دمياط 176، 109
 الدينستر 190
 دينستير 163

ر

راجوزه 81
 رازجراد 164
 رأس الرجاء الصالح 82، 54، 35
 رأس بالوس 246
 الرفادين 43

ص

الصالحية.....176
 الصحراء الكبرى 29، 39، 90
 صربيا52
 صفاقس.....26
 صقلية23، 24، 41، 195، 273
 صيدا196، 216
 الصين87

ط

طرابزون81
 طرابلس 26، 41، 126، 130، 249،
 270، 271، 272
 طليطلة.....27
 طنجة.....245
 طوب قايي.....146
 طوروس216
 طولون69، 264، 267
 طونا43

ع

العراق 38، 90، 91، 92، 93، 107
 العريش 72، 73، 108، 109
 عكا 38، 62، 108، 214، 215، 216

218

سان بطرسبورغ 165، 185، 227
 سان جو ثارد33
 سرت.....271
 سردينيا 249، 272
 سطاوالي265
 سكاريا33
 سلانيك191
 سليزيا167
 سمبلون.....33
 سنكاري60
 السودان29
 سوريا 38، 73، 107، 108، 214، 216،
 219، 220، 223، 225
 السويد42، 52، 62، 98
 السويس 38، 94، 95، 108، 208
 سيدي فرج.....264
 سيفاستوبول 103، 231
 سينافين.....198

ش

الشام.....26، 29، 54، 72، 93، 108،
 134، 142، 147، 175، 181، 208، 211،
 212، 213، 214، 215، 218، 219، 220،
 223
 شبه جزيرة البلقان.....32، 186، 208

178، 180، 181، 182، 183، 184، 185،
 186، 187، 188، 189، 190، 195، 198،
 199، 200، 203، 206، 208، 210، 212،
 214، 218، 219، 221، 222، 223، 226،
 227، 228، 229، 230، 231، 232، 233،
 234، 238، 239، 240، 241، 243، 245،
 251، 254، 255، 256، 257، 258، 259،
 260، 261، 262، 263، 265، 267، 268،
 269، 270، 272، 273

فريدلان 164
 فلسطين 228
 فنلندا 171
 فيليسيبورغ 174
 فيينا 35، 79، 239، 243، 244، 247،
 248، 249، 254، 255، 272

ق

قابس 26
 قارص 211
 القالة 240، 242، 257
 القاهرة 38، 69، 70، 72، 73، 74، 86،
 108، 175، 176، 177، 213
 قبرص 24، 35، 175
 القدس 50، 213
 قرطاجة 25، 245

عناية 125، 134، 242، 257، 265

غ

غاليبولي 194
 غانت 244
 غرناطة 27
 غزة 72

ف

فارس 88، 89، 90، 93، 191
 فاشودة 40
 الفرات 33، 38، 223
 فرنسا 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40،
 41، 42، 43، 47، 48، 49، 50، 51، 52،
 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 61،
 62، 63، 64، 65، 66، 67، 68، 70، 71،
 72، 73، 75، 76، 77، 78، 83، 84، 92،
 93، 94، 95، 96، 99، 100، 104، 105،
 106، 109، 111، 112، 113، 114، 115،
 116، 117، 118، 119، 120، 121، 122،
 123، 124، 125، 126، 127، 128، 129،
 130، 131، 132، 133، 134، 135، 136،
 137، 138، 150، 156، 157، 158، 159،
 160، 161، 162، 163، 164، 165، 166،
 167، 168، 169، 171، 172، 173، 174

الكويت 92

ل

اللاذقية 216

لبنان 214، 212، 208

لندن 178، 175، 174، 156، 92، 90

202، 204، 245، 258

اللورين 41

م

مالطا 119، 79، 78، 70، 69، 35

122، 134، 174، 180، 185، 186، 202،

238، 242، 248، 272

ماناستي 92

ماهون 248، 242، 238

مترنيخ 218

المجر 229

المحيط الأطلسي 39، 27، 24

المحيط الهندي 104، 95

مخا 94

مدريد 48

مراكش 261، 39

مرسيليا 264، 127، 125، 119، 67

المشرق الإسلامي 273

القرم 150، 143، 103، 78، 76، 61

198، 205، 226، 229، 231، 233، 234

القسطنطينية 208، 167، 124

قسطنطينية 265، 257، 250، 134، 120

قشتالة 27

قفقاسيا 169

القل 134

القلعة السلطانية 169

قناة السويس 36، 35، 34، 33، 25، 24

41، 79، 160، 206

القوقاز 221

ك

الكاب 104، 91

كارلوفتر 98

كاغول 101

كانوب 176

كريت 219، 218، 209، 200، 175

كلكتنا 175

كوتاهية 222، 219، 217، 157

كوجك كينارجي 102، 76، 75، 60

103، 157، 165

كورسيكا 24

كورفو 273، 127، 108

كورون 101

171 مولدتيشون
 92..... مومباي
 192 ميلان
 200 ميلوس
 33..... مينا
 177 مينورقة
 242 ميورقة

ن

265 ، 249 ، 119..... نابولي
 258 ، 221 ، 212 ، 210..... نافارين
 225 نزيب
 98 ، 43..... نمسا
 النمسا 98 ، 97 ، 66 ، 63 ، 57 ، 52 ، 48
 ، 169 ، 168 ، 167 ، 165 ، 164 ، 120 ، 103
 ، 227 ، 224 ، 209 ، 208 ، 206 ، 201 ، 171
 274 ، 261 ، 244 ، 231 ، 230 ، 229
 67..... نيس
 النيل 212 ، 195 ، 40 ، 33

ه

252 همبورج
 الهند ، 73 ، 70 ، 69 ، 54 ، 51 ، 38 ، 35
 ، 106 ، 105 ، 104 ، 96 ، 95 ، 94 ، 92 ، 90

مصر 35 ، 34 ، 32 ، 29 ، 28 ، 26 ، 23
 ، 54 ، 53 ، 51 ، 49 ، 44 ، 41 ، 39 ، 38 ، 36
 ، 72 ، 71 ، 70 ، 69 ، 68 ، 67 ، 62 ، 61 ، 60
 ، 95 ، 94 ، 93 ، 86 ، 80 ، 79 ، 78 ، 74 ، 73
 ، 109 ، 108 ، 107 ، 106 ، 105 ، 104 ، 96
 ، 125 ، 124 ، 122 ، 121 ، 120 ، 119 ، 112
 ، 157 ، 147 ، 134 ، 133 ، 132 ، 128 ، 126
 ، 175 ، 174 ، 166 ، 161 ، 160 ، 159 ، 158
 ، 191 ، 183 ، 182 ، 181 ، 180 ، 179 ، 178
 ، 219 ، 215 ، 212 ، 209 ، 197 ، 196 ، 195
 273 ، 271 ، 240 ، 225 ، 223

مصراته 271
 المغرب الأدنى 26
 المغرب الإسلامي 30 ، 27
 المغرب الأقصى 29 ، 27
 المغرب الأوسط 27
 مغنيسية 81
 مقدونيا 167
 ملقة 245
 المملكة المتحدة 104 ، 95 ، 91 ، 87 ، 83
 منوركا 238
 المورة 210 ، 209 ، 185 ، 161 ، 127
 موسكو 171
 مولاي حسن 266
 مولدافيا 230 ، 199 ، 193 ، 189 ، 101

ي

يافا 108 ،72
يانيا 199
يبلان 216
يسربيا 167
ينا 190
يوكرش 164
اليونان 205 ،167 ،103 ،101 ،77 ،43
258 ،213 ،211 ،210 ،209 ،206

120 ،166 ،175 ،176 ،203 ،206 ،208

222 ،224 ،229

هولندا 85 ،98 ،250 ،251 ،252

هيليوبوليس 109 ،174

و

وارسو 172

والاشيا ... 101 ،164 ،189 ،193 ،199 ،230

الولايات المتحدة الأمريكية 237 ،242

243 ،245

فهرس المحتويات

إهداء

شكر

قائمة المختصرات

9 مقدمة

الفصل النمهيدى

البحر المتوسط كمؤثر حضارى وجغرافى فى العلاقات الدولية

23..... المبحث الأول: طبيعة البحر الأبيض المتوسط

23..... 1. طبيعة حوض البحر الأبيض المتوسط

25..... المبحث الثانى: الأهمية التاريخية والاستراتيجية للبحر الأبيض المتوسط

25..... 1. الأهمية التاريخية للبحر الأبيض المتوسط

31..... 2. الأهمية الاستراتيجية لحوض البحر المتوسط

32..... أ. نشأة جنس البحر الأبيض المتوسط

32..... ب. نشأت الحضارات والديانات السماوية الكبرى

32..... ج. حوض البحر المتوسط يحتضن أكبر شبكة نقل

34..... المبحث الثالث: نشاط القوى الأوروبية فى البحر الأبيض المتوسط وظهور روسيا كقوى متوسطة....

34..... 1. بريطانيا والبحر الأبيض المتوسط

36..... 2. فرنسا والبحر الأبيض المتوسط

36..... أ. فرنسا وبلاد المشرق

- 39..... ب. فرنسا في شمال إفريقيا
- 42..... 3. ظهور روسيا كدولة أوربية عظمى
- 43..... 4. الدولة العثمانية والبحر الأبيض المتوسط

الباب الأول

أطوار العلاقات العثمانية - الأوروبية في القرن الثامن عشر (الفرنسية والبريطانية أنموذجا)

الفصل الأول

العلاقات العثمانية- الفرنسية في القرن الثامن عشر وموقف القوى الأوروبية منها

- 47..... المبحث الأول: جذور العلاقات الفرنسية- العثمانية
- 49..... 1. القرن السابع عشر (17م)
- 51..... 2. القرن الثامن عشر (18م)
- 55..... المبحث الثاني: علاقات التبادل بين الدولة العثمانية وفرنسا
- 55..... 1. معاهدات الامتيازات
- 60..... 2. الإصلاحات العثمانية والتأثير الفرنسي
- 62..... 3. النشاط الدبلوماسي واثره على العلاقات العثمانية الفرنسية
- 64..... 4. السفارات العثمانية الفرنسية المتبادلة
- 66..... المبحث الثالث: العلاقات العثمانية الفرنسية ما بين التقارب والصراع 1789-1801م
- 66..... 1. الموقف العثماني من الثورة الفرنسية
- 67..... 2. الموقف العثماني من الحملة الفرنسية على مصر
- 68..... أ. أسباب وظروف الحملة الفرنسية على مصر (1798م)
- 69..... ب. سير الحملة

- ج. التحالف الثلاثي (العثماني-الروسي-الإنجليزي) ضد فرنسا وإخراجها من مصر... 71
- د. نتائج الحملة الفرنسية على مصر 74
- المبحث الرابع: الموقف الدولي من العلاقات العثمانية-الفرنسية..... 75
1. الموقف الروسي 75
2. الموقف الإنجليزي 78

الفصل الثاني

العلاقات العثمانية- البريطانية في القرن الثامن عشر وموقف القوى الأوروبية منها

- المبحث الأول: جذور العلاقات العثمانية- البريطانية 81
- العلاقات العثمانية البريطانية خلال القرن (18م) 85
- المبحث الثاني: شركة الهند الشرقية ودورها في العلاقات العثمانية البريطانية 88
- المبحث الثالث: الموقف البريطاني من الصراع الأوربي-العثماني في القرن الثامن عشر 97
- المبحث الرابع: الموقف البريطاني من الحملة الفرنسية على مصر..... 104

الفصل الثالث

أثر العلاقات العثمانية - الأوروبية على الجزائر في القرن الثامن عشر

- المبحث الأول: آثار تجديد الاتفاقية المئوية بين الجزائر وفرنسا 112
- المبحث الثاني: الموقف الجزائري من الثورة الفرنسية 118
- المبحث الثالث: الموقف الجزائري من الغزو الفرنسي لمصر 121
- المبحث الرابع: الخطط الفرنسية لاحتلال الجزائر 135

الباب الثاني

أطوار العلاقات العثمانية - الأوروبية في القرن التاسع عشر وانعكاساتها على الجزائر

الفصل الأول

العلاقات العثمانية- الفرنسية خلال القرن التاسع عشر وموقف القوى الأوروبية منها

- المبحث الأول: الإصلاحات العثمانية والتأثير الفرنسي 141
1. ماهية التنظيمات "الإصلاحات" 143
- أ. ماهية التنظيمات والإصلاحات العثمانية 143
- ب. أهداف التنظيمات 144
2. مظاهر التنظيمات العثمانية 145
- أ. مرسوم كلخانة 145
- ب. مجموعة قوانين تنظيمية 1840-1874م 149
- ج. الخط الهمايوني (التنظيمات الخيرية) 149
- د. قانون الولايات 1864م 152
- هـ. خط الإصلاحات والتنظيمات الجديدة 1874م 153
- و. المشروطة الأولى إعلان الدستور 1876م 155
3. مظاهر التأثير الفرنسي في الإصلاحات العثمانية 155
- أ- السفير سيبيستياني: Sébastiani 157
- ب- مصطفى باشا 157
- ج- خليل رفعت باشا 157

- المبحث الثاني: العلاقات الفرنسية- العثمانية خلال فترة حكم نابليون بونابرت159
1. التقارب العثماني الفرنسي 160
2. التحالف الفرنسي- الروسي ضد الدولة العثمانية 166
3. توتر العلاقات الروسية-الفرنسية وأثرها على الموقف العثماني 170

الفصل الثاني

العلاقات العثمانية- البريطانية في القرن التاسع عشر وموقف القوى الأوروبية منها

- المبحث الأول: التحالف البريطاني العثماني ضد فرنسا 174
- المبحث الثاني: التنافس البريطاني-الفرنسي وعقد صلح أميان 1801-1803م 179
- المبحث الثالث: التقارب البريطاني - الروسي 1803-1807م وأثره على العلاقة مع الدولة العثمانية 185
- المبحث الرابع: الصراع العثماني- البريطاني 192
1. الحملة البريطانية على الدردنيل 192
2. الحملة البريطانية على الإسكندرية 195
3. معاهدة الدردنيل عام 1809 197

الفصل الثالث

العلاقات البريطانية الفرنسية مع الدولة العثمانية في ظل الأزمات الدولية - المسألة الشرقية-

- المبحث الأول: ماهية المسألة الشرقية وأهمية حرب اليونان في العلاقات الأوروبية العثمانية 206
1. مفهوم المسألة الشرقية 206
2. المسألة الشرقية في القرن (19م) 207
3. الثورة اليونانية في قلب المسألة الشرقية 209

- أ- سير الثورة 209
- ب- مواقف الدول الأوروبية من ثورة اليونان 210
- ج- نتائج وآثار ثورة اليونان 211
- المبحث الثاني: حرب مُجَّد علي باشا على الدولة العثمانية وتعقيد المسألة الشرقية 212
1. أسباب المواجهة 212
2. سير حملات مُجَّد علي باشا 214
- أ. حملة الشام الأولى 214
3. الردود الدولية على حملة مُجَّد علي باشا 218
- أ. الدولة العثمانية 218
- ب. الدول الأوروبية 218
4. نتائج حملة مُجَّد علي بسوريا 220
- المبحث الثاني: موقف بريطانيا وفرنسا من التقارب الروسي-العثماني خلال القرن 19م 221
1. أسباب التقارب الروسي العثماني 221
2. موقف فرنسا وبريطانيا من هذا التقارب 223
- معاهدة بالطة ليمان 224
- المبحث الثالث: حرب القرم 1853-1856م ومواقف الدول الأوروبية المختلفة 226
1. ظروف وأسباب حرب القرم 226
2. موقف ورد فعل الدول الأوروبية من الحرب 229
3. نتائج حرب القرم 233

الفصل الرابع

إنعكاسات العلاقات العثمانية - الأوروبية (البريطانية والفرنسي) على الجزائر

في بداية القرن التاسع عشر

- المبحث الأول: الأوضاع الداخلية في الجزائر في بداية القرن 19م 236
1. سياسيا 236
2. اقتصاديا 237
3. خارجيا 237
- المبحث الثاني: التنافس الأوروبي العثماني في المتوسط وإنعكاساته على الجزائر 238
1. التنافس الإنجليزي الفرنسي في البحر الأبيض المتوسط وأثره على الجزائر 238
2. مؤتمر فيينا 1815م وتأثيراته على الجزائر 243
3. نتائج مؤتمر فيينا 244
- أ. الحملة الأمريكية على الجزائر 1815م 244
- ب. الحملات الإنجليزية على مدينة الجزائر 1816-1824م 247
- الحملة الأولى 1816م 247
- الحملة الإنجليزية على الجزائر في سنة 1824م 252
- المبحث الثالث: الحملة الفرنسية على الجزائر 1830م والمواقف الدولية منها 255
1. خلفيات الحملة الفرنسية على الجزائر 255
2. فرض الحصار البحري على الجزائر 1827-1830م 256
3. المساعي الدبلوماسية العثمانية لفك الحصار عن الجزائر 1827-1830م 260
- أ. مهمة خليل أفندي 260

261.....	ب. جهود المبعوث العثماني طاهر باشا
263.....	4. الغزو العسكري الفرنسي وسقوط الإيالة الجزائرية 1830م
267.....	5. المواقف الدولية من احتلال الجزائر
267.....	أ. موقف الدولة العثمانية من احتلال الجزائر وجهودها السياسية والعسكرية لاستردادها
267.....	- المساعي السياسية
269.....	- محاولة التدخل العسكري بالأسطول العثماني لاسترداد الجزائر
272.....	ب. مواقف الدول الأوروبية
272.....	- موقف بريطانيا
273.....	- موقف الدول الأوروبية الأخرى
276.....	خاتمة
280.....	البيبلوغرافيا
313.....	الفهارس
314.....	فهرس الأعلام
322.....	فهرس الأماكن
332.....	فهرس المحتويات
341.....	ملخص

ملخص

ملخص:

تتناول هذه المذكرة المعنونة بـ: "العلاقات العثمانية الأوروبية وإنعكاساتها على الجزائر خلال نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر (بريطانيا وفرنسا أنموذجا)" واقع العلاقات الأوروبية-العثمانية في البحر الأبيض المتوسط، وخاصة الامبراطوريتين الفرنسية والبريطانية، مع التطرق إلى التنافس بين الدولتين للحصول على المكاسب والامتيازات من الدولة العثمانية بالطرق السلمية والعسكرية، وانعكاس كل ذلك على إيالة الجزائر، في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وهي الفترة التي أصبح واضحا خلالها مدى الضعف الذي وصلت إليه الدولة العثمانية، حيث أصبحت تلقب بـ: "الرجل المريض"، وقد انتهى هذا التنافس باحتلال الجزائر سنة 1830 بعد ثلاثة قرون من الحكم العثماني.

الكلمات المفتاحية :

الدولة العثمانية، فرنسا، بريطانيا، إيالة الجزائر، روسيا القيصرية، البحر الأبيض المتوسط.

Summary:

This memorandum, entitled: "European-Ottoman Relations and their Implications for Algeria during the End of the Eighteenth Century and the Beginning of the Nineteenth Century (Britain and France as a Model)" deals with the reality of European-Ottoman relations in the Mediterranean, especially the French and British empires, while addressing the competition between the two countries to obtain On the gains and privileges of the Ottoman Empire through peaceful and military means, and the reflection of all this on the Eyalet of Algeria, at the end of the eighteenth century and the beginning of the nineteenth century, during which it became clear the extent of the weakness that the Ottoman Empire had reached, as it became known as: "the sick man." This competition ended with the occupation of Algeria in 1830, after three centuries of Ottoman rule.

Key words:

The Ottoman Empire, France, Britain, the Eyalet of Algeria, Russia, the Mediterranean.